تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء السابع

دار المعراج

دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء السابع

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج

تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

دار جوامع الكلم
للطباعة والنشر والتوزيع

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

سورة مريم [الآيات ٣٩ - ٥١]

[٣٩] ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: يا محمّد ﷺ أنذر قومك، والإنذار: هو الإعلام المقرون بالتّحذير، والوعيد.

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: يوم القيامة، ويوم القيامة له أسماء كثيرة؛ مثل: اليوم الآخر، يوم البعث، يوم الفصل، يوم الدّين، يوم الوعيد، يوم الجمع وغيرها، ووصف بيوم الحسرة لشدة الحسرات في ذلك اليوم، وكأنه يوم مختص بالحسرة ولا شيء آخر فيه سوى الحسرة للظالمين والكافرين والمشركين وحتى المؤمنين والحسرة: هي أشد النّدم، والأسف على شيء مضى، أو فات، ولم يُتدارك، أو على ما فرَّط في دنياه، والكلّ يتحسر، والمؤمنون يتحسرون على عدم الإكثار من أعمال البر، والتّقوى، وأشد النّاس حسرة هم الكافرون.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنى: حين.

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب، وحكم الله سبحانه: فريق إلى الجنة، وفريق إلى السّعير.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد، وهم: تعود على الإنس، والجن. والغفلة: تعني: ترك باختيار الغافل وأما النسيان؛ فهو ترك بغير اختيار الإنسان، عدم حضور الشّيء في البال؛ أي: عدم الانتباه، وانمحاء صورة الشّيء

في الذّاكرة لتركه إياه وعدم الاهتمام به، وقلة التحفظ أو التيقظ، والغفلة: أعم من النسيان فكل نسيان غفلة، وليس كل غفلة نسيان.

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية؛ تعني: في الدّنيا.

﴿غَفْلَةٍ﴾: عنه، عن الاستعداد ليوم الحسرة، أو يوم القيامة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: الغفلة.

﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: تكرار (وهم): يفيد التّوكيد، وفصل الغفلة عن الإيمان، أو كلاهما معاً.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالله تعالى، وكتبه، ورسله، والملائكة، واليوم الآخر، أو لا يؤمنون بالآخرة، والحساب، والجزاء؛ يؤمنون: بصيغة المضارع؛ تفيد تجدد، وتكرار عدم إيمانهم.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: نون التّعظيم؛ أي: سبحانه وحده هو الوارث الّذي يرث الأرض ومن عليها؛ فهو المالك الحقيقي، والخلق إنما هم مستخلفون فقط.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]؛ أي: إذا جاءت نفخة الصّعق، أو الموت (النفخة الأولى) الكلّ سيموت، ويترك وراءه كلّ شيء من مال وديار وأرض.

والوارث: تعني الباقي بعد فناء الخلق، هو الله سبحانه؛ فهو الأوّل والآخر، له ما في السّموات والأرض وما فيهنَّ منذ الأزل.

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: إلينا: تقديم إلينا للحصر، والتّوكيد.

﴿يُرْجَعُونَ﴾: قسراً للحساب.

[٤١] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: هذه هي المرة الثّالثة الّتي يعيد فيها كلمة «واذكر»؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾، والذّكر: ضرب من العلم، ويعني: ذكّرهم بشيء نسوه، أو سهوا عنه، ذكّرهم بإبراهيم.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن. وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور؛ أي: محفوظ من التحريف والتبديل بكل كلماته وحروفه.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: عليه السلام أبو الأنبياء، وما جرىٰ بينه وبين آزر وقومه من حوار حول ترك عبادة الأصنام، ودعوته للعودة إلىٰ وحدانية الله تعالىٰ.

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: صديقاً: صيغة مبالغة في الصدق، وتصديق الحق، وكلّ ما جاء به الله سبحانه، فالصّدّيق: هو الّذي بلغ أعلىٰ درجة في تصديق الوحي، وما جاء به الرّسل، وهو الّذي يصدَّق في كلّ كلامه، وما يخبر به؛ أمثال: أبي بكر الصّديق، ومريم كقوله تعالىٰ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥].

﴿نَبِيًّا﴾: فالصّديق قد لا يكون نبياً، كما رأينا في أمثال أبي بكر، ومريم،

والنّبوة درجة أخرىٰ أعلىٰ من درجة الصّديقين، فهي عطاء من الله تعالىٰ، ونحن نعلم أنّ كلّ رسول هو نبي، وليس كلّ نبي رسولاً؛ فإبراهيم عليه السلام كان رسولاً نبياً، وهو من أولي العزم من الرّسل. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٤) لمعرفة الفرق بين الرّسول والنّبي.

[٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: واذكر، أو حين قال لأبيه.

﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾: أي: عمّه آزر، كلمة العم تطلق علىٰ الأب والعم والجد ولا تعني أباه الحقيقي، كما يذكر كثير من المفسرين. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٧٤) لمزيد من البيان.

﴿يَا أَبَتِ﴾: ياء النّداء: للبعد.

﴿يَا أَبَتِ﴾: ولم يقل: يا أبي، أو يا عمي، أو يا آزر، كلمة أبت: فيها معنىٰ الحنان، والعاطفة، والرّأفة، وقيل: إضافة التّاء: تاء التأنيث تشير إلىٰ حنان الأم؛ إذن كلمة يا أبت: تضم حنان الأبوين معاً، وحين تموت الأم يبقىٰ الأب؛ فيقوم بوظيفة الأب والأم معاً، ويعوض الأب حنان الأم المفقودة؛ فينادىٰ: يا أبت.

وقوله: يا أبت، ولم يقل: يا أبتي: حذف ياء المتكلم؛ لأنّ إبراهيم فقد أباه وأمه، ولم يكن له إلا عمّه؛ فناداه كالأب.

وقوله: يا أبت: فيها معنىٰ التّوسل، والاستعطاف؛ للكف عن عبادة الأصنام.

﴿لِمَ﴾: لمَ: استفهام إنكاري، وحذفت الألف في لما؛ لدخول حرف الجر (اللام) عليها.

﴿تَعْبُدُ﴾: تطيع، وتدعو، أو تتقرب إلىٰ هذه الأصنام. ولمعرفة معنىٰ العبادة ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٣)، والأنبياء آية (١٠٦).

﴿مَا لَا﴾: ما: لغير العاقل، ولا: النّافية.

﴿يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾: لأنّها أصنام، أو حجارة؛ فهي حقيقة لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغني شيئاً.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾: أي: لا فائدة منها، وليس لك فيها حاجة؛ فهي لا تدفع ضراً، ولا تجلب نفعاً؛ لا تفيدك إن عبدتها، ولا تضرك إن لم تعبدها.

﴿شَيْئًا﴾: جاءت بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلّ شيء صغيراً، أو كبيراً، من نفع، أو ضر، وتكرار «لا» ثلاث مرات: يفيد التّوكيد، ويفيد فصل كلّ صفة عن الأخرىٰ: السّمع، والبصر، والفائدة.

[٤٣] ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾:

﴿يَا أَبَتِ﴾: تكرار هذا النّداء لجلب انتباه عمّه، وإظهار مدىٰ اهتمامه به لدعوته إلىٰ عبودية الله وحده، وكأنّه باخع نفسه لهداية عمّه آزر.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿قَدْ﴾: لزيادة التّوكيد، والتّحقيق.

﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض العلم من ربي، كما في سورة الأعلىٰ الآية (١٩): ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، وسورة الأنعام، الآية (٧٥): ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ من العلم بالله واليقين، والمعرفة بالدين.

﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: ما: موصول بمعنىٰ: الّذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿لَمْ﴾: للنفي، وفيها معنىٰ الاعتذار. ما لم يأتك: أي: يُنزل عليك، أو تخبر به عن طريق الإيحاء، وغيره من العلم.

﴿فَاتَّبِعْنِيٓ﴾: اتبعني: فيها توكيد ومبالغة في الاتباع؛ أي: أسعىٰ، وأجتهد في اتباعي؛ اتبعني في دعوتي، وعبادتي.

﴿أَهْدِكَ﴾: أدُلك، أو أُرشدك.

﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾: الصّراط: هو السّبيل الموصل إلىٰ الغاية بأقصر زمن، ومسافة، وبدون عقبات. السّويّ: المستقيم؛ أي: الصّراط المستقيم: وهو دين الله وشرعه. الصّراط المستقيم الموصل إلىٰ الغاية، وهي رضوان الله، والجنة، والسّعادة في الدّارين، والنجاة من النّار.

[٤٤] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾:

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٤٣).

﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ﴾: لا: النّاهية.

﴿لَا تَعْبُدِ﴾: المراد بعبادة الشيطان هو عبادة الأصنام، وعبر عنها بعبادة الشيطان تبغيض لعبادتها لكون الشيطان عدو مبين؛ أي: لا تطع، ولا تدعُ، ولا تتبع الشّيطان ووساوسه، ونزغه، وتزيينه وإضلاله في عبادة الأصنام.

﴿ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: التكرار يفيد التوكيد وأبلغ من القول: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾.

﴿كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾: عصياً: من: عصى يعصي على وزن: فعيل صيغة مبالغة؛ أي: كثير العصيان لذلك احذروه، وكان: تشمل كلّ الأزمنة، ولا تقتصر على الماضي فقط.

[٤٥] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾:

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣).

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ أَن﴾: أن: تفيد التّعليل. وأخاف من الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه.

﴿يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: يمسك: المس: هو أخف، أو أدنى درجات اللمس، ومجرد التقاء شيء بشيء، ولو لأقل من ثانية من الزّمان؛ أي: أقل درجات الإصابة الخفيفة جداً، ولم يقل: يصيبك، أو يحل عليك، وهذا يدل على منتهى شفقة إبراهيم على عمّه، والحرص على نجاته من العذاب.

﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: اختار اسم الرّحمن مع كلمة العذاب بدلاً من الجبار، أو القهار؛ لأنّ الرّحمن من الرّحمة، والرّحمن على وزن: فعلان؛ تفيد التّجدد، والتّكرار، والرّحمن للمؤمن والعاصي؛ لعل ذكر الرّحمن مع العذاب يخفف من درجة العذاب، كما لو كان العذاب من العزيز الجبار، أو لا تغتر بكونه الرحمن

فهو الغفور الرحيم، وأن عذابه هو العذاب الأليم، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

فهو اختار المس، واختار الرّحمن؛ ليدل ذلك علىٰ منتهىٰ الشّفقة علىٰ عمّه، وحرصه علىٰ نجاته من العذاب، ولعله يرجع عن شركه، وقوله: أن يمسسك عذاب من الرّحمن في الدّنيا، أو في الآخرة.

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾: ولياً: من ولي: وهو القريب، أو الّذي يليك؛ أي: معيناً أو ظهيراً.

فهذه النّداءات الأربعة تمثل جانباً أو نموذجاً من نماذج كيفية الدّعوة إلىٰ الله بالموعظة الحسنة، والبيان، وتجنب القسوة، والجدال.

[٤٦] ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾:

﴿ قَالَ ﴾: آزر عم إبراهيم لإبراهيم.

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ ﴾: أراغب: الهمزة: تفيد الاستفهام، والإنكار، والتّعجب.

﴿أَنتَ ﴾: تفيد التّوكيد؛ هناك فرق بين: أراغب عن، و: أراغب في؛ يقال: رغب في كذا؛ أي: أحبه، ورغب عن كذا؛ أي: كرهه، واعتزله؛ أي: أكاره أنت لإلهتي يا إبراهيم، وتعيب عليها.

﴿لَئِن ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ إن: شرطية تفيد الشّك، أو النّدرة.

﴿لَّمْ ﴾: النّافية.

﴿تَنتَهِ﴾: عن إثارة العيب على آلهتي، وتكـــفّ عن محاربتها، والتّعرض لها.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلـــك النّون: لزيادة التّوكيد على الرّجم لإبراهيم، والرّجم يكون بالحجارة، أو التّعذيب، أو بالقول، والشّتم، والسّب.

﴿وَٱهْجُرْنِي﴾: ابتعد عني، وفارقني، أو ارحل عني إلى بلد آخر.

﴿مَلِيًّا﴾: دهراً طويلاً، أو اهجرني إلى أبد الدّهر بلا عودة. ملياً: مشتقة من الإملاء: الوقت الطّويل.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾:

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾: قال إبراهيم عليه السلام لآزر: ســـلام عليك، ســـلام مفارقة، ووداع.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾: قال ذلك إبراهيم لآزر سيستغفر له ربه قبل أنّ يتبين له أنّه عدوٌّ لله؛ فلما تبين لإبراهيم أنّ عمّه آزر عدوٌّ لله تبرأ منه؛ إذن وعد إبراهيم لم يتم وينفذ.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ﴾: السين: للاستقبال القريب، ولم يستغفر لعمه، وورد ذلك في قوله تعالـــى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

﴿إِنَّهُۥ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿كَانَ﴾: كان: تستغرق كلّ الأزمنة: الماضي، والحاضر.

﴿بِي﴾: خاصة.

﴿حَفِيًّا﴾: من الحفاوة؛ أي: الكرم. إنّه سبحانه كريمٌ بي يجيب دعائي.

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾:

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾: أي: أبتعد عنكم، وأهجركم.

﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾: ما: لغير العاقل.

﴿تَدْعُونَ﴾: وما تعبدون؛ فالعبادة: هي دعاء، والدّعاء جزء من العبادة.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾: أعبد ربي، ولا أشرك به.

﴿عَسَىٰٓ﴾: أداة رجاء للأمور الّتي يتم تحققها عادة، عسى ربي؛ أي: راجياً من الله.

﴿أَلَّآ﴾: أصلها: (أن) و(لا)؛ أن: مصدرية تفيد التّعليل، والتّوكيد؛ لا: النّافية.

﴿أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾: راجياً أن لا أكون شقياً؛ أي: غير مستجاب الدّعاء، أو تحبط طاعتي، وأعمالي الصّالحة، ويبطل ثوابها، وتصبح مصدر شقائي، كما شقيتم بعبادة الأصنام؛ لأنّها لا تنفعكم، ولا تضركم، ولا تستجيب لدعائكم أصلاً.

[٤٩] ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾:

﴿ فَلَمَّا ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية؛ بمعنىٰ: حين.

﴿ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بالهجرة إلىٰ الشّام، وبعدها إلىٰ الأرض المقدسة، وتركهم، وأصنامهم في ضلالهم، وطغيانهم؛ يعبدونها من غير الله.

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾: وهبنا: من: وهب. ارجع إلىٰ الآية (٨) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿إِسْحَٰقَ﴾: ابنه من سارة، ومن قبل وهب له ابنه إسماعيل من هاجر.

﴿وَيَعْقُوبَ ۖ﴾: ابن إسحاق؛ أي: ولد الولد؛ فكان يعقوب نافلة زيادة علىٰ طلبه.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: كلاهما وهبناه النّبوة، وزيادة الواو في كلمة وكلاً تدل علىٰ أن الله وهب لهما ولغيرهما النبوة.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾: ووهبنا: الهبة: هي عطاء تفضُّل من الله، وفيها تعظيم بإضافة نون الجمع لهم؛ أي: الثّلاثة: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وهبنا. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٨)؛ للبيان.

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: من: ابتدائية. الرّحمة: هي النّبوة؛ أي: جعلناهم أنبياء، أو (وهبنا لهم) قد تعني أيضاً: المال، والولد، والعلم، والذكر، والثناء الحسن.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: وجعلنا لهم الثّناء الحسن.

والذّكر الجميل في جميع الأمم الّتي جاءت من بعدهم، فالكل يثنون على إبراهيم عليه السلام.

﴿لِسَانَ﴾: يعني: القول؛ لأنّ القول يكون باللسان؛ فوضع اللسان مكان القول، ومثال على ذلك ما نقوله في الصّلوات: اللهم صل على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد، وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم.

[٥١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾: ارجع إلى الآية (٤١)؛ للبيان. موسى عليه السلام.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ مُخْلَصًا﴾: المخلَص: بفتح اللام: الّذي أخلَصه الله سبحانه، ووفقه لطاعته، واختاره على النّاس؛ أي: اصطفاه على الناس كما قال تعالى: ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤]، وبلغ أعلى المقامات. أمّا المخلِص: بكسر اللام: الّذي أخلص عبادته لله وحده؛ فكل مخلَص هو مخلِص، وليس كلّ مخلِص هو مخلَص، وموسى عليه السلام كان مُخلَصاً ومخلِصاً (كلاهما).

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾: وكان: للزمن الماضي.

﴿رَسُولًا﴾: ذا رسالة. كلّ رسول هو نبي، وليس كلّ نبي رسولاً. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٦٤)؛ لمعرفة الفرق بين: الرّسول، والنّبي.

❖ ❖ ❖

وَنَدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

سجدة ثلاثة أرباع الحزب ٣١

سورة مريم [الآيات ٥٢ - ٦٤]

[٥٢] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾:

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾: أي: موسىٰ عليه السلام، وذلك بعد أن رجع من مدين، وسار بأهله متجهاً إلىٰ مصر ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص:٢٩]. ناديناه؛ أي: ناداه ربه جلا جلاله، وجاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم

﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: أي: جبل الطّور، والطّور: جبل في سيناء، والطّور: يعني: أقل ارتفاعاً وحجماً من الجبل العادي، والجبل: لا يمين له، ولا شمال، ولكن له جوانب، والأيمن هنا بالنسبة إلىٰ أيمن موسىٰ؛ أي: من جهة يمين موسىٰ (يده اليمنىٰ)، وهو متجه إلىٰ الطور: ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ ارجع إلىٰ سورة طه للتفاصيل، الآية (١٢-٢٤).

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾: النّجيّ: المناجىٰ، والتّقريب؛ يعني: قرَّبه سبحانه حتّىٰ يسمعه كلامه ويناجيه، وأنّه سبحانه اختاره لرسالته، وإلىٰ الذّهاب إلىٰ فرعون، وبما أنّ الله سبحانه كلم موسىٰ وحده، ولم يسمع كلام الله إلا موسىٰ؛ فكان كالسر، وسمّاه نجوىٰ، أو مناجاة (وهي المُسارَّة بالكلام). ارجع إلىٰ سورة المجادلة، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٩) من السّورة نفسها، والآية (٨) من سورة آل عمران.

بعد أن سأل موسىٰ ربه، وقال: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه:٢٩-٣٢]، وكذلك قوله: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص:٣٤]، والرّدء: هو المعين، ووهبنا له: اللام: لام الاختصاص؛ له: وحده؛ لأنّ ذلك لم يحدث مع نبي آخر.

﴿مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾: من: ابتدائية بعضية؛ فكون هارون نبياً هي هبة من الله؛ أي: تفضل (عطاء) لموسىٰ عليه السلام، ولهارون، وتقديم الجار والمجرور هنا يفيد الحصر، والنّبوة تعتبر رحمة، وهبة من الله، وشيئاً خاصاً لا تعطىٰ لمن يطلبها عادة، ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة والطّاعة، ولنعلم أنّ هارون عليه السلام كان نبياً، وليس رسولاً نبياً.

[٥٤] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤١) من السّورة نفسها.

﴿إِسْمَٰعِيلَ ۚ﴾: ابن إبراهيم عليه السلام جد النّبي ﷺ.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾: كان: تشمل، أو تستغرق كلّ الأزمنة أنّه صادق الوعد، قيل: لم يخلف وعداً قط، ومن أقوىٰ الأدلة علىٰ ذلك وعده لأبيه بالصّبر علىٰ ذبحه، وكيف أسلم نفسه للذبح، ولم يخلف وعده بعد أن قال له أبوه إبراهيم:

إنّي أرىٰ في المنـــام أنّي أذبحك قـــال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢].

ولقـــد خص الله ســـبحانه إســـماعيل بصفة الصّـــدق، مع العلـــم أنّ كلّ الرّســـل والأنبياء كانوا صادقي الوعد، والصّدق صفة في كلّ رســـول ونبي؛ لأنّ إســـماعيل عليه السلام أوفىٰ بوعده وسلَّم نفســـه ليذبح، ولم يُبتلَ غيره من الرّسل بهذا البـــلاء العظيم، وقد وصفه اللـــه تعالىٰ بالحليم؛ فقـــال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات:١٠١]، وأغلب المفسرين يقولون: إنّه إسماعيل، وليس إسحاق.

﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾: إلىٰ قبيلة جرهم والعرب. ارجع إلىٰ ســـورة النّساء، آية (١٦٤)؛ لمزيد من البيان.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾:

﴿وَكَانَ﴾: إسماعيل عليه السلام.

﴿يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾: الأهل: العائلة؛ الزّوجة والأوّلاد، وقيل: الأهل قد تشـــمل عشيرته، أو قبيلته.

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: الباء: للتوكيد علىٰ أهمية الصّلاة الّتي هي عماد الدّين، وذكرَ الصّلاة والزّكاة من بين باقي العبادات؛ للدلالة علىٰ أهميتها، وفي هذه الآية إشارة إلىٰ أهمية البدء بإصلاح الخلية الأوّلىٰ من مكونات الأمة؛ وهي الأسرة.

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾: مرضياً؛ أي: رضي الله تعالىٰ عنه، ومرضياً: اسم مفعول من: رضي، ومصدر رضي: الرّضوان. ويدل علىٰ ثبوت رضا الله عنه.

[٥٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١).

﴿إِدۡرِيسَۚ﴾: قيل: هو أوّل نبي بعد آدم، وشيث، وشيث وإدريس جد نوح، وقيل: هو أوّل من خطَّ بالقلم، وخاط الثّياب (لبس المخيط)، وأنزلت عليه ثلاثون صحيفة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾: اتصف بصفتين: النّبوة، وكونه من الصّدِّيقين، كما وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام. ارجع إلى الآية (٤١) من السّورة نفسها.

[٥٧] ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا﴾:

المكان العليّ فسر بالنّبوة، والمنزلة الرّفيعة العالية؛ أي: الدّرجة العالية عند ربه سواء بالقرب من الله، أو في درجات الجنة، وفسر المكان العليّ بالسّماء الرّابعة، فقد روي في الصّحيحين أنّ رسول الله ﷺ مرّ به في ليلة الإسراء والمعراج وهو في السّماء الرّابعة.

[٥٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد تشير إلى بُعد منزلتهم، وعلوّها.

﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾: بالنّبوة وغيرها من النّعم الدينية (من الدّين)، والدّنيوية.

﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: من جنس النّبيين، أو من: بعضية؛ بعض النّبيين أنعم الله عليهم؛ لأنّ جميع الأنبياء أنعم الله عليهم، وشرفهم في الدّنيا والآخرة.

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾: مثل: شيث، وإدريس، ونوح.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: من: ابتدائية، بعضية. «وممن حملنا مع نوح»؛ أي: الّذين آمنوا معه وذريته.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾: إسرائيل: وهو يعقوب عليه السلام، ومن ذريته: يوسف، وموسىٰ، وهارون، وزكريا، ويحيىٰ، وعيسىٰ ابن مريم.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: من: البعضية؛ بعض الّذين هديناهم: أرشدناهم إلىٰ عبادتنا، وإلىٰ ديننا.

﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: أي: اصطفيناهم للنبوة، وحمل الرّسالة، والتّبليغ.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية، وبمعنىٰ حين، وشرطية.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: تتلىٰ: تقرأ عليهم من الكتب المنزلة، أو الصّحف.

﴿ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أو يسمعوا آيات الرّحمن تتلىٰ عليهم.

﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: خروا: اشتقت من: خرير الماء الّذي يشير إلىٰ هبوطه، ونزوله بسرعة؛ أي: يهوون علىٰ الأرض خارّين لله سبحانه ساجدين بسرعة.

﴿سُجَّدًا﴾: جمع: ساجد. وسجداً: تدل علىٰ السجود الظاهر، وأما السجود: فهو يتناول السجود الظاهر والباطن؛ (أي: الخشوع)، أو طهارة الباطن.

﴿وَبُكِيًّا﴾: باكين من خشية الله، أو مما حصل منهم من تقصير في جنب

اللـه؛ بكياً: جمع باك: اسـم فاعل من: بكى. ارجع إلى سـورة الإسـراء، الآية (١٠٩)؛ لمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾:

﴿فَخَلَفَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: بعد ذرية إبراهيم، وإسرائيل، وممن هدينا واجتبينا.

خَلْفٌ: بسـكون اللام؛ تعني: قوم أشـرار. أمّا لو قال: خَلَف، بفتح اللام؛ تعني: قوم أخيار. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٦٩)؛ لمزيد من البيان.

خَلْـف: جمع خالف، أو خَلْف مصدر يشـمل المفـرد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: تركوا الصّلاة، ونسوها، وسهوا عنها قصداً.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: جمع شهوة: توقان النفس إلى ما يلذ ويسر بدون إرادة العبد، وتعني: الشهوات المحرمة واللذات.

﴿فَسَوۡفَ﴾: الفاء: للتوكيد، وسوف: تفيد المستقبل البعيد.

﴿يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾: الغيّ: الخيبة والقبيح، وقيل العذاب، والهلاك، والخسران، وكلمة الغيّ تطلق على كلّ ذلك، وجاءت فسوف يلقون بصيغة المضارع للدلالة على تجدد لقاءهم الغي، وفي هذا تهديد ووعيد.

[٦٠] ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَن تَابَ﴾: من التّوبة، وتعني: الكفّ عن ارتكاب المعصية، أو المعاصي، والنّدم على ما فعلـه، والإكثار من الأعمال الصّالحة، والنّوافل، وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

﴿وَءَامَنَ﴾: بالله، وما أنزل الله، وملائكته، وكتبه، ورسـله، واليوم الآخر، ووحدانية الألوهية، والرّبوبية، والأسماء، والصّفات.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أدى الفرائض، وترك المحـارم، وقام بالنّوافل، وأخلص عمله لوجه الله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسـم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى علو منزلتهم.

﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: بعد أن يتوب الله سـبحانه عليهم، ويغفر لهم ذنوبهم، أو يعاقبهم عليها فـي النّار، وبعدها يخرجون منها، ويدخلون الجنة، ودخول الجنة يكون برحمة من الله وفضله.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: أصـل الظلم نقصان الحق والجـور؛ فهم لن يظلموا بنقص حسنة، أو زيادة سيئة، ويعاملون بالعدل.

﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة تشمل كلّ شيء، والشّيء هو أقل القليل.

[٦١] ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾:

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: وعدن: تعني: الإقامة الدّائمة الأبدية؛ أي: بعكس جنات الدّنيا الزّائلة الفانية.

﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾: وعـد الرّحمن: الوعـد المطلق في القرآن

يحمل معنىٰ الخير والشّيء السّار، وقال: وعد الرّحمن، بدلاً من وعد الله؛ ليخبرهم أنّ دخولهم الجنة هي من رحمته بهم؛ فهو الرّحمن الرّحيم.

﴿عِبَادَهُۥ﴾: المؤمنين.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: وعدهم إياها وهم لم يروها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾: واقعاً لا شك فيه، ولا محالة، والوعد: هو جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بها بالغيب، وعد فيه التكريم والتشريف؛ لأنه من الغني الكريم.

﴿مَأْتِيًّا﴾: أي: آتياً، ومأتياً: اسم مفعول من فعل: أتىٰ، ورغم أنّه سيأتي في المستقبل، جاء بصيغة الماضي الّتي تدل كأنه حدث، وكلّ الأزمنة عند الله سواء كانت في الماضي، والحاضر، أو المستقبل تمثّل زمناً واحداً، ومأتيّاً: مشتقة من: أتىٰ، وأتىٰ تحمل معنىٰ السّهولة في المجيء؛ أي: آتٍ بسهولة، والمأتي يعني كذلك: الذي يأتيه الناس فهو شبه الوعد بمكان يأتيه الطائعون كي يحصلوا عليه.

[٦٢] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾:

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: لا: النّافية.

﴿يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة، أو في جنات عدن.

﴿لَغْوًا﴾: كلاماً باطلاً، أو قبيحاً، أو فحشاً، أو تافهاً، أو لا نفع فيه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سَلَٰمًا﴾: تحية من عند ربهم، أو من الملائكة، أو من أهل الجنة، كقوله تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، وسلام: جاءت بصيغة النّكرة؛ لتشمل معنىٰ التّحية، ومعنىٰ السّلامة من الآفات، والعيوب، وكذلك تحمل معنىٰ الأمن والطّمأنينة.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾: رزقهم: يضم الطّعام، والشّراب، والملبس، وكلّ ما يحتاجونه، وما يشتهونه.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: وهل في الجنة ليل ونهار؟

الجواب: كلا؛ فـ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وهم في نور دائم، ونعيم دائم لا ينفد، ولا ينقطع، ولا يرتبط بوقت، فبكرة وعشياً تعني: علىٰ الدّوام، ولا يقصد بها هذين الوقتين فقط، واستعمل: بكرة وعشياً؛ لأنّه سبحانه يخاطب عباده بما ألفوه في الدّنيا من غداء، وعشاء، ويعرفون زمن البكرة، والعشية من تغير أنوار الجنة، أو إغلاق الأبواب، وإرخاء الحجب، أو السّتائر، ويعرفون النّهار برفع الحجب، وفتح الأبواب، والله أعلم.

[٦٣] ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: نورث: نعطي، وقيل: لكلّ متّقٍ منزل في الجنة، ومنزل في النّار، ولكلّ فاجر منزل في الجنة، ومنزل في النّار؛ فإذا ذهب المتقي إلىٰ منزله في الجنة، ترك منزله في النّار خالياً؛ فيرثه الفاجر، وإذا ذهب الفاجر إلىٰ النّار، ترك منزله في الجنة خالياً؛ فيرثه المتقي؛ نورثها: لا تعني نهبها من عبادنا؛

لأن الهبة عطاء بلا عمل، وبلا سبب، أما الإرث فهو شيء مستحق بسبب القرابة لترث مال القريب، والقرابة (لتكون قريباً من الله تعالىٰ لا بد من السعي والعمل الصالح والإيمان)؛ أي: يرثها بسبب وحق وليس وهبة.

﴿مَنكَانَتَقِيًّا﴾: من: ابتدائيـــة؛ في الدّنيا كان مطيعاً لأوامـــر الله، ومتجنباً نواهيه.

[٦٤] ﴿وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾:

﴿وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: وما: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿نَتَنَزَّلُ﴾: تعود علىٰ جبريل عليه السلام، وجاءت بصيغة التّعظيم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ﴾: بإذنه، ومشيئته.

قيل في ســـبب نزول هذه الآية كما ورد في أسباب النزول للواحدي، وقاله عكرمة وقتادة والضحاك، وروىٰ البخـــاري: أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَانَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ﴾: إنّ رسول الله ﷺ استبطأ نزول الوحي (جبريل عليه السلام) بعد أن سأله كفار مكة عن أهل الكهـــف، وذي القرنين، والرّوح، وأصبح في حرج؛ لعدم نزول جبريل بالجواب علىٰ تلك الأســـئلة، وتأخر ـ كما قيل ـ خمسة عشـــر يوماً، فلما نزل عليه جبريل ســـأله عليه السلام: لقد أبطأت عنا يا جبريل. قال جبريل: وأنا أشوق إليك، وما نتنزل إلا بأمر ربك.

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أي: يعلم كلّ ما هو قادم؛ أي: ما بقي من أمر الدّنيا والآخرة، أو: إليه يرجع كلّ أمر للقضاء، أو الإذن فيه، سواء أكان في الحاضر، أو الماضي، أو ما تقدم، وما تأخر، أو ما في الماضي، والمستقبل، وما بين ذلك؛ أي: الحاضر، والحال.

﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: أي: ويعلم كلّ ما مضىٰ من أمر الدّنيا، وقبل أن نُخلق.

﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: من حياة البرزخ، وما بين النّفختين، يعلم كلّ سؤال ودعاء، وهو بكلّ شيء عليم. أو ما سأله أهل مكة عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، والرّوح، والحاضر، والمستقبل، والحال.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: أي: ما: النّافية لكلّ الأزمان. كان ناسياً أن يُنزل عليك الوحي مباشرة، أو نسياً: هاجرك، وتاركك، وحاشا لله أنّ ينسىٰ كما ينسىٰ خلقه، أو يغفل، أو تأخذه سنة، أو نوم، وتأخر نزول الوحي عليك ليس سببه النّسيان، أو التّرك، والهجر، وإنما لحكمة يعلمها سبحانه وحده، وقد تكون كما بيناها في الآيتين (٢٣-٢٤) من سورة الكهف.

❖ ❖ ❖

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن
كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ
وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

سورة مريم [الآيات ٦٥ - ٧٦]

[٦٥] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾:

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: كيف ينسى، وهو رب السّموات والأرض، وما بينهما؟! أو: ما كان ربك نسياً؛ لأنّه رب السّموات، والأرض وما بينهما.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: الفاء: للتوكيد؛ فاعبده وحده بأداء الفرائض، والسّنن، والعبادات من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج (عبادات الجوارح)، والعبادات القلبية، والعبادة لا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، ويجب أن تكون خالصة بدون شرك، أو رياء، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، وبالتّالي إلى أمته.

﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ﴾: اصطبر؛ أي: داوم على الصّبر (على أمره ونهيه)؛ أي: مبالغة في الصبر؛ لأن النفس تغلبها الشهوة، وتتقاعس أحياناً عن داوم على عبادته. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٢٠٠)، والبقرة آية (١٥٣) لمزيد من البيان في الصبر وأنواعه.

﴿لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ﴾: اللام: لام الاختصاص، ويعني: الثّبات على عبادته. ارجع إلى سورة النّحل، آية (٧٣)؛ لمزيد من البيان في معنى العبادة.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: هل: استفهام فيه معنى النّفي، والاستبعاد، والإنكار.

﴿سَمِيًّا﴾: نظيراً مثيلاً في أسمائه، أو: هل تعلم من هو أهلٌ للعبادة سواه؟ «هل» الّتي هي أقوىٰ وأشد في الاستفهام من الهمزة، كما لو قال: أتعلم له سمياً؟

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾:

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: ولم يقل: وقال الإنسان بصيغة الماضي، وانتهىٰ الأمر، «يقــول» جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدد والتّكرار، وأنّه لا يزال يقول ذلك.

﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: يمثل الجنس، والإنسان هنا هو المنكر للبعث، أو الخروج من القبر حياً مرة أخرىٰ، أو الّذي لا يؤمن بالآخرة، والحساب، والجزاء.

﴿أَءِذَا مَا مِتُّ أَءِذَا مَا﴾: أإذا: الهمزة همزة استفهام إنكاري، واستبعاد.

﴿مَا﴾: للتوكيد.

﴿مِتُّ﴾: مِت: بكسر الميم؛ أي: موت طبيعي عادي، ولو ضم الميم لكان يعني موت الشّــهادة في سبيل الله. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) للبيان.

﴿لَسَوْفَ﴾: اللام: للتوكيد؛ توكيد النّفي؛ سوف: للبعد، والتراخي الزّمني، واستبعاد حدوث الخروج؛ أي: البعث.

﴿أُخْرَجُ حَيًّا﴾: أخرج من القبر؛ أي: أبعث حياً بعد الموت، والفناء.

[٦٧] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾:

﴿أَوَلَا﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتعجب.

﴿يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لماذا لا يذكر هذا الإنسان المنكر للبعث؟

﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾: لا يذكر النّشأة الأوّلى، فتلك أعجب وأبلغ على قدرة الخالق؛ لأنّ إعادة الخلق أهون عادة من بدء الخلق، وذلك إذا استعمل موازينه العقلية؛ أمّا في ميزان الله سبحانه فليس عنده شيء هين، وشيء صعب؛ فالكلّ متساوٍ، ولمجرد أن يشاء يكون الخلق قد وجد، وقبل أن يقول: كن فيكون.

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: الشّيء: هو أقل القليل، وشيئاً: نكرة تعني: لم يكن إلا العدم.

﴿يَكُ﴾: تدل على العدم، أو من تراب، أو نطفة. لم يك شيئاً: ذا أهمية حتّى يُذكر، وصغر الكلمة تدل على صغر الشّيء، ولم يقل: يكن.

ولنقارن هذه الآية (٦٧) من سورة مريم مع الآية (١) من سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

في سورة مريم قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾، وفي سورة الإنسان: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا﴾ مذكوراً أضاف النّون، وبناءً على القاعدة اللغوية: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؛ أي: زيادة في التّوكيد.

ففي سورة الإنسان: الآية جاءت بصيغة الاستفهام التّقريري بدلاً من الإخبار بالنّشأة الأولى؛ أي: خلق الإنسان، وفي سورة مريم: الآية جاءت في سياق الرّد على منكري البعث، وإعادة الخلق، وهم لا ينكرون الخلق الأوّل، أو النّشأة الأولى، فجاء الرّد بـ: (يك) بدلاً من (يكن) أقل توكيداً.

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾:

﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء: للتوكيد توكيد الخبر وهو لنحشرنهم، وربك: الواو: واو القسم؛ يقسم الرّب تبارك وتعالىٰ باسمه مضافاً إلىٰ رسول الله ﷺ المخاطب تعظيماً لشأن رسول الله ﷺ.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك النّون لزيادة التّوكيد؛ نحشرنهم: الفاعل نحن للتعظيم، نحشرنهم؛ أي: هؤلاء الكفرة، أو المكذبين للبعث يوم القيامة في أرض المحشر، والحشر: هو السوق والجمع.

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: أي: هم والشّياطين، والواو: تعني مع شياطينهم الّذين أضلوهم، وكانوا أولياءهم.

﴿ثُمَّ﴾: لمجرد التّرتيب العددي؛ أي: أوّلاً ثانياً ثالثاً... وهكذا.

أو تباين بين مقام الحشر الّذي لا يقارن بمقام الجثيِّ حول جهنم.

﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: لنحضرنهم: اللام، والنّون: للتوكيد، ثمّ يساقون من أرض المحشر ويجيء بهم ويؤمرون بالجثيِّ علىٰ الرّكب حول جهنم قبل دخولها.

﴿جِثِيًّا﴾: جمع جاث، اسم فاعل من: جثا يجثو؛ أي: قعد علىٰ رُكبتيه؛ دلالة علىٰ المهانة، والتّنكيل، ثمّ يلي ذلك مشهد النّزع لمن كانوا أشد عتواً وتجبراً.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي الأوّل، ثمّ الثّاني، ثمّ الثّالث.

﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: لننزعن: اللام، والنّون: للتوكيد؛ ننزعن: من النّزع: وهو خلع الشّيء بشدة، ولا يقال: نزع إلا إذا كان المنزوع متماسكاً مع المنزوع منه؛ أي: نخرج من كلّ شيعة أشر القوم.

﴿شِيعَةٍ﴾: طائفة تشايعت على الكفر، أو اجتمعوا على مذهب واحد، أو عقيدة واحدة.

﴿أَيُّهُمْ﴾: قد تكون اسم موصول، أو اسم استفهام.

﴿أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: عتياً: من يعتو؛ أي: أشدهم كفراً وطغياناً وفساداً في الأرض، واختار اسم الرحمن ولم يصرح بلفظ الجلالة الله أو العزيز أو الجبار، واختار الرحمن فقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ ليحذرهم بأن لا يغرهم وصفه بالرحمن، وكذلك للمبالغة وتفظيع عتوهم فهم يعتون الرحمن (شديد الرحمة بالخلق والإحسان إليهم). ارجع إلى سورة الفرقان آية (٢٦) لمزيد من البيان في معنى الرحمن.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتدرج في المعرفة، أو الترتيب الذكري.

﴿لَنَحْنُ﴾: اللام للتوكيد، نحن للتعظيم.

﴿أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أعلم: أدرى بذواتهم؛ بالذين: الباء: للإلصاق؛ الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾: أولى، أحق (الذي هو الأشد كفراً)؛ للدخول فيها والاحتراق بنارها.

﴿صِلِيًّا﴾: مصدر من فعل صلى، اللحم: شواه وألقاه في النّار وقاسى حرها، وأصلاه النّار: أدخله فيها.

[٧١] ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾: وإن: حرف النّفي؛ أي: وما منكم إلا واردها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: كلّ واحد منكم، خطاب لجميع الخلق الإنس والجن، الورود يشمل الكلّ المؤمنين، والكفرة، والأتقياء، والأشقياء. الكلّ واردها: مشتقة من أن تذهب إلى منبع الماء، أو مصدر السّقيا، وبعد ذلك سواء شربت منه، أم لم تشرب؛ أي: الوصول إلى جهنم ورؤيتها، ولا يعني: بالضّرورة الدّخول فيها؛ فالمؤمنون: ورودهم إياها يعني مرورهم على الصّراط المضروب على متن جهنم، ورؤيتهم لها. وأمّا الكفار: ورودهم يعني الدّخول فيها.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾: كان على ربك: وعداً على ربك.

﴿حَتْمًا﴾: الحتم: هو الشّيء الواقع لا محالة، والحتم يكون بيد من له الأمر والحكم، وهو الله وحده.

﴿مَّقْضِيًّا﴾: أي: حكم لا رجعة فيه، ولا تبديل، ولا تحويل، ولا أحد يستطيع أنّ يعترضه، أو يعدله.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي. ارجع إلى الآية (٦٩) من نفس السورة.

﴿نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾: بعد ورودهم إياها؛ أي: مرورهم على الصّراط

المضـــروب على متن جهنـــم؛ ننجي الّذين اتقـــوا: أطاعـــوا أوامر الله وتجنبوا معاصيه، وأخلصوا دينهم لله.

﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين الكفار.

﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾: في جهنم جثياً؛ لأنّه حين قال: وإن منكم إلا واردها، فالورود بالنّسبة للكفرة والظّالمين. قيل: الدّخول في جهنم، وبعد دخولهم نتركهم فيها لا يخرجون منها، ويؤمرون بالجثيِّ على ركبهم.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للماضي؛ بمعنى: حين، وتعني: حتمية الحدوث.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: التّـــلاوة: القراءة من القـــرآن. تتلى عليهم؛ أي: على الّذين كفروا آيات الوعيد، أو الإنذار.

﴿ءَايَٰتُنَا﴾: آيات القرآن الحكيم.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات المعاني لا تحتاج إلى بيان.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: أي: الفقراء المؤمنين في الحياة الدّنيا.

﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: استفهام فيه معنى التّعجب.

﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: (المؤمنين والكافرين)؛ أي: حين يســـمعون آيات الوعيد لا يجدون ملجأ، أو حُجة؛ إلا الافتخار بما هم فيه من نعيم الدّنيا، ورفاهية العيش، ويسألون فقراء المؤمنين: أيُّنا

﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: أفضل مقاماً بفتح الميم مع التّشديد؛ يعني: منازلاً، وأثاثاً ومتاعاً. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٥) لبيان معنىٰ المقام.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: مجلساً؛ مثل: دار النّدوة، والنّادي: المكان الّذي يجتمع به عظماء القوم للحديث، والتّشاور، والافتخار، وقولهم ذلك لفتنة الّذين آمنوا، وظنهم أنّهم أحسن حظاً في الدّنيا؛ فهم كذلك أحسن حظاً، ونصيباً في الآخرة.

[٧٤] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: الواو: استئنافية؛ كم: الخبرية، وتدل علىٰ الكثرة؛ أي: وأهلكنا قبلهم القرون الكثيرة.

﴿قَبْلَهُم﴾: ولم يقل من قبلهم؛ أي: تشمل الزّمن القريب، أو البعيد الغير محدد.

﴿مِّن قَرْنٍ﴾: من: ابتدائية، والقرن: هم الجماعة يعيشون في زمن معين، والقرن يقدر بمائة عام.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾: الأثاث: المتاع؛ من فُرش، وستائر، ومقاعد للجلوس، وأدوات.

﴿وَرِءْيًا﴾: مشتقة من الرّؤية؛ أي: منظراً، وهيئة، وزينة، أو مشتقة من الرّي: الّذي هو النّعمة والتّرف؛ أي: لا ينبغي أنّ يغرهم ما هم فيه من الأثاث، والمتاع الزّائل.

[٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾: من: شرطية. قل لهم يا محمّد: هذا النّعيم الّذي أنتم فيه، والأثاث والرؤيا قد يكون استدراجاً لكم؛ لتزدادوا إثماً، وهذه سنة الله في عباده، وهي أنّ من كان في ضلالة الشّرك، والمعاصي؛ فإنّ الله يمد له مداً؛ أي: يمهله، ويملي له، ويتركه في ضلالة، ويدعه في طغيانه؛ ليزداد إثماً حتّىٰ ينقضي أجله.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: فليمدد: الفاء: رابطة لجواب الشّرط، واللام: للتوكيد.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف لنهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل.

﴿رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: يمدد له الرّحمن مداً؛ حتّىٰ إذا انتهىٰ هذا الإمداد علم، أو رأىٰ أنّ «ما» بمعنىٰ: الذي، وعد به الله هو الحق، وعلىٰ خلاف ما كان يظن.

﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾: حرف جواب، وتفصيل؛ في الدّنيا بالقتل، والأسر، والفقر، والضّيق، والجوع، وعدم الأمن.

﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾: أي: لحظة تهدُّم النّظام الكوني الحالي، أو ساعة الاحتضار، أو القيامة الصغرىٰ.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سيعلمون: السّين: للاستقبال القريب؛ أي: ليسوا هم بعيدين عما يوعدون به من العذاب، أو السّاعة، أو القيامة الصغرىٰ.

﴿مَنْ هُوَ﴾: من: قيل: هي استفهامية، وقيل: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي؛ أيُّ الفريقين.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾: شرٌّ: منزلةً الجنة، أم جهنم.

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أقل أنصاراً، أو أعواناً للكفرة وهم وجندهم، وشياطينهم، وفي هذا تهديد ووعيد لهم، وأما المؤمنون وجندهم الملائكة. جنداً: الجند: اسم جنس جمع جندي، فالجندي واحد، وجمعه: جُند، وجمعه: أجناد، أو جنود، وهناك فرق بين الجند والجنود؛ الجند: من جنس واحد، وتجمعهم أهداف واحدة، أما الجنود: فهم من أجناس مختلفة، وأهدافهم مختلفة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح:٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣].

[٧٦] ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾:

ارجع إلىٰ سورة الكهف، الآية (٤٦).

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾: ويزيد معطوف علىٰ: فليمدد؛ أي: من كان في الضّلالة؛ فليمدد له الرّحمن مداً؛ أي: يزيده في ضلاله، ومن كان يسير في

طريق الهداية، والإيمان يزيده الله إيمانـاً وتوفيقاً، كما مد لمن كان في الضّلالة مداً؛ فهذه مقابلة بين الفريقين.

﴿هُدًى﴾: جاءت نكرة تعني: كلّ أنواع الهداية.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: سـميت الباقيـات؛ لأنّ ثوابها بـاق، وغير زائل مقارنـة بالحياة الدّنيا، ومتاعها، وزينتها، والباقيات قيل: هي الصّلوات الخمس، والصّيام، والصّدقات، والزّكاة، والحج، والجهاد، وذكر الله، والصّبر. وقيل: هي ذكر الله (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وتشمل الصدقة الجارية، والولد الصالح، والسنة الحسنة.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: من المال، والبنين، ومتاع الحياة الدّنيا خير جزاء.

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: مرداً: عاقبـة؛ أي: مرجعاً، أو منفعة من أعمال الكفار الّتي تذهـب هباءً منبثاً، خيرٌ مـرداً؛ أي: مردوداً على صاحبها مـن التّكريم، والجنة، والثواب، وتكرار «خيرٌ» للتوكيد.

❖❖❖

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
(٧٧) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا
(٩١) وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا (٩٥)

سورة مريم [الآيات ٧٧ - ٩٥]

[٧٧] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾:

سبب النّزول: كما جاء في صحيح البخاري ومسلم، نزلت في العاص بن وائل فقد قال الخباب بن الأرت: كان لي دينٌ على العاص بن وائل، فذهبت لأقبضه؛ فقال العاص: لن أعطيك دينك حتّى تكفر بمحمّد. قلت: لا والله لا أكفر بمحمّد حياً، ولا ميتاً، ولا حين تبعث، فقال العاص مستهزأ بما قاله الخباب: أسأبعث؟ قلت: نعم، قال: إذن حين أبعث سيكون لي مال وولد فأعطيك دينك. والعبرة بعموم اللفظ وليس خصوص السّبب.

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري والتعجب، والفاء: للتوكيد. أرأيت: رؤية قلبية وليست بصرية، وتعني: أخبرني، أو ألم تر أو علمت بقصة الّذي كذب بآياتنا؟

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول، ولم يذكر اسمه؛ لعدم أهمية ذكره «وهو العاص ابن وائل».

﴿كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: جحد، وكذب بآيات القرآن «آيات البعث»، وقال: كما ذكرنا سابقاً للخباب بن الأرت.

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾: لأوتين: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد؛ أي: لأُعطين المال والولد إذا كان هناك بعث بعد الموت، وأسدد لك دَيْنك.

[٧٨] ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾:

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: الهمزة: همزة استفهام وإنكار؛ أطلع: تدل على المبالغة في الاطلاع والرؤية؛ أي: كيف يدعي هذا الكافر، ويؤكد أنّه سيُعطى المال والولد؟ أطّلع الغيب؛ أي: أخبر بالغيب وأُطلع عليه. قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

﴿أَمِ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ.

﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: أعطاه الرّحمن عهداً «وعداً موثقاً» بأن يدخل الجنة، أو ينال ما يريد. اتخذ: على وزن افتعل: فيها معنى الجهد، والتّكلف؛ أي: طلب وأجهد نفسه بالحصول على عهد من الرّحمن بنيل ما يريد.

[٧٩] ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾:

﴿كَلَّا ۚ﴾: كلمة ردع وزجر وإنكار لما قاله الوائل بن العاص، أو هو مخطئ لما قاله، أو كلمة نفي وإبطال لما قبلها، لن يشم رائحة المال، أو رائحة الولد.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: لأوتين مالاً وولداً، وسنجازيه على ما قاله، والسّين للاستقبال القريب.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: أصل المد، أو المدد هو: الزّيادة؛ أي: نزيده عذاباً فوق العذاب، أو نطيل له مدة العذاب، مداً للتوكيد، والمد في القرآن يأتي عادة في سياق العذاب، والمدد يأتي في سياق الخير.

[٨٠] ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾:

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾: نرث منه المال والولد ويأتينا فرداً، أو نرثه عاقبة قوله والتّألّي على الله تعالى، نرثه تبعة قوله.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: كما ولدته أمّه، لا نصير، ولا معين، ولا شفيع، ولا مال، ولا ولد.

[٨١] ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾:

بعد الحديث عن منكري البعث والّذي كفر بآياتنا يأتي الحديث عن مشركي مكة عُبّاد الأصنام، والأوثان الّذين ظنوا أنّها ستكون لهم عزاً.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾: أي: وجعلوا، أو صيروا.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله سبحانه.

﴿ءَالِهَةً﴾: يعبدونها مثل اللات، والعزى، ومناة الثّالثة الأخرى.

﴿لِّيَكُونُوا۟﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿لَهُمْ عِزًّا﴾: من العزة، وهي: القوة، والغلبة، والامتناع؛ أي: ليكونوا لهم منعة، وقوة يوم القيامة، تشفع لهم، أو تقربهم إلى الله زلفى، أو تمنعهم من العذاب.

[٨٢] ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، وإنكار؛ لما اتخذوا، وأنّهم خاطئون، أو جائز أن تكون نافية بمعنى: لا، وقد تكون بمعنى: حقاً سيكفرون بعبادتهم.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾: سيكفرون: السّين: للاستقبال القريب؛ أي: قريباً

سيكفرون بعبادتهم؛ أي: ستنكر هذه الأصنام عبادة الكفار لها، أو تنكر أقوالهم، فالله سبحانه قادر على أنّ ينطقها.

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أي: أعداءً لهم.

﴿ضِدًّا﴾: ستكون الأصنام لهم عكس ما تمنوه من العزة، والقوة، والمنعة؛ أي: ستكون عليهم وبالاً، وتشهد بكفرهم وضلالهم.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتعجب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم، أو ألم ينته علمك؟

﴿أَنَّآ﴾: النّون: للتعظيم.

﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أرسلناهم لمهمة الابتلاء والاختبار والفتنة؛ كقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢].

﴿عَلَى﴾: للاستعلاء، والمشقة.

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: أزَّه: حثَّــه، أو هيَّجه؛ أي: تهيجهم على المعاصي، وتغريهم بالوساوس حتّى يقعوا فيها، أزّت القِدر تؤزه أزاً: حتّى يشتد غليانه.

أزّاً: للتوكيد.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ﴾: أي: لا تطلب العجلــة بهلاكهم، أو تعذيبهم، أو تعجل

بالدّعاء عليهم؛ لأنّ الله سبحانه يريد أنّ تطول أعمارهم، وتسوء أعمالهم، وتكثر ذنوبهم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: أي: نعد أيامهم، وأنفاسهم، وذنوبهم، فما هي إلا أيامٌ معدودة، وكل ما يُعد ينتهي، وتنتهي أعمارهم، ونأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وفي الآية تهديد ووعيد.

[٨٥] ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾: الحشر: السّوق والجمع، ويستعمل الحشر في الخير والشر؛ أي: نجمع المتقين ويفدون؛ أي: يؤتى بهم وفداً وفداً إلى الرّحمن.

﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: قال جمهور العلماء: وفداً؛ أي: ركباناً جماعة جماعة.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾:

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين والطّاغين والمشركين، والسّوق فيه معنى الإهانة والمذلة، ويعني: السير أمام الملائكة كما تسير الأنعام أمام رعاتها للزجر والخوف. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلى الرعد، آية (١٨)؛ للبيان.

﴿وِرْدًا﴾: عطاشاً. ورداً: جمع وارد.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: أي: هم لا يشفعون لأحد، ولا أحد يشفع لهم، ولا يشفع بعضهم لبعض.

﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (٨٥)؛ لبيان معنىٰ الشّفاعة.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع، والمنقطع: هو استثناء الشيء من غير جنسه؛ لأن الذين اتخذوا عند الله عهداً هم الصالحون، والذين لا يملكون الشفاعة هم الكافرون.

﴿مَنِ﴾: ابتدائية للعاقل، اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي اتخذ عند الرّحمن عهداً: يمكن أن يشفع له، ولكن بشرط أن يؤذن له، ويرضىٰ له قولاً.

«له قولاً»؛ أي: لا إله إلا الله، كما ورد في سورة طه الآية (١٠٩).

﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: الملائكة والأنبياء والشهداء وغيرهم من الصالحين، والعهد قيل: هو لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما قال ابن عباس، والإيمان بها، والقيام بحقها، أو العهد: الإيمان بالله وحده، وما أنزل؛ أي: كتبه، ورسله، والملائكة؛ الإيمان المرفق بالعمل الصّالح بالقول والفعل.

وما ورد في سورة طه (١٠٩) قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: أي: النّصارىٰ قالوا: عيسىٰ ابن الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿ٱتَّخَذَ﴾: جعل، أو صير.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: الولد يطلق علىٰ الذكر أو الأنثىٰ.

[٨٩] ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: حرف تحقيق.

﴿جِئْتُمْ﴾: قلتم، أو فعلتم، بصيغة المخاطب، ولم يقل: جاؤوا شيئاً إدّاً، كما قال في الآية السّابقة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ بصيغة الغائب، و«جئتم» بصيغة المخاطب، والانتقال من الغائب إلى المخاطب للفت الانتباه إلى بشاعة وخطورة ما يقولون.

﴿شَيْئًا إِدًّا﴾: شيئاً منكراً عظيماً فظيعاً.

الإدّة: الشّدّة، أو الإدّ: النّكر، أو المنكر العظيم، كما قال ابن عباس.

[٩٠] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾:

﴿تَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة. قد تدخل على جملة مثبتة كما في هذه الآية فتدل على عدم وقوعها، وأما إذا دخلت على جملة منفية دلت على وقوعها.

﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: التّفطر: التّشقق؛ أي: تقارب السّموات أن يتشققن منه؛ الهاء: تعود على القول؛ أي: يتشققن من عظم قولهم: اتخذ الرّحمن ولداً!

﴿وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ﴾: تتصدع وتخسف.

﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾: تسقط، وتهوي، وتنهدم، وتتفتت الجبال؛ إجلالاً للرّب الّذي خلقهن.

[٩١] ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾:

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿دَعَوْا﴾: قالوا باطلاً، أو نسبوا الولد إلى الرّحمن.

[٩٢] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾:

﴿وَمَا﴾: استئنافية، ما: النّافية؛ بغىٰ: طلب.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ﴾: وما يليق، أو يصح لجلاله، وكماله الولد؛ لأنّه من المحال؛ لأنّه لم يلد، ولم يولد، فهو سبحانه ينفي عنه انبغاء الولد، فكيف يفترون علىٰ الله الكذب، ويقولون: اتخذ الرّحمن ولداً، وهو سبحانه قادر علىٰ ذلك إذا شاء، و﴿لاصطفىٰ مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ سورة الزّمر، آية (٤)، ولكنّه لا ينبغي؛ لأنّه رب كلّ شيء، وليس بحاجة إلىٰ ولد.

[٩٣] ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾: إن: حرف نفي، كلّ: تفيد توكيد النّفي؛ أي: ما من مخلوق في السّموات والأرض إلا أتي: عائد، أو راجع إلىٰ الرّحمن بما فيهم الملائكة، والنّاس (الإنس والجن).

﴿مَن﴾: استغراقية؛ تعني: العاقل.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في: ظرفية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: آتي: قد تعني: في الدّنيا، أو يوم القيامة؛ فإذا كانت في الدّنيا فهي تشير إلىٰ خضوع كلّ عبد إلىٰ ربه طوعاً، أو كرهاً، إلىٰ مشيئة الله، وإرادته، أو قضائه، وقدره، فلا مفر من ذلك. أمّا في يوم القيامة فهذا بيِّن وواضح.

﴿عَبْدًا﴾: خاضعاً ذليلاً منقاداً.

[٩٤] ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾:

﴿لَّقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾: الإحصاء: هو العد، والكتابة، والجمع، والطّرح، والنّسبة، والحفظ. أحصاهم: الضّمير يعود إلىٰ كلّ من في السّموات والأرض.

﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: العد: هو أن تعد الأرقام: ١، ٢، ١٠، ١٠٠، مائة، ألف، مليون، عداً: للتوكيد، فلا يفوته أحد، أو يخفىٰ عليه أحد.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾:

﴿وَكُلُّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾: وحده ليس معه أهل، ولا ولد، ولا شفيع، ولا ولي، ولا ناصر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:٩٤]، واستعمل «آتيه»؛ لأننا لا زلنا في الطّريق، ولم تقم السّاعة بعد، وإذا نظرنا إلىٰ الآية (٩٥)؛ فهي ليست تكراراً للآية (٩٣)، الآية (٩٣): آتي الرّحمن عبداً ذليلاً، والآية (٩٥): آتي الرّحمن فرداً؛ أي: وحيداً.

❖❖❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طٰهٰ

ترتيبها ٢٠ | آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٣٢

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

سورة مريم [الآيات ٩٦ - ٩٨]

[٩٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: إن: للتوكيد، الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات؛ آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقرنوا ذلك بالعمل الصالح الفرائض والسنن والذكر وغيرها من الأعمال الصالحة.

﴿سَيَجْعَلُ﴾: السّين: هنا تفيد التّوكيد، وزيادة التّوكيد في الدّنيا، وفي الآخرة.

﴿وُدًّا﴾: من المودة الّتي تبدأ بالمحبة، ثمّ لا تقتصر على المحبة، بل محبة يرافقها الإخلاص، والوفاء، وكل مودة محبة، وليس كل محبة تعني مودة، فالمودة أوسع وأشمل؛ لأنّ المحبة تسبق المودة.

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النّبي ﷺ: أنّه قال: «إنّ الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: يا جبريل، إنّي أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثمّ ينادي في أهل السّماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السّماء، ثمّ يوضع له القبول في الأرض»، وفي رواية: «يوضع له المحبة في أهل الأرض».

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾:

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: تعليلية، إنما: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾: هاء الضّمير تعود على القرآن الكريم، يسرنا قراءته وحفظه،

وفهمه وتدبره والعمل به كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلغتك العربية.

﴿لِتُبَشِّرَ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد، وتبشر: من البشارة؛ أي: الإخبار بما يسر؛ أي: بشِّر يا محمّد ﷺ عبادي المتقين بالفوز بالجنة، والنّجاة من النّار، ورضوان من الله أكبر، ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٧]، و﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢].

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: بدلاً من لتبشر به المؤمنين اختار المتقين هو تكريماً وفضلاً من الله تعالىٰ لحثهم علىٰ التقوىٰ.

﴿بِهِ﴾: تعود علىٰ القرآن.

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾: بالقرآن بما فيه من الوعيد؛ والإنذار: هو الإعلام مع التّحذير، والتّخويف، وتكرار (به) للتوكيد، وفصل كلٍّ علىٰ حدة.

﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾: جمع الألدّ: شديدي الخصومة، والمِراء، والجدال، وهم الكفرة، والمشركون.

انتبه لقوله: «لتبشر به»، ولم يقل: لتنذر به، وإنما قال: «تنذر به»، ولو قال ذلك لتساوت البشرىٰ والإنذار، ولكنه سبحانه أكد علىٰ البشرىٰ، ولم يؤكد علىٰ الإنذار؛ لعلهم ينيبون إلىٰ ربهم ويبقىٰ لهم باب الأمل مفتوحاً.

[٩٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٤)؛ للبيان.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيها معنىٰ النّفي، والإنكار، والإجابة عنها تكون بنعم، أو لا، وهي تعني هنا للتعيين أيضاً.

﴿تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: تحس من الإحساس؛ أي: إذا استعملت أدوات إحساسك، وهي: العين، والأذن، والأنف، واليد، هل ترىٰ منهم من أحد لا يزال حياً، أو السّمع هل تسمع منهم من أحد، أو اللمس باليد، أو الشّم، هل تشم رائحة أحد، منهم: خاصة؟

﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾: من: استغراقية تشمل كلّ واحد أهلكناه من أفراد تلك القرون الّذين اندثروا في الأرض، وأصبحوا تراباً وعظاماً.

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: الرّكز الصّوت الخفي، أو الصّوت الّذي لا يُفهم أو لا تكاد تسمعه، وقيل: ما لا يفهم من صوت، أو حركة، وأصل الرّكاز: الخفاء، والرّكاز: المال المدفون في الأرض، وركز الرّمح: غرزه في الأرض؛ فبأيّ أداة من أدوات الحس إذا استعملت فلن تجد لهم أثراً علىٰ وجه الأرض. فالسؤال: هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟ والجواب: لا هذا ولا ذاك.

❖❖❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طٰهٰ

نزلت بمكة ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٣٢

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

سورة طه [الآيات ١ - ١٢]

ترتيبها في القرآن (٢٠) نزلت بعد سورة مريم، وترتيبها في النّزول (٤٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طه﴾:

﴿طه﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

وقيل: طــه تعني: يا رجل في لغة العرب، كما قال ابن عبّاس ، والحســن وســعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمــة، واختلف هؤلاء بأي لغة هي فمنهم بالنبطية، أو بلســان عك، أو السريانية أو الحبشــية، أو لغة قريش وافقت هذا في المعنىٰ.

وقيل: طَأ الأرض بقدميك؛ فقد كان رســول الله ﷺ يقوم في تهجده علىٰ إحدىٰ رجليه، فأمره الله تعالىٰ بأن يطأ الأرض بقدميه، وتعني: لا تتعب نفســك في الصّلاة حتّىٰ تتورم قدميك، وتعني: المراوحة بين القدمين.

[٢] ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾:

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: ما: النّافية، أنزلنــا؛ تعني: إنزاله جملة واحدة، أو دفعة واحدة، وأنزلنا: بصيغة الجمع؛ للتّعظيم، والتّفخيم، أو لكون جبريل مشاركاً في عملية الإنزال، وهناك فرق بين أنزلنا، ونزلنا: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٤).

وهناك فرق بين عليك وإليك: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٤)، وبين القرآن

والكتاب: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة الحجر، وجمع بين الاسمين؛ لأن القراءة والكتابة للتعرف عليه وحفظه من التحريف والتبديل.

﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: اللام: لام التّعليل؛ تشقىٰ: تتعب، وأصل الشّقاء في اللغة: العناء؛ أي: التّعب الشّديد، أو الجهد فقد كان ﷺ يقوم الليل ويراوح بين قدميه لطول القيام أو الجهد في تبليغ الرسالة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]؛ أي: مهلك، وقاتل نفسك أن يؤمنوا؛ فقد ذكر الواحدي في أسباب النزول. قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ إنك لتشقىٰ بترك ديننا وذلك لما رأياه من طول عبادته واجتهاده فأنزل الله هذه الآية.

[٣] ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ، وإنما أنزلناه تذكرة لمن يخشىٰ.

﴿تَذْكِرَةً﴾: أي: أنزلناه تذكرة، أو مذكراً لمن يخشىٰ؛ لأنّ الإنسان معرض للنسيان، وتذكرة مصدر لفعل: ذكر «الرّباعي».

﴿لِّمَن﴾: اللام: للاختصاص، ومن: ابتدائية.

﴿يَخْشَىٰ﴾: الخشية: هي الخوف المقرون بالعلم، والمهابة من الّذي يخشاه.

وخص الخاشي؛ لأنّه هو من ينتفع به، وأمّا من لا ينتفع بالقرآن فهو الّذي لا يقرأ ويعمل به، ولا يتأثر به، كذلك هو هدىٰ للمتقين، ونذير للعالمين، وهدىٰ ورحمة للمحسنين، وهدىٰ للناس أجمعين.

[٤] ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾:

﴿تَنزِيلًا﴾: أي: نُزل هذا القرآن تنزيلاً من الّذي خلق الأرض والسّموات العلىٰ.

﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾: وذكر خلق الأرض والسّموات العلىٰ؛ لأنّهما من أعظم المخلوقات، وأكبر من خلق النّاس.

﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾: خلق الأرض والسّموات العلىٰ في لحظة واحدة معاً، ثمّ ميز الأرض بإنزال الحديد، وميز السّموات إلىٰ سبع سموات. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء، آية (٣٠)، والأعراف آية (٥٤)، وسورة فصلت، آية (١٠-١٢)، والبقرة، آية (٢٢-٢٩)؛ لبيان معنىٰ الخلق.

﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾: السبع سموات. العلىٰ: مؤنث أعلىٰ، وجمع عُليا، أو سموات عُلىٰ.

[٥] ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾:

استوىٰ قيل: علا، وارتفع علىٰ العرش استواءً يليق بجلاله، وعظمته من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، والعرش شيء مخلوق ومن علم الغيب. وقد أشارت الأحاديث أن العرش أعلىٰ المخلوقات، وهذا ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة» فهو فوق السماء السابعة، وهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قضىٰ الله أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل

السماء الذين يلونهم»... إلىٰ نهاية الحديث. ارجع إلىٰ سورة يونس، آية (٣)، وسورة هود آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

[٦] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾:

﴿لَهُۥ﴾: تقديم له يفيد الحصر؛ أي: له وحده ما في السّموات وما في الأرض.

اللام في «له»: لام الاختصاص، والاستحقاق له ملكاً وحكماً وتدبيراً.

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أي: السّموات نفسها، وما فيها من مخلوقات، ومجرات، وخزائن، وكواكب، ونجوم، وشموس، وأقمار.

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: كوكب الأرض، وما فيه من خيرات، ومعادن، وثروات، وجبال، وأنهار، وبحار. وتكرار ما في: يفيد التوكيد، وفصل كل منهما عن الأخرىٰ، أو كلاهما معاً.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث يختلط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السّماء، فهذا الغلاف الغازي ليس من الأرض بالكامل، وليس من السّماء بالكامل، وبقي فاصلاً بين السّماء والأرض.

﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: الثّرىٰ: هو التّراب، ما تحته من كنوز، وثروات؛ مثل: البترول، والمعادن، مثل: الحديد، والذّهب، والنّحاس، والأحجار الثّمينة؛ مثل: الرّخام... وغيرها.

[٧] ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾: ما يتكلم به القائل من القول سواء أكان مفرداً، أم جملة، أو يلفظ به بلسانه، ومهما كان نوع القول، أو الدعاء.

﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: جواب الشّرط تفيد التّوكيد؛ إنّه: لزيادة التّوكيد.

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: ما تسرهُ في نفسك من قول أو فعل، ولا يعلمه أحد غيرك. والأصل في السّر: تغطية الشّيء بغطاء.

﴿وَأَخْفَى﴾: من السّر؛ أي: يعلم ما توسوس به نفسك، أو ما تخفي من المعاني، والأخبار، أو تحتفظ به في نفسك، ولا يعلمه أحد، وتخاف أن يطلع عليه أحد.

[٨] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨٠) من سورة الأعراف؛ للبيان.

[٩] ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾:

﴿وَهَلْ﴾: الواو استئنافية؛ هل: استفهامية فيها معنىٰ التّشويق، وتقرير وتثبيت الخبر في نفس المخاطب.

﴿أَتَىٰكَ﴾: بلغك، وصل إليك.

﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: الحديث: الخبر، أو ما يُبلغ به الإنسان من كلام سواء بالسّمع، أو بالوحي.

[١٠] ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني للزمن الماضي.

﴿رَءَا نَارًا﴾: وهو عائد من مدين إلى مصر مع أهله، وكان قد أخطأ الطّريق في ليلة شاتية باردة كما قال ابن عباس.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾: زوجته وولد له.

﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾: أقيموا مكانكم، المكث: الانتظار الغير محدد بزمن؛ أي: ابقوا في مكانكم، وربما قال: امكثوا بعد أن سأله أهله: نأتي معك، أو نبقى هنا ننتظرك؟

﴿إِنِّىٓ﴾: للتوكيد.

﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أبصرت ناراً، وبدلاً من أن يقول أبصرت قال: آنست؛ أي: أبصر ناراً شعر معها بالأُنس، وشيء من الطّمأنينة؛ أي: آنست؛ أي: أبصرت ما يؤنس به.

﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم﴾: لعلي من لعل + إضافة ياء المتكلم، ولعل: لترجي المتوقع حصوله عادة، وهنا تعني لمطلق التوقع سواء حدث ما يتوقعه أم لم يحدث فهي تعني: احتمال غير مؤكد فيه نوع من الخوف والرّجاء؛ أي: لعلي أذهب فأجد جذوة من النّار آتيكم بها، ولم يقل: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل:٧]، سآتيكم: فيه نوع من التّأكيد، والثّقة بالنّفس، والقطع، أو الجزم.

﴿مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: القبس: شعلة من النّار، تقبس من النّار سواء كانت جذوة كقوله تعالى: ﴿جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص:٢٩]، أم شهاباً كقوله تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل:٧].

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: هدى: نكرة؛ أي: أجد أي شيء يهدينا إلى الطّريق، أو هادياً يهدينا، أو يدلنا إلى الطّريق.

[١١] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: تدل على التّرتيب والمباشرة؛ لما بمعنى: حين.

﴿أَنَسَهَا﴾: من الإتيان: وهو المجيء بسهولة، ولم يصلها بعد؛ أي: في طريقه إليها، ولو قال: جاءها؛ يعني: وصل إليها وبصعوبة.

﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾: فوجئ بمن يناديه باسمه: يا موسىٰ، ويمكن القول: إنّ موسىٰ اطمئن وفرح بمن يناديه باسمه، ولكنه راح يبحث عن مصدر الصّوت فلا يجده.

[١٢] ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾:

﴿إِنِّيٓ﴾: للتوكيد.

﴿أَنَا۠﴾: للتوكيد والدّلالة علىٰ التّوحيد.

﴿رَبُّكَ﴾: أي: الّذي يكلمك ربك: خالقك ومدبر أمرك ورازقك، ولم يقل إنّي أنا إلهك، الألوهية تدل علىٰ العبودية.

﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: اخلع نعليك الآن، نعليك: حذاءك.

﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: أي: المطهر، والباء في قوله بالواد: ظرفية.

﴿طُوًى﴾: اسم للوادي؛ إذن اسم الوادي هو: الوادي المقدس طوىٰ، وهذا يسمىٰ الإيضاح بعد الإبهام؛ فقد قال سبحانه لموسىٰ: إنك بالواد المقدس «إبهام»، ثمّ بين اسم الواد المقدس فقال: طوىٰ «إيضاح».

أمّا السّبب في خلع نعليه فقد قيل: للتواضع والخشوع، أو لكون الوادي مطهراً، ومقدساً، أو لأنّ نعليه غير طاهرين، فالله أعلم.

❖❖❖

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن
لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

سورة طه [الآيات ١٣ - ٣٧]

[١٣] ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾:

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾: لتكون رسولاً إلىٰ فرعون وقومه، أو ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤].

﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: ولم يقل: واسمع لما يُوحىٰ؛ استمع: تعني: بقصد وجدٍّ، واهتمام، وجنِّد كلّ حواسك وعقلك لما سيقال لك.

﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: أي: للذي يوحىٰ، أو للوحي يوحىٰ؛ من الإيحاء لغة: هو الإعلام بالخفاء، وهناك وسائل مختلفة يتم بها الإيحاء، والإيحاء هنا: الكلام من وراء حجاب. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنىٰ الوحي.

لما يوحىٰ: لما سيذكرُ إليك، وهو: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾، وهذا يطلق عليه: الإيضاح بعد الإبهام (الوحي).

[١٤] ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾:

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا﴾: انظر في الآية (١٢) قال تعالىٰ: إنّي أنا ربك؛ أي: الخالق، والمربي، والمدبر، والرّازق لكلّ مخلوق مؤمن، أو كافر، وفي هذه الآية (١٤) يقول: إنني أنا الله: إنني أنا المعبود صاحب التّكاليف، والآمر والنّاهي.

إنني: بدلاً من إنّي؛ إضافة النّون للتوكيد، والمقام مقام توحيد، وتبليغ.

أنا: ضمير فصل يفيد التّوكيد، ويدل علىٰ التوحيد.

﴿ٱللَّهُ﴾: واجب الوجود، اسم الذات الإلهية، الجامع لكلّ صفات الكمال الإلهية، وهو الاسم الّذي تفرد به سبحانه، واختصه لذاته.

﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾: الفاء: للتوكيد؛ اعبدني: أطع أوامري، وتجنب نواهيَّ، ولا تشرك بي شيئاً، والعبادة تشمل: كلّ قول وعمل صالح، ولا تكون إلا لله وحده، ولا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، وتعني: الخضوع، ولها أجر، ولها منهج رباني.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾: أقم؛ أي: أتم الصّلاة بشروطها، وأركانها، وخشوعها، وسننها، ووقتها، وخص الصّلاة من بين سائر العبادات؛ لأنّها عماد الدّين، والصّلة الدّائمة المستمرة بين العبد وربه، والصلاة تجمع أركان الإسلام الخمسة؛ أي: تمثلها.

﴿لِذِكۡرِيٓ﴾: اللام: لام التّعليل؛ أي: لتذكرني، وبإخلاص؛ أي: خالصة لي، وابتغاء مرضاتي، فقوله تعالىٰ فاعبدني (تشمل كل العبادات)، ثم عاد وذكر وأقم الصّلاة: ذكر الخاص (الصّلاة) بعد العام (اعبدني): للاهتمام بالصلاة، والتّوكيد.

[١٥] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾:

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: إنّ: للتوكيد. السّاعة: ساعة، أو لحظة تهدُّم النّظام الكوني الحالي، وسمي بالسّاعة؛ لأنّها تأتي بغتة في ساعة، والسّاعة جزء من الزّمان، من قبيل إطلاق الجزء علىٰ الكلّ.

﴿ءَاتِيَةٌ﴾: ولم يقل: لآتية، كما في سورة الحجر، الآية (٨٥) التي جاءت في سياق مخاطبة قريش أكد بأن واللام، ولم يقل: آتية لا ريب فيها، كما في سورة الحج الآية (٧) التي جاءت في سياق إنكار البعث أكد بأن ولا ريب فيها، أو: لآتية لا ريب، كما في سورة غافر الآية (٥٩) التي جاءت في سياق منكري البعث والحساب، والذين يجادلون في آيات الله، فأكد بأن واللام ولا ريب فيها ثلاث توكيدات؛ أما في آية سورة طه: لم يؤكد لا بلام، ولا بإضافة: لا ريب فيها،

أو كلاهما معاً؛ لأنّ الله سبحانه يكلم موسىٰ، وموسىٰ أصبح رسولاً ونبياً، فلا يحتاج إلىٰ توكيد؛ لأنّه مؤمن بالله سبحانه وبالبعث وبالسّاعة.

وأما السياق في آية غافر: فهو في الذين يجادلون في آيات الله، وينكرون الساعة، فلذلك أكد بإن واللام في كلمة (لآتيه، ولا ريب فيها) ثلاث توكيدات.

وأما في سورة الحجر: فالسياق في خلق السموات والأرض.

وأما في سورة الحج: فالسياق في تعداد الآيات الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ.

وأما في آية الكهف: فهو لا يتحدث عن قيام الساعة؛ أي: نهاية الكون، وإنما عن ساعة قيام الفتية من نومهم؛ أي: بعثهم بعد (٣٠٩سنة) لنقارن هذه الآيات معاً:

ففي سورة الحجر آية (٨٥) قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾: أكد بإن واللام.

وفي سورة طه آية (١٥) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: أكد بإن.

وفي سورة الحج آية (٧١) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: أكد بأن واللام ولا ريب فيها.

وفي سورة غافر آية (٥٩) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: أكد بإن واللام ولا ريب فيها.

وفي سورة الكهف آية (٢٠) قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: بدون آتية أو لآتية.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: لها معنيان: الأوّل: أسترها ولا أخبر بها أحداً.

الثّاني: أي: أظهرها، أو أزيل إخفاءها؛ أي: أظهر علاماتها الصّغرىٰ والكبرىٰ، فلم تعد خافية إلا وقت وقوعها. أكاد: من أفعال المقاربة هنا؛ تعني: زمن وقوعها.

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: لتجزىٰ: اللام للتعليل.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿تَسْعَىٰ﴾: أي: تعمل، أو تكسب؛ أي: تقوم به من خير، أو شر، والسّعي: الحركة والعمل بجد.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: الصّد: هو المنع عن قصد الشّيء، والنّون في «يصدنك» للتوكيد، لا يصدنك: لا يمنعنك عن الإنذار بها، وهاء الضمير تعود علىٰ السّاعة.

والتّحذير منها، والتّبليغ عنها، والاستعداد لها، من لا يؤمن بها: من: ابتدائية، لا: النّافية، لا يؤمن بها؛ أي: لا يصدق بها، ولا بالبعث والآخرة من هؤلاء الكفرة، وإن كثر هؤلاء فلا يثبطنّك تكذيبهم بها، ولا يهمنّك إعراضهم.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في عدم الإيمان والتّصديق بها الناجم عن اتباع الهوىٰ بلا برهان، ولا دليل لهم، أو تقليد لآبائهم. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (١١٩)؛ لبيان معنىٰ الهوىٰ.

﴿فَتَرْدَىٰ﴾: أي: إن فعلت ذلك تهلك، تردىٰ: من الرّدىٰ: وهو الهلاك. والخطاب وإن كان موجهاً إلىٰ موسىٰ ـ وحاشا أن يفعل ذلك ـ فهو موجه إلىٰ أمته، أو تعني: إذا صد عنها إنسان ما ولم يؤمن بالسّاعة والبعث والحساب، سيردىٰ؛ أي: سيهلك، والفاء في كلمة «فتردىٰ»: فاء السّببية.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية؛ ما: استفهامية للتقرير؛ ما: لغير العاقل.

﴿تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾: تلك: اسم إشارة للمؤنث، وتشير إلىٰ العصا.

﴿بِيَمِينِكَ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: في يدك اليمنىٰ، والله سبحانه يعلم ما هي، ولكن الحق سبحانه يريد أن يخفف من خوف موسىٰ، ويهدأ روعه من هذه المفاجأة المذهلة: تكليم موسىٰ من وراء حجاب، ولكون هذه العصا ستكون المعجزة الكبرىٰ لموسىٰ فيما بعد حين تنقلب إلىٰ حية تسعىٰ، وفي ذلك تحضير نفسي لما سيحدث بعد قليل.

[١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾: قال: موسىٰ؛ هي: للتوكيد، وتدل علىٰ الإجابة بإخلاص.

﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: أي: أضرب بها ورق الشّجر؛ ليسقط فترعاه غنمي، وعادة ما يسقط الورق اليابس، وأهش من الهشاشة، والشّيء الهش ينكسر، أو يتفتت، أو يسقط بسرعة، وهنا يعني: ورق الشّجر، ولو كان يعني بها زجر الغنم لاستعمل كلمة أهس بالسّين، وليس بالشّين، وأتوكأ عليها حين التّعب، أو الإعياء، وقد تسمىٰ العصا منسأة كما ورد في قصة سليمان، ومنسأة؛ لأنها تستعمل في زجر الإبل وسوقها، ومنسأة من نسأ؛ أي: زجر، أو أخر؛ وتعني: أن هذه العصا (المنسأة) التي أخرت الجن من العلم بأن سليمان قد مات؛ ارجع إلىٰ سورة سبأ آية (١٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾: أي: لي فيها حاجات أخرىٰ.

﴿مَآرِبُ﴾: جمع مأربة؛ أي: منفعة، ولا أرَبَ لي في كذا؛ أي: لا حاجة لي فيه؛ كقوله: ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور:٣١]، والإربة؛ أي: الحاجة، ومن هذه المآرب: الدّفاع عن النّفس، أو الصّيد، وقتل هوام الأرض، أو يضع عصاه علىٰ كتفه يعلّق عليها زاده.

[١٩] ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ﴾:

قال تعالىٰ لموسىٰ: ألقها: ارْم بها علىٰ الأرض؛ أي: اطرحها.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾:

﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، ألقاها: طرح بها على الأرض: رمى بها على الأرض.

﴿فَإِذَا﴾: إذا الفجائية، والفاء للتوكيد.

﴿هِيَ﴾: للتوكيد.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: تتحرك، وتمشي بسرعة.

وفي سورة القصص الآية، (٣١): وصفها: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، في الحركة كأنّها فرخ الحية.

وفي سورة الشّعراء، الآية (٣٢)، وسورة الأعراف، الآية (١٠٧): ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ في الحجم، والطّول، والعمر، فكانت عصا موسى تتحول من شكل إلى شكل حسب المقام والمشهد أمام فرعون تصبح ثعبان، وأمام موسى وحده حية تسعى، أو كأنها جان، كما سنرى في الآيات الأخرى، وهذا يدل على عظمة قدرة الله تعالى.

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾:

في هذه الآية لم يذكر الله سبحانه ما حدث لموسى من أنّه ولّى مدبراً ولم يعقّب، وإنما اختصر المشهد بقوله: خذها ولا تخف.

﴿خُذْهَا﴾: أي: أمسكها بيدك.

﴿وَلَا تَخَفْ﴾: لا: النّاهية، تخف: من أن تلدغك، أو تؤذيك. قال تعالى لموسى لا تخف؛ لأن موسى كان في أول اختبار مع العصا، فظهرت عليه علامات الخوف بينما في سورة الشعراء آية (٣٢)، وفي سورة الأعراف آية (١٠٧) لم يذكر الخوف؛ لأن موسى في موقف التحدي مع السحرة وأمام الناس، وعلم أن العصا واليد من آيات الله تعالى.

﴿سَنُعِيدُهَا﴾: السّين للاستقبال القريب، أو التّوكيد.

﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: سنعيدها إلىٰ هيئتها الأولىٰ الّتي كانت عليها قبل أن تتحول إلىٰ حية؛ أي: سنعيدها عصا يابسة من خشب، فكأن ذلك كان تدريباً لموسىٰ، وأنّها ستكون معجزته الأولىٰ في صراعه مع فرعون وملئه.

[٢٢] ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾:

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: أدخل يدك اليمنىٰ تحت عضدك الأيسر (جناحك)، ثمّ أخرجها، تخرج بيضاء: بيضاء تشع بالنّور، ويد موسىٰ كانت سمراء اللون.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: من غير مرض؛ فقد تكون بيضاء بسبب مرض مثل: البرص، أو مرض جلدي، والسوء: كل ما يسيء إلىٰ النفس، والسوء: اسم مصدر لا يجمع، والسوء له معان كثيرة جداً؛ منها: العذاب، والشرك، والمرض، والذنب، والعقاب، والضر، والظلم، والقبيح؛ والسيئة: من السوء، وجمعها سيئات.

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾: معجزة ثانية.

[٢٣] ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾:

﴿لِنُرِيَكَ﴾: اللام: لام التّعليل؛ نريك: من الرؤية، وهي الرؤية البصرية، وفيها معنىٰ الرؤية القلبية والفكرية.

﴿مِنْ﴾: بعضية من بعض.

﴿ءَايَٰتِنَا﴾: جمع آية، والآية هنا تعني: المعجزة، أو الشّيء الخارق للعادة، أو العلامة، وأضاف الآيات إليه سبحانه لعظمها وشرفها، ولم يقل لنريك من الآيات الكبرىٰ، وتعني من الآيات التسع وغيرها من الآيات الكونية والمعجزات.

﴿ٱلْكُبْرَى﴾: العظمىٰ: من بعض الآيات الكبرىٰ الدّالة علىٰ قدرتنا وعلىٰ نبوتك.

[٢٤] ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾:

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: رسولاً بهاتين الآيتين إلىٰ فرعون، ولم يذكر قوم فرعون، أو ملئه في هذه الآية، وإنما ذكر فرعون فقط؛ لأنه رأس الفتنة، والذي ادعىٰ (أنا ربكم الأعلىٰ)، وفرعون يمثل أتباعه (ملئه أو قومه)، والذين وصفهم الله سبحانه في الآية (١٠-١١) من سورة الشعراء بالقوم الظالمين فقال تعالىٰ: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾؛ ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون الأب أم الابن.

﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: إنّه: للتوكيد؛ طغىٰ: تجاوز الحد في الكفر والكبر والظلم والفساد؛ فقال لقومه: أنا ربكم الأعلىٰ. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾:

أي: اجعل صدري واسعاً فسيحاً لتقبُّل التّكاليف؛ أي: أعطني الصّبر، والحلم، والحكمة، وعدم الخوف؛ للقيام بأعباء الرّسالة، وبما كلفه الله تعالىٰ من الذّهاب إلىٰ فرعون.

﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: اللام: لام الاختصاص.

[٢٦] ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾:

﴿وَيَسِّرْ﴾: سهل لي أمري: من الذّهاب إلىٰ فرعون، وملئه، ودعوتهم إلىٰ الإيمان، والتّوحيد، والقيام بما أمرتني.

[٢٧] ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾:

﴿وَاحْلُلْ﴾: من الحل؛ يعني: أزل العقدة من لساني حين أتحدث إلىٰ فرعون وملئه؛ لأن موسىٰ عليه السلام كان يضيق صدره إذا كذبه القوم أو فرعون، أو

يتلعثم ولا ينطلق لسانه، ولذلك كان فرعون يُعيرُ موسىٰ أنه: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢]؛ أي: لا يحسن البيان.

أي: أزل تلك العقدة من لساني؛ حتّىٰ ينطلق لساني في تبليغ الرّسالة.

[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾:

أي: يفهموا ما أقوله، الفقه: يعني: الفهم.

[٢٩] ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾:

﴿وَزِيرًا﴾: الوزير: المعين، والظّهير، وكلمة «الوزير» مشتقة من الوزر، والوزر: هو الحمل، أو الثّقل؛ لأنّ مهمة الوزير تحمُّل بعض أعباء المِلك.

ويقال: آزره: أي: قواه وأعانه؛ أي: اجعل لي معيناً أو مساعداً.

﴿مِّنْ أَهْلِى﴾: خاصة؛ ليكون أميناً مخلصاً أستطيع أن آمنه وأثق به.

[٣٠] ﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾:

اختار موسىٰ أخاه هارون؛ ليكون وزيراً له، وكان هارون أكبر من موسىٰ سناً، قيل: بأربع سنوات، وقيل: سنة واحدة، وكان فصيح اللسان، ومحبوباً من بني إسرائيل، ومهيب الهيئة. قال: اجعل لي وزيراً من أهلي، ثمّ بيّن الوزير باسمه فيما بعد؛ فهذا يسمىٰ: الإيضاح بعد الإبهام بالقول: هارون أخي.

فأجاب الله سبحانه طلبه، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان:٣٥].

[٣١] ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾:

﴿ٱشْدُدْ﴾: من شدّ الإزار؛ أي: قوي به ظهري، أضف قوته إلىٰ قوتي، فكانت الإجابة: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ [القصص:٣٥].

﴿أَزْرِى﴾: من الأزر: القوة، وآزَرَه؛ أي: عاونه.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾:

أي: يكون شريكاً في أداء الرّسالة والدّعوة.

﴿وَأَشْرِكْهُ﴾: أي: اجعله شريكاً لي.

فكانت الإجابة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣].

[٣٣] ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾:

﴿كَيْ﴾: تختص بالتّعليل الحقيقي (كي التّعليلية)، فهذه هي العلة الحقيقية، أو أهم سبب في المشاركة هي التّسبيح والذّكر.

﴿نُّسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: والتّسبيح هو تنزيه الخالق في ذاته وصفاته، وأفعاله من كلّ نقص، أو عيب، ومن الشّريك، والولد، وليس كمثله شيء، وكثيراً؛ أي: دائماً، والتّسبيح يعني كذلك: الصّلاة.

[٣٤] ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾:

﴿وَنَذْكُرَكَ﴾: من الذكر، وهو أعم من التسبيح؛ فالذّكر يشمل الحمد، والتّكبير، والشّكر، والتّهليل، والدّعاء، والتسبيح، والصّلاة، والدّعوة، والوعظ، وغيرها مثل: حِلق العلم، ودراسة الكتب المنزلة، والآيات؛ فهو قد ذكر العام بعد الخاص (التسبيح) للتوكيد، ومن بديع اللغة.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عالماً بأحوالنا، ومطّلعاً على أعمالنا (أفعالنا وأقوالنا) رقيباً علينا.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال سبحانه رداً على ما طلبه موسى.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أوتيت من الإيتاء: وهو العطاء؛ أي: أُعطيت ما سألت يا موسىٰ، والإيتاء يضمّ الأشياء المحسوسة، وغير المحسوسة، والإيتاء: ليس فيه تملّك، كما هو الحال في العطاء؛ فقد يسترد الله سبحانه ما أعطىٰ لعبده، والإيتاء: أعم من العطاء، وأما العطاء ففيه تملّك.

﴿سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: جميع ما طلبت وسألت. يا موسىٰ: نداء فيه معنىٰ الحنان والعطف.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: تفيد التحقيق.

﴿مَنَنَّا﴾: من المنة: وهي العطاء بدون مقابل، علىٰ خلاف الجزاء الّذي هو العطاء مقابل العمل.

﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾: هذه المنة الأخرىٰ: هي ما ذكره في الآية: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كي تنجو من القتل من فرعون وجنوده.

فالمنة الأولىٰ: منة النّبوة، والمنة الأخرىٰ: هي ما أوحينا إلىٰ أمك؛ أي: منة النّجاة من القتل، أو الذّبح من فرعون، وجنوده.

❖❖❖

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

سورة طه [الآيات ٣٨ - ٥١]

[٣٨] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾:

﴿إِذْ﴾: بمعنىٰ: واذكر إذ أوحينا إلىٰ أمك، أو واذكر حين أوحينا إلىٰ أمك؛ إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾: أوحينا بطريق الإلهام، ولمعرفة معنىٰ: أوحينا ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

أوحينا إليها: إذا خفتِ عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧]، فإذا خفت عليه من القتل، أو الذّبح؛ لأنّ فرعون كان يذبح، أو يقتل أبناء بني إسرائيل، ويستحيي نساءهم، أوحينا إليها: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه:٣٩].

﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي.

[٣٩] ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾:

﴿أَنِ﴾: تعليلية مصدرية تفسيرية.

﴿ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾: القذف: هو الإلقاء بسرعة؛ أي: ألقي موسىٰ في التّابوت بسرعة، وبدون تردد؛ حتّىٰ لا تأخذها عاطفة الأمومة، وتتوقف، أو تتأخر عن القيام بذلك.

﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾: الفاء: للمباشرة، وتكرار (اقذفيه): للتوكيد وعدم التردد؛ أي: اقذفي التّابوت وفيه موسىٰ؛ في اليم: يعني النهر الكبير؛ أي: في نهر النّيل،

والبحر أعم وأوسع وأكثر ماءً من اليم، ومن خصوصيات القرآن استعمل كلمة اليم في مقام الخوف والعقوبة، وأما البحر استعمل في مقام النجاة.

﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾: الفاء: للمباشرة، فتجري أمواج نهر النّيل به، حتّى تلقيه بالسّاحل عند قصر فرعون، كما قدر الله سبحانه وقضى، وكأنّ أمواج نهر النّيل أُمرت بذلك، وتعلم أين تأخذ موسى، وتجري به إلى مكان يأخذه عدو لي وعدو له، وهو فرعون.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾: أي: تلتقطه حاشية فرعون فيأتون به إلى فرعون الّذي هو عدو لي؛ (أي: عدو لله تعالى)؛ لأنّه كان يدعي الألوهية، وأنّه ربهم الأعلى.

﴿وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾: عدو لموسى؛ لأنّ فرعون سيحاول قتل موسى، ويقف حائلاً أمام دعوته، والتّصديق له.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾: عليك: خاصة تفيد الحصر، محبة مني: أي: ألقى الله سبحانه؛ أي: زرع الله في قلوب عباده محبة لموسى، فكلّ من رأى موسى أحبه، حتّى فرعون نفسه أحب موسى، ولم يقتله، ورعاه ورباه في قصره حتّى بلغ أشده، واستوى، وكذلك امرأة فرعون قالت لفرعون: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص:٩].

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾: لتصنع: تعني: تُربّى على مرأى من عيني؛ أي: برعاية، وحفظ مني، واللام في كلمة «لتصنع» للتوكيد، والتّعليل، فهو وإن كان يُربى وينشأ في قصر فرعون، فهو يُربى وينشأ تحت رعاية الله سبحانه، وتربية موسى شبهت بالصّناعة، والصّناعة تعني: الجودة في العمل، أو الصنع، وتحتاج إلى مهارة وصبر ودقة وحكمة، وكذلك يحب أن تكون تربيتنا لأطفالنا كأنّها صناعة.

وإذا قارنا قوله تعالى لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ بقوله لمحمد ﷺ:

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]؛ أي: أنت تحت رعايتنا، ولم يقل ولتصنع على عيني؛ لأنّ زمن الصنع فات، والرسول ﷺ كان بعد سن الأربعين.

[٤٠] ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي تقديره: واذكر إذ تمشي أختك، ويمكن ربطها بالآية السّابقة: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ إذ تمشي أختك فتقول: هل أدلكم على من يكفله، هذا أحد الأمثلة على هذه الصّناعة، وهذه الآية يمكن ربطها بالآيتين (١١-١٢) من سورة القصص: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهُ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾، ومعنى قصّيه؛ أي: بعد أن ألقته أمه في اليم (نهر النّيل) قالت أمّ موسى لأخت موسى: قصّيه؛ أي: اتبعي أثره، أو خبره، فعلمت أنّه أمسى في بيت فرعون، وبعد ذلك علمت أنّهم يبحثون له عن مرضع حيث كان موسى يرفض الرّضاعة من المرضعات، وكما قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:١٢]؛ عندها تدخّلت أخته بخفاء، واقترحت للباحثين لموسى عن مرضع بقولها:

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾: هل: حرف استفهام أقوى وآكد في الاستفهام من الهمزة فعل أأدلكم، تحمل معنى العرض، أدلكم: أخبركم: أعلمكم.

﴿عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾: على: تفيد العلو والمشقة. من: ابتدائية؛ أي: يكفل إرضاعه، أو: هل أدلكم على مرضع له يمكن أن يقبل ثديها، أو تتعهد إرضاعه؟

﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة، رجعناك: من الرّجوع؛ يعني: أن تعود إلى الحال الّتي كنت عليها قبل ترك المكان الّذي خرجت منه، وهناك فرق بين رَجَعَ وبين رجعك وأرجعك، رَجَعَ: فعل لازم؛

أي: رجع بذاته وبإرادته، أمّا فرجعناك: كما في هذه الآية، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة:٨٣]، فعل متعدٍّ يعني: أرجعه الله سبحانه، أو غيره، فرجعناك إلىٰ أمك؛ أي: الله سبحانه وتعالىٰ هو الّذي أرجعه إلىٰ أمّه؛ كي يرضع منها، وتقر عينها، وفي سورة القصص آية (١٣) قال تعالىٰ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾؛ ارجع إلىٰ سورة القصص آية (٧) لبيان معنىٰ رادوه إليك.

﴿كَىْ﴾: للتعليل الحقيقي؛ أي: السّبب الحقيقي لإرجاعه.

هو أن ﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: تُسر وتطمئن، وترتاح، وتقر؛ تعني: تثبت وتسكن، ولا تبحث عنه، وليس الإرضاع هو السّبب. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنىٰ تقر عينها.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: الحَزَن: ضيق في الصّدر دائم كالهم من فقدان ولد، أو ضياع مُلك، وموت بسرطان، فلولا أن رجعناك إلىٰ أمّك لاستمر حَزَنُها حتّىٰ تموت، وفي سورة القصص الآية (١٣) قال تعالىٰ: ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٣٣) لمعرفة الفرق بين الحَزَن والحُزن.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: حين دخلت المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها، فوجدت فيها رجلين يقتتلان، فاستغاثك الّذي من شيعتك علىٰ الّذي من عدوه فوكزته فقضيت عليه. ارجع إلىٰ سورة القصص، الآية (١٥-١٩).

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: الغم: الخوف الذي حصل من قتل القبطي (الّذي كان عدوه)، أو الحُزن المهلك.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾: فتنّاك: من الفتنة؛ أي: عرضّناك لفتن كثيرة؛ أي: ابتلاءات كثيرة.

﴿فُتُونًا﴾: قد تكون مصدر، ويمكن أن تكون جمع: فتنة، مصدر لفعل: فتن، والفتنة أشد وأبلغ من الاختبار، وتكون في الخير والشّر، والابتلاء لا يكون

إلا بتحمل المكاره والمشاق، أمّا الاختبار: قد يكون بشيء محبوب، أو مكروه؛ مثل: الذّهاب إلى مدين، والعمل عند شعيب، والجوع، والعطش، والفقر، بالعبد وفتناك الصّالح، والتّيه... وغيرها.

وأصل الفتنة: عرض الذّهب على النّار؛ ليتبين صلاحه من فساده، والتّعرف على حاله؛ فالله سبحانه يعلم منذ الأزل نتيجة هذه الفتن، وما سيقوم به العبد، وإجراء الفتنة لإقامة الحُجة على العبد، ويطلع العبد على نتيجة فتنته له.

﴿فَلَبِثْتَ﴾: اللبث: الإقامة المحددة بزمن معين.

﴿سِنِينَ﴾: سنين (٨-١٠ سنوات) والأرجح عشر سنوات.

﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾: أي: تعمل عند شعيب ومقيم في أهل مدين. ومدين: قيل: هو أحد أبناء إبراهيم، وأهل مدين قوم شعيب، ومدين تقع على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتّراخي في الزّمن؛ أي: بعد عشر سنوات (وهو الأرجح).

﴿جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾: ثمّ جئت: رجعت من مدين إلى مصر (طور سيناء).

﴿عَلَىٰ قَدَرٖ﴾: على ميعاد زمني ومكاني محدد قدّره الله تعالى؛ لتكليمك واختيارك للنبوة.

[٤١] ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾:

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ﴾: مشتقة من: الصّناعة، والصّناعة كما قلنا سابقاً تعني: جودة التّربية، والرّعاية، والحفظ من كلّ شر، أو سوء، أو قتل.

فهذا يدل على أنّ صناعة موسى استمرت إلى مرحلة الشّباب، ولم يقل

وصنعتــك: وإنما قال: واصطنعتك: فيها معنىٰ الاهتمــام الخاص مثل التكليم، والوعد، (وواعدنا موسىٰ ثلاثين ليلة)، وتكرار الميعاد والآيات التّسع.

﴿لِنَفْسِي﴾: أي: اخترتك واصطفيتك برسالتي وبكلامي لمهمة خاصة: هي الذّهاب إلىٰ فرعون الطّاغية الّذي ادعىٰ الألوهية، وإلىٰ بني إســرائيل، اللام: لام الاختصاص.

[٤٢] ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾:

﴿ٱذْهَبْ﴾: أنت وأخوك هارون بآياتي (العصا واليد) إلىٰ فرعون وملئه.

﴿أَنتَ﴾: للتوكيــد، كان يمكن القول فقط اذهب وأخــوك بآياتي. أضاف أنت؛ لأن الآيات: العصا واليد هي تخص موسىٰ وحده.

﴿وَأَخُوكَ﴾: هارون.

﴿بِـَٔايَـٰتِى﴾: الباء: للإلصاق والاستعانة.

﴿وَلَا تَنِيَا﴾: لا: النّاهية، تنيا: من التّواني؛ أي: الفتور والتّقاعس، أو التّقصير.

﴿فِى ذِكْرِى﴾: في إقامة الصّلاة، وذكري من التّســبيح، والتّحميد، والتّهليل، وسائر العبادات القلبية والدّعاء.

[٤٣] ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾:

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ﴾: أنت وأخوك إلىٰ فرعون.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿طَغَىٰ﴾: تجاوز حدود الإسراف في الطّغيان، والفساد، والظّلم، والتّكبر، وادعىٰ الألوهية، وأنّه هو الرّب الأعلىٰ.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾:

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: من اللين بدون عنف، أو غِلظة؛ أي: كلاماً لطيفاً سمحاً مرفقاً بالموعظة الحسنة.

﴿لَّعَلَّهُۥ﴾: لعل: أداة تعليل.

﴿يَتَذَكَّرُ﴾: من الذّكر يتذكر ما نسي أنّ الله هو خالقه، والمنعم عليه، ويتوب وينيب إلىٰ ربه.

﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾: من الخشية: وهي الخوف المقرون بالرّهبة، والعلم؛ أي: يخاف ربه، ويخشىٰ عذابه.

والسّؤال هنا: كيف يقول سبحانه: «لعله يتذكر أو يخشىٰ»، والله سبحانه يعلم في علمه الأزلي أنّ فرعون لن يتذكر، أو يخشىٰ من نصح موسىٰ وهارون؟

قيل: لإقامة الدّليل والحجة علىٰ فرعون يوم القيامة بأنّ الله سبحانه لم يدعوه، أو يرسل إليه رسولاً... وقدم في هذه الآية «يتذكر» علىٰ الخشية؛ أي: التّذكر أولاً، وإلا الخشية والخوف ثانياً.

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾:

﴿قَالَا﴾: أي: موسىٰ وهارون.

﴿رَبَّنَآ﴾: حذف ياء النّداء الّتي تستعمل للبعد؛ لقرب المنادىٰ من المنادي؛ لأنّهما يعلمان أنّ الله سبحانه قريب منهما بعلمه.

﴿إِنَّنَا﴾: إضافة النّون للتوكيد.

﴿نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: نخاف أن يُعاجلنا بالعقوبة، ولا ينتظرنا أن نُريه آياتنا.

﴿أَن﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿يَفْرُطَ﴾: الفَرَط في اللغة: المتقدم؛ أي: يبادرنا بالعقوبة، أو يعاجلنا بها.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: أو: للتفضيل، وقد تعني أو: بمعنى (و)؛ أي: يفرط ويطغى معاً. أن: للتعليل والتّوكيد، وتكرارها للتوكيد، وفصل الإفراط عن الطّغيان.

﴿يَطْغَىٰ﴾: من الطّغيان: وهو تجاوز الحد بالظلم وفي عدم الطّاعة، ويطغى علينا: بالقتل، أو التّعذيب.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾:

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾: قال سبحانه «لا»: النّاهية، «تخافا»: منه.

﴿إِنَّنِي﴾: للتوكيد بدلاً من إنّي.

﴿مَعَكُمَآ﴾: مع: ظرف مكاني وزماني؛ أي: معكما مكاناً وزماناً؛ أي: لن أتركما لحظة واحدة، أو اطمئنا.

﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: أسمع أقوالكم، وأرى أفعالكم، ولا يجوز تشبيه سمع ورؤية الخالق سبحانه بسمع ورؤية خلقه، وكما قلنا سابقاً فإنّه سبحانه يعلم ما سيقوله فرعون وما سيعمله منذ الأزل، وإنما ذلك لتطمين موسى وهارون بالذّهاب إليه؛ لإقامة الحجة عليه.

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾:

﴿فَأْتِيَاهُ﴾: احضرا لعنده والتقيا به، والإتيان أسهل، والمجيء وأتى يعني: في المستقبل، وجاء يعني: وصل وحضر وفيه مشقة.

﴿فَقُولَآ﴾: فقولا: الفاء: للمباشرة؛ أي: مباشرة ابدأ بالقول.

﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾: إنّا: أي: موسى وهارون، أو أنا وأخي رسولا ربك مرسلان من ربك؛ أي: ليس أنت الرّب، وفي سورة الشعراء آية (١٦) قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، رسولا: بالتثنية تعني: موسى وهارون، وأما قوله رسول بالإفراد؛ لأن رسالته واحدة، أو أحدهما يمثل الآخر، وكذلك

الرسل تمثل رسول، والرسول يمثل الرسل؛ لأن الكل أرسل من رب العالمين ورسالتهم واحدة.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الفاء: للمباشرة؛ أي: أطلق سراح بني إسرائيل من مصر مباشرة، ودعهم يذهبون معنا؛ أي: موسىٰ وهارون إلىٰ الأرض المقدسة، وفي سورة الأعراف آية (١٠٥) قال تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: لا: الناهية؛ بقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم، ولا تسُمْهُم سوء العذاب.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾: قد: للتحقيق؛ أي: حقاً جئناك بآية: بمعجزة، ودليل، وبرهان.

﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: إعادة كلمة «من ربك» مرتين (إنا رسولا ربك، قد جئناك بآية من ربك): لتهتز أعصاب سمع فرعون بسماع الحق أن هناك رب حقيقي.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: السّلام جاء بصيغة المعرفة، ولم يقل سلام؛ لأنّ السّلام هنا سلام إنذار، ولا يعني سلام التّحية، أو سلام الأمن والطّمأنينة، أو سلام النّجاة من كلّ مكروه، السّلام؛ أي: سلام النّجاة والسّلامة من عذاب الله.

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد العلو والمشقة.

﴿مَنِ﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: أي: اتبع ما أنزل إليه من ربه علىٰ لسان رسله، وكتبه من أوامر ونواهٍ، ولم يقولا لفرعون: سلام عليك؛ لأنّه لم يك متبعاً أيَّ هدىٰ.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾:

﴿إِنَّا قَدْ﴾: للتوكيد. قد: للتحقيق.

﴿أُوحِيَ إِلَيْنَآ﴾: الوحي لغة: هو إعلام بخفاء؛ أي: أخبرنا بالوحي من ربنا. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ للبيان.

﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿ٱلْعَذَابَ﴾: في الدّنيا، أو في الآخرة، والعذاب يكون بالصّواعق، أو الخسف، أو الطّوفان، أو الحرائق، أو الرّيح العقيم، أو الصّيحة، أو المرض والقحط، والجوع، والعطش، والقتل، والسّبي، والخوف، والرّعب، وعذاب القبر، وعذاب النّار... وغيرها من ألوان العذاب.

﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾: علىٰ: تفيد العلو والمشقة.

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿كَذَّبَ﴾: بآيات ربه، ولم يؤمن بها، أو يصدقها.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن آيات ربه؛ أي: ابتعد عنها، ولم يستمع إليها.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾:

هذه الآية تدل علىٰ أنّهما أتيا فرعون وقالا: إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل، والسّلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، وكلّ ما سبق ذكره.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾: قال فرعون لموسىٰ وهارون: فمن ربكما: الفاء: للمباشرة والتّعقيب. من: استفهام فيه معنىٰ الإنكار، والتّعجب، وقال: ربكما، ولم يقل: ربنا؛ لأنّه ما زال يجحد ربوبية الله.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: وجّه الخطاب إلىٰ موسىٰ وحده؛ لأنّ فرعون ربّىٰ موسىٰ، فلعل موسىٰ يتذكر ربوبية فرعون له، أو لأنّ موسىٰ كان المتكلم مع فرعون وهارون المستمع لكونه الوزير.

[٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾:

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ﴾: قال موسىٰ رداً علىٰ سؤال فرعون: ربنا الّذي أعطىٰ كلّ شيء: نكرة: مهما كان نوعه من إنس أو جن، ونبات، وحيوان، وجماد، أو صغير، أو كبير، وسماء، وأرض، وجبال، وشجر، ونجوم، وقمر، معلوم، وغير معلوم.

﴿خَلۡقَهُۥ﴾: صورته؛ أي: شفرته الوراثية الّتي فيها شكله، ولونه، وفطرته، وصفاته.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: ثمّ: للترتيب الذّكري.

﴿هَدَىٰ﴾: أي: هداه بالإلهام، وأرشده بالفطرة كيف يُسبح ويُصلي، ويقوم بوظيفته الّتي سخرها الله له، وكيف يأكل ويشرب، ويدافع عن نفسه، ويحافظ علىٰ نسله.

[٥١] ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾:

﴿قَالَ فَمَا﴾: قال فرعون: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: اسم استفهام.

﴿بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾: القرون الأولىٰ: الأمم الماضية الأولىٰ ما بالها، ما أخبارها وأحوالها؟ فهي لم تقر بالرّب، وتؤمن به، بل عبدت الأصنام، ما مصيرها بعد أن مضت وانقرضت، أو هلكت وزالت؟

❖ ❖ ❖

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

سورة طه [الآيات ٥٢ - ٦٤]

[٥٢] ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾:

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾: قال موسىٰ رداً علىٰ سؤال فرعون: علمها عند ربي؛ أي: لا يعلم حال القرون الأولىٰ، وما كانت تعبد، وما كانت عليه من الإيمان، والكفر، والشّرك، وما حل بها إلا ربي وحده.

﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: أعمالها مدونة في اللوح المحفوظ، أو أعمال كلّ أمة ـ وبالتّالي أفردها ـ مدونة: مكتوبة في كتب الملائكة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٨-٢٩].

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يخطئ ربي، أو لا يغيب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السّماء. ضل الشّيء: خفي وغاب، وضل المسافر الطّريق: ضاع، ولم يعد يعرفه.

﴿وَلَا يَنسَى﴾: النّسيان: هو عدم تذكر الشّيء المعلوم سابقاً، وتكرار (لا): يفيد التوكيد، وفصل يضل عن ينسىٰ، أو كلاهما معاً.

إذن ربي منزّه عن الخطأ والنّسيان والسهو والضياع والغياب.

[٥٣] ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾:

استمر موسىٰ في التّعريف علىٰ ربه لفرعون؛ لعله يتذكر، أو يخشىٰ.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: جعل: صيّر. لكم الأرض: خاصة.

﴿مَهْدًا﴾: أي: مهّدها حتّىٰ تسهل الحياة عليها للإنسان والحيوان، والعلم يؤكد لنا أن الأرض بدأت بتضاريس معقدة شديدة الالتحام؛ فسخر الله سبحانه عوامل التعرية، والرياح، واختلاف درجات الحرارة، والصيف والشتاء والمطر والسيول والجبال؛ لكي يشق لنا الفجاج والسبل.

مهداً؛ أي: سوّاها ومهّدها فجعلها صالحة للعيش، وشبّهها بمهد الطّفل: (فراش الطّفل)؛ فهي رغم دورانها (٣٠) كيلو متراً في الثّانية، فنحن لا نشعر بحركتها، وهذا من فضل الله علينا، ولو اهتزت بمقدار ثمان درجات علىٰ ميزان ريختر، لحدث فيها زلازل عظيمة ولهدمت البيوت ومات الكثير من البشر. ومهداً رغم كونها بيضاوية؛ أي: كروية الشكل.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: سلك: بمعنىٰ أدخل شيئاً في شيء آخر بشكل سهل؛ أي: جعل وصيّر فيها سبلاً؛ أي: طرقاً توصلكم إلىٰ غاياتكم، وفي سورة الزخرف آية (١٠) قال تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فهو قد (جعل لكم) أولاً، ثم (سلك لكم)؛ أي: الجعل قد يسبق السلك؛ أي: صيرها سهلة بعد أن كانت وعرة.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: السّماء تعني: السّحب الرّكامية، وتعريف السّماء: هي كلّ ما علاك، والسّحب في السّماء تعلو الإنسان، فأبدل كلمة السّحب بالسّماء.

﴿مَآءً﴾: أي: ماء المطر، وهذا يشير إلىٰ دورة الماء حول الأرض. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون، آية (١٨).

وأنــزل: جاء بصيغة المفــرد؛ لأنّ المقام مقام توحيــد، فهو يدعو فرعون للتوحيد، وإنزال المطر من السّحب من اختصاصه سبحانه وحده، وأحياناً يقول تعالــى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الفرقان:٤٨]، وذلك في مقــام التّعظيم، والتّفخيم، وتعداد النّعم، فيأتي بصيغة الجمع.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشــرة. أخرجنا به؛ أي: الماء، وعدل في هــذه إلى صيغة الجمع للتعظيم؛ لأنّ إخراج النّبــات في الحقيقة عملية تدل على عظمة الخالــق وقدرته، وإخراج الأزواج يحتاج إلى حرث الأرض وبذرها وســقي الحرث وغيرها؛ فهي عملية يشــارك بها الكثير من النّاس، أو: أخرجنا: للتعظيم.

﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: أزواجاً؛ أي: ذكراً وأنثى؛ لأنّ تكاثر النّبات يحتاج إلى زوجين، وأزواجاً؛ أي: أصنافاً كلّ صنف منها يسمى زوجاً.

﴿مِّن﴾: ابتدائية لبيان الجنس.

﴿نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: أي: نباتــات مختلفــة كثيرة متنوعة في الشّــكل والحجم والفائدة، متنوعــة في الطّعم، والرّائحــة، واللون، وهنــاك اختلافات حتّى في الصّنف الواحد.

﴿شَتَّىٰ﴾: جمعها: شــتيت؛ أي: أشياء كثيرة مختلفة متنوعة؛ فالله سبحانه خلق كلّ شيء من زوجين؛ لتبقى الوحدانية خاصة به، وحده من دون المخلوقات.

[٥٤] ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾:

﴿كُلُوا۟﴾: أنت من النّباتات الشّتى.

﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾: وارعوا من: رعى الماشية يرعاها: إذا أطلقها في المرعى حتّى تأكل وتشــرب. والأنعام ثمانية أزواج: الإبل والبقر، والغنم والماعز، ولم

يقل بهيمة الأنعام؛ لأنّ بقية أصناف الأنعام ترعىٰ لوحدها، ولا نسيطر عليها، وذكر هذه الآية هنا يفيد التّذكير بالنّعم، وأنّ الله سبحانه خلق لكم ولأنعامكم الّتي تأكلوها مقومات الطّعام والشّراب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد في تسخيرها، وكونها متاعاً لنا.

﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: اللام: في «لآيات»: للتوكيد، واللام في «لأولي»: للاختصاص.

﴿ٱلنُّهَىٰ﴾: أي: ذوي العقول، والعقل يطلق عليه النُّهىٰ، والنُّهىٰ: من النهي عن الشّيء، والعقل من العقال الّذي نعقل به الدّابة حتّىٰ لا تشرد، والعقل قادر علىٰ أن يتحكم بأعمال العبد فيبعده عن القبيح والفساد والرّذيلة، ويهديه إلىٰ أفعال الخير، والصلاح، أو بالعكس.

وإذا قارنا أولي الألباب بأولي النُّهىٰ، أولي الألباب: أعلىٰ درجة من أولي النُّهىٰ.

[٥٥] ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾:

بعد كل هذه النعم جعل لكم الأرض مهداً، وسلك لكم فيها سبلاً، وكلوا منها وارعوا أنعامكم، لا تنسوا أنكم ستبعثون منها؛ من الأرض الجديدة.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾: أنّا خلقناكم من الأرض؛ أي: من تراب؛ أي: تأكلون مما أخرجنا لكم من الأرض. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٥)؛ للبيان.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: بعد الموت نعيدكم فيها، وتقديم «فيها» يفيد الحصر؛ أي: لا تعود إلا فيها بعد الموت، والدّفن في القبور.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: أي: مرة أخرىٰ، أو ثانية بالبعث، تارة: بمعنىٰ: المرة أو الحين.

وقوله: منها خلقناكم؛ أي: من الأرض؛ فالأرض كالأم الحقيقية للإنسان رغم أن هناك أماً أخرىٰ تلده عن طريق التناسل، وبعد أن يرضع من هذه الأم؛ أي: يأكل مما تنبت الأرض من الحب والثمار، ثمّ بعد ذلك يموت فيرجع إلىٰ أمّه الحقيقية وهي الأرض، وبهذا تكون دورته من الأرض إلىٰ الأرض.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: أريناه؛ أي: فرعون، آياتنا التّسع: (العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضّفادع، والسّنين...)، والآيات تعني: المعجزات، والدّلائل، والبراهين الدّالة علىٰ قدرتنا ووحدانيتنا.

أريناه: أي: رغم ذلك لم يتعظ ويعد إلىٰ رشده، وكذب بها كلها.

﴿كُلَّهَا﴾: تفيد التّوكيد.

﴿فَكَذَّبَ﴾: بها، ولم يصدقها، وزعم أنّها سحر.

﴿وَأَبَىٰ﴾: أي: امتنع بشدة أن يؤمن بالله وحده، ويستجيب لدعوة موسىٰ، أبىٰ من الإباء: وهو شدة الامتناع، فكلّ إباء امتناع، وليس كلّ امتناع إباء.

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾:

﴿أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة: همزة استفهام وإنكار وتعجب.

﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: اللام: لام التّعليل؛ تخرجنا من أرضنا: من مصر ليصبح لك الملك.

﴿بِسِحْرِكَ﴾: الباء: للإلصاق والاستعانة، سمىٰ فرعون كلّ تلك الآيات وما جاء به موسىٰ: سحراً.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: نداء فيه معنىٰ السّخرية والاستهزاء، ولمعرفة معنىٰ السّحر انظر في الآية (٥٨) التالية.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾: الفاء: للتوكيد، وكذلك النّون: لزيادة التّوكيد.

﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: **تعريف السّحر لغةً**: هو كل أمر يخفىٰ سببه، ويتخيل علىٰ غير حقيقته، ويجري مجرىٰ التمويه والخداع، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلىٰ غيره.

والسحر اصطلاحاً: هو المخادعة، والتخييل، أو عزائم ورقىٰ وعُقد.

والسحر يقسم إلىٰ السحر الحقيقي: الذي له تأثير حقيقي يؤدي إلىٰ الضرر بالمسحور حتىٰ يصل إلىٰ درجة المرض أو التفريق بين المرء وزوجه، والهذيان والنسيان، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤]، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

والقسم الثاني: هو السحر التخيلي: وهو السحر المبني علىٰ التمويه، والخداع، والتخيل الذي لا حقيقة له، كما فعل سحرة فرعون: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] رغم أن حبالهم وعصيهم لم تتغير، وهذا قد يؤدي إلىٰ الفزع والخوف والضرر.

فالسّحر لا يقلب حقيقة الشّيء، بل يظل الشّيء علىٰ حقيقته، ويقع السّحر للرائي فيرىٰ الأشياء علىٰ غير حقيقتها؛ أي: سحر أعينهم.

فالسّحرة حين ألقوا حبالهم بقيت الحبال حبالاً في الحقيقة، ولكن الّذي رأى الحبال ونظر إليها رآها حيات، أو ثعابين تسعى، أمّا عصا موسى فعندما ألقاها تحولت إلى حية حقيقية تسعى، وليس سحراً.

﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿بَيۡنَنَا﴾: فرعون وملئه، وبينك يا موسى.

﴿مَوۡعِدٗا﴾: مصدر من: وعد، والموعد يكون زماناً ومكاناً.

﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ﴾: أي: نتفق عليه معاً، ولا يُخلفُه أيٌّ منا.

﴿مَكَانٗا سُوٗى﴾: أي: وسطاً عدلاً يستوي طرفاه؛ يعني: مكاناً وسطاً، وسط المدينة، أو يسهل على الكل الوصول إليه، أو الحضور إليه.

وقيل: سوى: مستوياً بحيث يستطيع الجميع رؤية ما يحدث، كما نراه في الملاعب الرّياضية.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾:

قال موسى: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾: يوم العيد (للأقباط)، ويوم الزّينة؛ لأنّ النّاس يلبسون أجمل الثّياب والزّينة، واختار موسى يوم العيد؛ لأنّه واثق بنصر الله تعالى وتأييده له، وأنّه يريد أن يكشف لأكثر جمع من النّاس قدرة الله سبحانه، وأنّه هو الإله الحقيقي بمعجزة العصا، ويتحدى السّحرة.

﴿وَأَن﴾: للتعليل.

﴿يُحۡشَرَ﴾: الحشر: القدوم إلى المكان والاجتماع فيه.

﴿ضُحٗى﴾: وقت الضّحى، وضح النّهار وشروق الشّمس.

فموسى حدّد اليوم وحدّد السّاعة وحدّد المكان.

[٦٠] ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾:

﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب؛ أي: ترك فرعون موسىٰ مباشرة؛ ليستعدّ لهذا التّحدي.

﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة. جمع كيده: الكيد هو التّدبير الخفيّ للإيقاع بموسىٰ، والكيد هنا يعني: السّحرة الذين سيكيدون موسىٰ؛ أي: جمع السحرة وحشدهم لتحدي موسىٰ بسرعة.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن والتّرتيب، ولم يقل: فجمع كيده فأتىٰ، بل قال: ثم أتىٰ؛ أي: تباطأ فرعون وكأنه عبر عن خوفه بعدم الرغبة بالحضور بسرعة لمواجهة موسىٰ.

﴿أَتَىٰ﴾: أتىٰ فرعون الموعد مع سحرته؛ أي: المكان المحدد، وفي الزّمن المعلن بدون تأخير.

ولم يذكر في هذه السّورة بعض الأحداث الّتي حصلت خلال هذا الزّمن مثل: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف:١٠٩-١١٤].

[٦١] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾:

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ﴾: لهم: أي: لفرعون، والسّحرة، والملأ.

﴿وَيْلَكُمْ﴾: الويل: هو العذاب، والهلاك.

لما رأىٰ موسىٰ السّحرة، وما هم مقبلون عليه، راح يحذرهم، وينذرهم بالهلاك والعذاب إن افتروا علىٰ الله كذباً بما سيقومون به من السّحر.

﴿لَا تَفْتَرُوا﴾: لا: النّاهية؛ تفتروا: الافتراء: هو اختلاق الكذب المتعمد.

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كذباً: نكرة؛ أي: لا تفتروا علىٰ الله تعالىٰ أيَّ نوع من الكذب مهما كان، والنّكرة تفيد التّهويل، وتعظيم الأمر، بأن تكذبوا وتزعموا، أو تقولوا وتدَّعوا بأنّ آياته سبحانه هي سحر، والعصا وغيرها.

﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾: يهلككم: أو يستأصلكم بعذاب في الدّنيا قبل الآخرة؛ الفاء: للتعقيب، والمباشرة بعد افتراء الكذب، والباء: للإلصاق وباء السّببية، يقال: أسحت ماله، استأصله وأفسده، أسحت الشّعر: أي: أزاله واستأصله.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾: قد: للتحقيق، خاب: خسر، والخائب: الّذي فقد الأمل في حدوث ما يرغب أو انقطع أمله في النجاة.

﴿مَنِ افْتَرَىٰ﴾: من تعمد الكذب واختلقه، من: للعاقل، وتشمل المفرد، والمثنىٰ، والجمع.

[٦٢] ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾:

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: أي: تشاوروا بينهم بعد أن حذرهم موسىٰ بقوله: ويلكم لا تفتروا علىٰ الله كذباً فيسحتكم بعذاب، أو ربما أثر هذا القول في أنفسهم مما أدىٰ إلىٰ معرفة رأي كلّ منهمُ الآخر.

والتّنازع مشتق من: أنّ كلّ ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه؛ أي: يوافق علىٰ رأيه لما يراه من الصّواب، أو نزعه ليتخلّىٰ عن رأيه، حتّىٰ يصلوا إلىٰ قرار واحد.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: النّجوىٰ: المسارّة في الحديث بحيث لا يسمع موسىٰ وهارون، أو فرعون وقومه ما تشاوروا به، وقيل: النّجوىٰ كانت قولهم الّذي جاء في الآية (٦٣) التالية.

[٦٣] ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾:

﴿قَالُوٓا۟﴾: أي: السّحرة.

﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾: إن: بمعنىٰ: نعم، هذا لساحران. لساحران: اللام: للتوكيد؛ أي: موسىٰ وهارون لساحران.

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾: من مصر.

﴿بِسِحْرِهِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو باء السّببية.

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾: المثلىٰ: مؤنث: أمثل، والمثلىٰ: يعني: الطّريقة؛ أي: الطّريقة، أو الملة الّتي سلكوها، وهي اتخاذهم إلهاً يعبدونه من دون الله؛ أي: طريقة الشرك بالله، فموسىٰ وهارون يريدان أن يصرفاكم إلىٰ طريقة أخرىٰ هي عبادة الله وحده، أو تعني: يصرفان عيون النّاس عنكم؛ لتتوجه إليهما.

ويؤيد ذلك قول فرعون: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

[٦٤] ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾:

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ أجمعوا كيدكم؛ أي: سحرتكم ووحّدوا أمركم، أو رأيكم، أو اتفقوا علىٰ أمر واحد مباشرة بدون تأخير

وكونــوا صفاً واحداً، ولا تختلفوا، هذا قول بعضهم لبعض، أو قول فرعون لهم، ونصيحة بعضهم لبعض، أو نصيحة فرعون لهم.

﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾: ثــم: للترتيب والتراخي في الزمــن؛ أي: وحّدوا رأيكم وكونوا صفاً واحداً ضد موسىٰ وهارون، واختلاف كلمتهم، وعدم وحدة رأيهم يحتاج إلىٰ زمن لكي يوحدوا لمتهم ويجتمعوا علىٰ رأي واحد، ولذلك استعمل ثم بدل فأتوا صفاً.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: قد: للتحقيق.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز وانتصر، ونجىٰ من العذاب.

﴿مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: مــن غلب عــدوه، وأراد العلو علىٰ خصمه. من: اســم موصول بمعنىٰ الّــذي، وهي للعاقل؛ أي: قد فاز وانتصــر ونجا من غلب اليوم عدوه أو خصمه.

❖❖❖

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

سورة طه [الآيات ٦٥ - ٧٦]

[٦٥] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾:

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾: أي: سحرة فرعون قالوا: يا موسىٰ، اختر أحد الخيارين.

﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾: إمّا: للتخيير.

﴿أَن﴾: للتعليل، والتّوكيد.

﴿تُلْقِىَ﴾: عصاك، والإلقاء: يعني: طرح الشّيء الّذي معك بحيث يراه الكل، وإما أن نكونَ أول من ألقىٰ.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسىٰ.

﴿بَلْ أَلْقُوا۟﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ أي: اختار موسىٰ أن يلقوا أولاً، وهذا إلهام من الله تعالىٰ لموسىٰ.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب؛ إذا: ظرفية زمانية «الفجائية».

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾: إلىٰ موسىٰ، وإلىٰ غيره من المشاهدين.

﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: أي: أنها حيات تتحرك؛ لأنّهم سحروا أعين النّاس، ولتعريف السّحر. ارجع إلىٰ الآية (٥٨) من السّورة نفسها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾:

﴿فَأَوْجَسَ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة. أوجس: أحس بالخوف وأضمره، الإيجاس: إحساس بشيء وإضماره؛ حتّىٰ لا يظهر لمن حوله.

﴿فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾: أحس موسىٰ في نفسه شيئاً من الخوف؛ فأضمره، ولم يظهره لمن حوله؛ أي: للسحرة، أو لفرعون، أو للمشاهدين.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٠) من سورة هود، وما حدث لإبراهيم قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ في هذه الآية قدم الملائكة علىٰ الخوف.

وفي الآية (٦٧) من هذه السّورة قدم موسىٰ نفسه علىٰ الخوف، فإبراهيم خاف في نفسه من الملائكة؛ لأنّه لم يعرفهم، ولم يأكلوا طعامه؛ فخاف منهم خوفاً شديداً، ولم يستطع أن يخفي خوفه، ويضمره في نفسه، ولذلك ظهر علىٰ وجهه؛ فعلم الملائكة ذلك؛ فقالوا له: لا تخف إنّا أرسلنا إلىٰ قوم لوط.

أما موسىٰ شعر بالخوف الشّديد، وأضمره وكتمه، ولم يبدِهِ لفرعون ولا للسحرة، ولا للمشاهدين، وأيده الله وأعانه علىٰ ذلك أمام عدوه، ولو ظهر عليه الخوف، لدل ذلك علىٰ ضعف ثقته بالله وإيمانه. ارجع إلىٰ الآية (٧٠) من سورة هود؛ لمزيد من البيان.

[٦٨] ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾:

﴿قُلْنَا﴾: أي: ألهمنا موسىٰ حالاً؛ قلنا: جاء بنون التّعظيم، أو العظمة؛ للدلالة علىٰ التّوكيد علىٰ عدم الخوف.

﴿لَا تَخَفْ﴾: لا: النّاهية، لا تخف بما قاموا به من السّحر، لا تخف من حبالهم، وعصيِّهم؛ كأنها حيات تسعىٰ.

﴿إِنَّكَ﴾: إنّ: للتوكيد، والكاف للمخاطب «موسىٰ».

﴿أَنتَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر.

﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الغالب، والمنتصر، أو الفائز الأعلىٰ، صيغة تفضيل.

[٦٩] ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾:

أوحينا إلىٰ موسىٰ: وألق ما في يمينك، ولم يقل عصاك؛ أي: اطرح ما في يمينك (وهي عصاه)، ولكنه لم يقل عصاك؛ لأنّها ليست من جنس العصيّ المعهودة، بل هي آية خارجة عن حدود سائر العصيّ المعهودة.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: نكرة؛ لأنّها غريبة التّصرف، وأبهم وقال: ما في يمينك؛ للتهويل، والتّعظيم؛ لأنّها عصا لا يحيط بعلمها إلا الله الّذي خلقها.

﴿تَلْقَفْ﴾: تبتلع ما صنعوا؛ أي: من السّحر، حيث سحروا أعين النّاس فأصبحوا يروا أنّ الحبال والعصيّ الّتي ألقاها السّحرة حيات تسعىٰ، تلقفْ بالسّكون، وفي آيات أخرىٰ تكون مضمومة؛ أي: تلقفُ ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧]، فما الفرق بينهما؟

تلقفْ: بالسكون تدل علىٰ أنّ اللقف لم يحدث بعد، وسيحدث قريباً.

بينما تلقفُ: بالضّم: تدل علىٰ أنّ اللقف والابتلاع واقعٌ ويحدث الآن، وقيل: أصل تلقف: تتلقّف وتلقّف حذفت منها التاء؛ لتدل علىٰ قصر الزّمن الّذي تحتاجه لابتلاع الحبال، والعصيّ؛ أي: تدل علىٰ السّرعة، وتتلقّف: تحتاج إلىٰ زمن أطول فتدل علىٰ البطء.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾: إنّما: كافة مكفوفة تفيد الحصر والتّوكيد؛ أي: ما صنعوا، أو قاموا به مجرّد سحر، أو ما صنعوا، أو قاموا به كيدٌ؛ أي: تدبير خفي يقوم به السّاحر؛ ليوهم الأعين أنّ ما تراه حقٌّ، وهو باطلٌ، وتعني: فلا تبالِ بكثرة حبالهم وعصيِّهم.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾: ولا: لا: النّافية.

﴿يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾: لا يفوز، أو لا يأمن السّاحر مهما أوتي من قدرة علىٰ السّحر، وأينما كان وحيث سار.

﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾: من حيث أقبل، هناك فرق بين كلمة حيث، وكلمة أين.

حيث: تدل على المكان الخاص، وليس كلّ مكان (الإطلاق) كما هو الحال في كلمة «أين» الّتي تدل على الإبهام والإطلاق في المكان، ولم يقل من حيث جاء؛ لأنّ «أتى» أعم من «جاء»، وجاء فيها معنى المشقة، أو الصعوبة، وأتى تحمل معنى السهولة.

[٧٠] ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾:

﴿فَأُلْقِيَ﴾: الفاء: تدل على المباشرة؛ أي: سجدوا مباشرة وبسرعة لله.

﴿ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: خروا ساجدين لله تعالى بعد رؤيتهم ما حدث لعصا موسى، ولم يكُ سحراً، وإنما حقيقة، أو حق، فقد تحولت إلى حية تلقفُ ما يأفكون، ما رأوه من الحق ألقاهم على وجوههم ساجدين بسرعة، وقبل أن يعلنوا إيمانهم، وبعد أن خروا لله سجّداً، أعلنوا إيمانهم بعكس الأمر الطّبيعي، وهو أن يعلنوا إيمانهم أولاً، ثمّ يسجدوا، ولكن ما حدث هو العكس. سجداً: جمع ساجد، ويعني: السجود الظاهري التي تراه العين، وأما السجود الحقيقي يعني: الخشوع مع السجود الظاهري.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾: نلاحظ هنا تقديم هارون على موسى، وهذه هي الآية الوحيدة الّتي قدمت هارون على موسى، وأما في سورة الشّعراء، آية (٤٧-٤٨)، وسورة الأعراف، آية (١٢١-١٢٢) ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، والتقديم سببه حتّى لا يظن أحد أن رب موسى هو فرعون الّذي رباه، وترعرع في قصره، ولذلك قدم هارون وأخّر موسى.

لتفسير ذلك يمكن القول: إنّ السّحرة الّذين كان عددهم كبيراً، وقيل: (٧٢) ساحراً بعد أن خرّوا سجّداً، ورفعوا رؤوسهم؛ قسمٌ قالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، وقسمٌ قالوا: آمنا برب هارون وموسى، ولم يوجد هناك من قال:

آمنا برب موسىٰ وهارون بدون ذكر رب العالمين. وأما تقديم هارون علىٰ موسىٰ في هذه الآية فقد فسّر ذلك بثلاثة احتمالات، والله أعلم:

الأوّل: لأنّ ذكر هارون تكرر كثيراً في هذه السّورة مقارنة بسورة الأعراف، والشّعراء، والسّياق هو السّبب.

الثّاني: لأنّه لم يسبقها قول: رب العالمين؛ لأنّه لو قال: رب موسىٰ وهارون، فقد يظن البعض فرعون؛ لأنّ فرعون ربّاه، ونشأ عنده؛ فهو له كربٍّ، ولذلك أخّر ذكر موسىٰ، وجاء بهارون؛ لأنّ فرعون لا يمكن أن يدّعي أنّه رب هارون؛ لأنّه لم يربِّه، كما ربّىٰ موسىٰ.

الثّالث: هارون هو أكبر من موسىٰ سناً، وأفصح لساناً ووزيرٌ له.

[٧١] ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال فرعون بعد أن رأىٰ السَّحَرة يسجدون لله رب العالمين:

﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: أي: صدّقتم موسىٰ.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص والاتباع.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أي: قبل أن أسمح لكم.

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، الّذي علمكم السّحر؛ أي: موسىٰ الّذي علمكم السّحر.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، هذا تهديد ووعيد، والنّون في «أقطعن» لزيادة التّوكيد.

﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾: أي: اليد اليمنى، والرّجل اليسرى، أو اليد اليسرى، والرّجل اليمنى.

﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾: من: ابتدائية، خلاف: أي: من الجهة المعاكسة، أو الأخرى؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى عدم توازن الجسم، وأشق وأشد في العذاب.

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: ولأصلبنّكم: الواو: عاطفة؛ اللام: للتوكيد. فالصلب يقع بعد تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، وفي سورة الأعراف آية (١٢٤) قال تعالى على لسان فرعون ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾.

﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: ولم يقل: على جذوع النّخل؛ للمبالغة في الصّلب؛ لأنّ القول: في جذوع النّخل؛ في: ظرفية، بحيث يدخل المصلوب في المصلوب عليه من شدة الصّلب.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾: اللام، والنّون: تفيدان التّوكيد.

﴿أَيُّنَا﴾: أي: موسى، أم فرعون.

﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾: جمع بين شدة العذاب، والدّوام عليه.

﴿وَأَبْقَى﴾: أدوم عذاباً؛ أي: زمناً.

[٧٢] ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾:

﴿قَالُوا لَن﴾: أي: السّحرة لفرعون. لن: لنفي المستقبل القريب، أو البعيد.

﴿نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: أي: لن نفضّلك على «ما»: اسم موصول بمعنى: الّذي جاءنا من البينات (مثل العصا، واليد، والآيات الأخرى)، والإيثار: هو تفضيل شيء على شيء في مجال متساوٍ.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: أي: لن نفضّلك على آيات ربنا، أو نفضّلك على الّذي فطرنا، وهو الله تعالى، أو تعني: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، والّذي

فطرنا أي: نقسم بالّذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، وكلا الاحتمالين وارد.

﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾: أي: افعل ما أنت فاعل، أو نفّذ ما حكمت به علينا من الصّلب، والقطع، والتّعذيب.

وانتبه إلى قوله: ما جاءنا من البينات، وهل البينات جاءتهم، أم جاءت موسى، البينات جاءت موسى، أو عامة لهم ولغيرهم، ولكنهم شعروا بأنّهم أحق النّاس باتباعها، والعمل بها فاعتبروها لهم وحرصوا على تنفيذها.

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: إنما تفيد التّوكيد، والحصر (كافة مكفوفة).

﴿تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: كلّ ما تستطيع هو أن تسلب منا هذه الحياة الدّنيا بالصلب، أو تعذيبنا، ولا سبيل لك علينا في الآخرة؛ أي: سلطانك علينا محصورٌ بالحياة الدّنيا فقط.

انظر إلى عظم ثبات وإيمان هؤلاء السّحرة، وعدم مبالاتهم بالتّهديد، والوعيد؛ رغبة واستجابة لله تعالى، ولم يحاول أحدٌ منهم أن يعتذر، أو يغير موقفه، ويخاف من عذاب فرعون وملئه.

[٧٣] ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾:

هذه الآية تتمة لردّ السّحرة على فرعون.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ﴾: إنّا: للتوكيد؛ ليغفر: اللام: لام التّعليل؛ ليغفر: من المغفرة، وهي الستر، وترك العقوبة.

﴿آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾: خطايانا: ذنوبنا الماضية؛ كالكفر، والمعاصي، وقيل: الخطايا: الذّنوب العظيمة. والخطيئة: هي صغائر الذنوب.

﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾: وهل أُكرهوا على السّحر، أم هم فعلوه غير مكرهين، وبإرادتهم؟

أكرهوا: حين بعث لهم فرعون جنوده: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٣٤]؛ فهم أكرهوا على القدوم والحضور من كلّ المدن، وبعد حضورهم وقدومهم على فرعون قالوا: إنّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم، وإنّكم لمن المقربين. هنا في هذه المرحلة لم يكونوا كارهين؛ فالإكراه حصل في أوّل الأمر.

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾: لها عدّة معانٍ:

الأوّل: الله خيرٌ من فرعون، وأبقى منه؛ لأنّه حي قيوم باقٍ لا يزول ملكه وحكمه، بخلاف فرعون أو قومه.

الثّاني: ثواب الله تعالى خير وأبقى من ثواب فرعون الزّائل.

الثّالث: أو عذاب الله أبقى وأدوم من عذاب فرعون، رداً على قول فرعون: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه:٧].

[٧٤] ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾: إنّه: للتوكيد؛ أي: من يأتِ ربه كافراً، أو مشركاً يوم القيامة، أو مات على الكفر، والمجرم يعني: الكافر العاصي، والمشرك يأتي ربه يوم القيامة: يوم القيامة يوم البعث.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾: فإنّ: للتوكيد؛ له: اللام: لام الاختصاص.

﴿لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾: له نار جهنم لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة بدون عذاب كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]. ارجع إلى سورة الرعد، آية (١٨)؛ لبيان معنى جهنم.

[٧٥] ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾:

﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا﴾: ومن: الواو: عاطفة، من: شرطية؛ يأتِه مؤمناً: بربه وما أنزل.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يفيد التّوكيد.

﴿عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض، والنّوافل، وتجنب النّواهي.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد؛ بُعد المنزلة، وهي الدرجات العُلىٰ.

﴿لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: وكما أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت عن النّبي ﷺ قال: «الجنة مئة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها؛ فإذا سألتم الله تعالىٰ فاسألوه الفردوس». ارجع إلىٰ الآية (٥) من نفس السورة.

[٧٦] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: جنات عدن؛ أي: إقامة دائمة، وهناك جنات أخرىٰ: جنات النعيم، والفردوس، والخُلد.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار المختلفة مثل أنهار الماء، أو اللبن، أو الخمر، أو العسل المصفىٰ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: خلوداً يبدأ من زمن دخولهم الجنات، وبقاءً مؤبّداً دائماً.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ الفوز بجنات عدن.

﴿جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾: ثواب من تزكىٰ: من طهّر نفسه من الذّنوب، والمعاصي، ثمّ ارتقىٰ بإيمانه؛ فالجزاء يكون من جنس العمل، ويكون بالثواب علىٰ العمل الصالح، والعقاب علىٰ العمل السيء.

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

نصف الحزب ٣٢

سورة طه [الآيات ٧٧ - ٧٨]

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: من الوحي لغةً: وهو الإعلام بخفاء عن طريق الوحي، أو تكليم من وراء حجاب، أو إرسال رسول فيوحي بإذنه ما يشاء. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لمعرفة معنىٰ الوحي.

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾: أن: للتعليل، والتّوكيد.

﴿أَسْرِ﴾: الإسراء السير ليلاً، وعادة في أوّل الليل، أسر ليلاً بعبادي: الباء: للإلصاق، والمصاحبة.

﴿بِعِبَادِى﴾: أي: بني إسرائيل؛ أي: اخرج بهم ليلاً من مصر، وعبادي، ولم يقل عبيدي؛ عبادي تعني: الفئة المؤمنة التي اختارت الإيمان بربها، أمّا عبيدي: تشمل المؤمن والكافر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٨٦) للبيان.

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، اضرب: بعصاك البحر، كما بينه في سورة الشّعراء، الآية (٦٣): ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿لَهُمْ﴾: لام: الاستحقاق، لهم فقط خاصة لبني إسرائيل.

﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾: طريقاً جافاً لا طين فيه ولا ماء، وأفضل الطرق هو

الصراط، ثم يليه السبيل، ثم الطريق في البحر، والطريق قد يكون سهلاً أو صعباً، وقد يكون مذموماً كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء:١٦٩]، أو محموداً كقوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠].

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾: لا: النّافية.

﴿تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وجنوده، أو يلحقوا بكم.

﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾: تكرار «لا»: تفيد التّوكيد، وفصل دركاً عن الخشية كلاً عن الآخر، أو كلاهما معاً، والخشية هي الخوف المشبع بالرّهبة مع العلم بالشّيء المخيف.

[٧٨] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾:

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، «فرعون بجنوده» أتبعهم؛ أي: لحق بهم فرعون وجنوده.

﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾: الباء: للإلصاق والمصاحبة.

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: فغشيهم: الفاء: للتّعقيب، والمباشرة؛ ما: اسم موصول لغير العاقل تفيد الإبهام؛ أي: غمرهم الماء ما غمرهم، ما لا يقدر قدره، أو يعلم كنهه إلا الله وحده. من التّغشية: التّغطية؛ غشاء: غطاء؛ فكانوا من المغرقين.

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾:

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾: الواو: استئنافية. أضلَّ فرعون قومه: أي: ابتعد فرعون بقومه عن طريق الحق والهدىٰ، وأوقعهم في الهلاك إذ أغرِقوا في اليم، وماتوا

وهم كفارٌ، ولم يهدهم إلىٰ سبيل الرّشاد، كما زعم في الآية (٢٩) من سورة غافر: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿وَمَا هَدَىٰ﴾: هي توكيد لقول: «وأضل فرعون»؛ لأنّ لهما المعنىٰ نفسه، أو قد تعني: توكيد كذبه حيث قال: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

[٨٠] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾:

﴿يَٰبَنِيٓ﴾: يا: نداء، خطاب لبني إسرائيل بعد إنجائهم من البحر، وإهلاك فرعون وجنوده في اليم.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: بني يعقوب.

﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾: أنقذناكم من عدوكم، و«أنجيناكم» تفيد السّرعة، والقوة، والشدة في النّجاة مقارنة بنجيناكم الّتي تفيد البطء في النّجاة، والأقل شدة. أنجيناكم بأن: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

﴿مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾: من فرعون وجنوده.

﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾: أي: واعدنا موسىٰ جانب الطّور الأيمن: الأيمن عن يمين موسىٰ القادم إلىٰ الطّور؛ لإنزال التّوراة لهدايتكم، ويفسر ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [البقرة:٥١].

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾: الواو: عاطفة، نزلنا: غذاءً لكم في التّيه:

المن والسّلوىٰ. المن: نوع من الحلوىٰ. ارجع إلىٰ الآية (٥٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

السّلوىٰ: نوع من الطّير، وقال سبحانه: «ونزلنا» لتدل علىٰ طول زمن الإنزال خلال (أربعين سنة)، وهم في التّيه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٧)؛ لمزيد من البيان.

[٨١] ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾:

﴿كُلُوا۟﴾: يا بني إسرائيل.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: من: بعضية.

﴿طَيِّبَٰتِ﴾: تعني: الحلال الطاهر.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي رزقناكم، أو مصدرية.

﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾: كلوا من الحلال الطّيب، والأكل يعني: الشّرب أحياناً. ارجع إلىٰ سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾: لا: النّاهية.

﴿تَطْغَوْا۟﴾: تعود علىٰ الأكل بترك أكل الحلال، وما شرع لكم، وأكل الحرام، والإسراف والتّبذير، أو الكفر بالنّعمة (الجحود)، وعدم شكر المنعم.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب؛ يحل: من الحلول؛ أي: الوقوع، أو النّزول؛ فتنزل عليكم عقوبتي، وفي الآية إنذار ووعيد لمن طغىٰ في الرّزق. لماذا اختار يحل عليكم غضبي، ولم يقل يأتيكم غضبي؟ لأن يحل:

فيهـا معنىٰ الدائم؛ أي: يحل عليكم غضب دائم مستمر لا يتغير، بينما يأتيه: قد تحمل معنىٰ غير الدائم؛ يأتيه ثم يزول عنه.

﴿وَمَن﴾: الواو: استئنافية، ومن: شرطية.

﴿يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾: ومن استحق، أو حلت عليه عقوبتي؛ فقد: الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ تفيد التّوكيد، وقد: لزيادة التّحقيق، والتّوكيد.

﴿هَوَىٰ﴾: في النّار؛ أي: صار إلىٰ الهاوية، هوىٰ: استعارة، وهو السّقوط من أعلىٰ إلىٰ أسفل مما يؤدي إلىٰ الهلاك والدّمار في الدّنيا أو الآخرة.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾: إنّي: للتوكيد.

﴿لَغَفَّارٌ﴾: اللام: للتوكيد، غفار: صيغة مبالغة؛ أي: كثير المغفرة للذنوب والسّيئات؛ يغفر ذنوب عباده ولو كثرت أو عظمت المرة بعد الأخرىٰ، وكلما تكررت، ولا يفضح عباده. وأصل الغفر: السّتر؛ أي: ستّار لذنوب عباده، والسؤال هنا: ما الفرق بين غفّار، وغفور، وكلاهما من أسماء الله الحسنىٰ؟

غفّار: تعني: يغفر الذّنوب الكثيرة المتعددة مهما كثرت؛ أي: للكمّ.

غفور: يغفر الذّنوب العظام؛ أي: للنوع، ويفيد دوام المغفرة.

﴿لِّمَن﴾: اللام: لام الاختصاص أو الاستحقاق، من: ابتدائية.

﴿تَابَ﴾: من الشّرك، والكفر، والمعاصي، والتّوبة من المعاصي، والذّنوب والشرك؛ تعني: الإقلاع عن الذّنب، وعدم العودة إليه، والإكثار من الأعمال الصّالحة والنّوافل، وإرجاع حقوق العباد، والنّدم علىٰ ما فعل.

﴿وَءَامَنَ﴾: بالله، ووحدانيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: وقرن الإيمان بالعمل الصّالح من الفرائض والنّوافل، والطّاعات، وأصلها: وعمل عملاً صالحاً، حذف الموصوف، وأقام الصّفة مقامه.

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: ثمّ تفيد التّباين في المرتبة؛ فمنزلة الاستقامة أعلى من منزلة التّوبة.

﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: أي: استقام على الهدى، أو دام على هدايته، واستقام على التّوبة، والإيمان، والعمل الصّالح.

[٨٣] ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾:

المناسبة: بعد النّجاة من فرعون وجنوده، ولما جاء موسى لميعادنا لأخذ الألواح، حاول موسى أن يسبق قومه للقاء ربه، فسأله ربه:

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾: ما: استفهامية فيها معنى الإنكار.

﴿أَعْجَلَكَ﴾: حملك على العجلة، أو دفع بك إلى العجلة لتسبق قومك.

﴿عَن﴾: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿قَوْمِكَ﴾: أي: النّقباء الّذين اختيروا للحضور معه من بني إسرائيل، وكانوا سبعين رجلاً.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: نداء فيه عطف وحنان، والياء: ياء النّداء للبعد.

[٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال موسى ردّاً على السّؤال.

﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿أُولَآءِ﴾: اسم إشارة يفيد القرب، بينما أولئك: اسم إشارة يفيد البعد، ولم يقل: هؤلاء: حذف الهاء «هاء» التّنبيه، ولم يأت بها؛ لأنّ المقام لا يحتاج إلىٰ التّنبيه؛ لأنّهم لم يحضروا أصلاً معه.

هم أولاء علىٰ أثري؛ أي: قريبون جداً لاحقون بي، وليسوا بعيدين عني.

﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾: أي: هم ورائي ولن يتأخروا.

ويقال: جاء علىٰ أثره؛ أي: لحق به، ولم يتأخر عنه.

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾: سبقتهم إليك لترضىٰ: اللام: لام التّعليل؛ طلباً لرضاك، أو لترضىٰ عني، أو للمزيد من رضاك.

وفي هذا اللقاء نزلت الألواح، وطلب موسىٰ في هذا اللقاء أن يرىٰ ربه فقال له ربُّهُ: ﴿أَنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ انظر في سورة الأعراف [١٤٣-١٤٥]؛ لمعرفة تفاصيل ما حدث بعد ذلك، وكان هذا هو اللقاء الأوّل، وأمّا اللقاء الثّاني كان بعد قدومه مع السبعين رجلاً للاعتذار عن عبادة قومهم العجل. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، الآية (١٥٥).

[٨٥] ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه لموسىٰ.

﴿فَإِنَّا قَدْ﴾: فإنّا: بصيغة الجمع والتّعظيم، قد: للتحقيق والتّوكيد.

﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: الفتنة أشد وأبلغ من الاختبار، وتكون في الخير

والشّـــر، وهنا كانت في الشّـــر. ارجع إلى الآية (٤٠)؛ للبيان. وارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢)؛ لبيان معنى الفتنة.

فتنّـــا قومك (بني إســـرائيل) من بعدك؛ أي: بعد قدومـــك لميعادنا باتخاذ العجل إلهاً.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: أوقعهـــم في الضّلال، أو كان ســـبباً لإضلالهم حيث اتخذ لهم من حُليهم عجلاً جسداً له خوار، وقال: هذا إلهكم وإله موسى فنسي. سورة طه الآية (٨٨).

من هو السّامري: كان من قوم يعبدون البقر من قبيلة السّامرة، دخل في دين بني إسرائيل، وقيل: كان من القبط، أو من أشراف بني إسرائيل، خرج مع موسى وبني إسرائيل.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾:

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: الفـــاء: تدل على التّعقيب والمباشـــرة. رجع: والرّجوع يعني: العودة إلى المكان الّذي خرج منه، رجع بعد أن أخذ الألواح.

﴿غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾: غضبان: شديد الغضب، على وزن: فعلان.

﴿أَسِفًا﴾: صيغة مبالغة تدل على الحزن الشّـــديد؛ فالقول: أنا آسف: فيها أسف قليل، أمّا القول: أنا أسِفاً: فيها مبالغة؛ أي: أنا آسف أسفاً شديداً.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ﴾: نداء فيه حنان واستعطاف.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وقد يكون استفهام تقريري.

﴿يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: بإنزال التّوراة.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتقريري. طال عليكم العهد؛ أي: مدة فراقي لكم، والعهد؛ أي الزّمن، أو قيل: هو أن يطيعوا هارون في حالة غياب موسىٰ (٣٠) ليلة، والثبات والاستقامة علىٰ دين الله تعالىٰ.

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي.

﴿أَرَدتُّمْ﴾: شئتم، والإرادة تكون بعد المشيئة.

﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أن: للتعليل، والتّوكيد.

﴿يَحِلَّ﴾: ينزل بكم غضب من ربكم: الغضب طرد من رحمة الله تعالىٰ بما صنعتموه من بعدي؛ أي: بما أشركتم به بعبادتكم العجل.

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب؛ أخلفتم: أن تطيعوا هارون، والثّبات والاستقامة علىٰ ديني، وكانوا قد عاهدوه علىٰ عبادة الله وحدهُ، والقيام بما يأمرهم به.

[٨٧] ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أي: بني إسرائيل لموسىٰ.

﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾: ما: النّافية.

﴿أَخْلَفْنَا﴾: وعدنا لك بإرادتنا وذاتنا، ولكن بأمور خارجة عن إرادتنا، وهي أننا حُمّلنا أوزاراً من زينة القوم.

ويجب أن نفرق بين ثلاث حالات هي:

١ - ﴿بِمَلْكِنَا﴾: بفتح الميم مشتقة من: مَلْك؛ تعني: ملك الإنسان نفسه؛ أي: ذاته، وإرادته فقط، كما ورد في هذه الآية.

٢ - بمِلْكنا: بكسر الميم: مشتقة من مِلْك؛ تعني: يملك ذاته وإرادته (حر طليق) ويملك شيئاً، أو أشياء أخرىٰ مثل: منزله، أو أرضه، أو أيّ شيء.

٣ - بمُلْكنا: بضمّ الميم: مشتقة من مُلْك؛ أي: يملك ذاته وإرادته + شيئاً أو أشياء أخرىٰ + يملك من: مِلْك، وهذه تخص الله وحده.

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾: لكن حرف استدراك وتوكيد.

﴿حُمِّلْنَآ﴾: مبني للمجهول.

﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: الوزر: الشّيء الثّقيل، أو الحمل الثّقيل، وسمّي الذّنب والإثم وزراً؛ لأنّه ثقيل علىٰ النّفس حيث يمتد أثره؛ أي: ألمه إلىٰ الدّار الآخرة، ويقول الحق عن ذلك الحمل: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:١٠١].

الزّينة: تطلق علىٰ الذّهب عادة، وسموا الزّينة (وهي الحُلي من الذّهب والفضة) أوزاراً؛ لأنّهم استعاروها من القبط قبل خروجهم من مصر، ولم يُعيدوها إلىٰ أصحابها بعد خروجهم؛ فكأنّهم شعروا بأنّها سرقة وشبهوها بالأوزار؛ أي الذّنوب والآثام، ويجب التخلص منها.

﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: القوم هم القبط؛ أي: قوم فرعون، وقيل: قسم منها كان من حُلي جنود فرعون بعد غرقهم في البحر.

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: أي: لما سألهم السّامري أن يعطوها له، قذفوا بتلك الزّينة إليه، والقذف يعني: طرحوها، أو ألقوها إليه بسرعة، وبدون تردد؛ للتخلص منها، ومن آثامها حيث شعروا بالذّنب العظيم.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾: هم قذفوا بالزّينة إلى السّامري، وكذلك ألقى السّامري، ولم يقل وكذلك قذف السّامري؛ السّامري ألقى بتلك الزّينة، وقيل: ألقى مع الزّينة قبضة من أثر الرّسول (جبريل عليه السلام)، ولم يتسرع بإلقائها، ولم يشعر بالإثم الّذي شعر به قومه، وصاغ لهم السامري عجلاً جسداً له خوار.

وهناك فرق بين القذف، والإلقاء، والنبذ، والرمي:

القذف: الرمي، ويكون بشدة وبسرعة، وفيه معنى البعد، وبدون معرفة المسافة الّتي يصل إليها القذف، أو المكان.

الإلقاء: الرمي، ويكون بخفة وتمهل.

النبذ: إلقاء للشيء استهانةً به، وإظهاراً للاستغناء عنه.

الرمي: تعرف المسافة والمكان الّذي ترمي إليه.

❖ ❖ ❖

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

سورة طه [الآيات ٨٨ - ٩٨]

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾: الفاء: تدل على التّعقيب، أخرج لهم السّامري؛ أي: صنع لهم بالخفاء عجلاً من الحُلي أو الذّهب المنصهر في النّار، وبعد صنعه أخرجه لهم.

﴿لَهُمْ﴾: وحدهم؛ لام الاختصاص؛ أي: لبني إسرائيل.

﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾: تمثالاً على هيئة العجل لا روح فيه، ولا حركة، والعجل: هو ذكر البقر، والجسد: يطلق على التمثال الجامد.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: قدم «لـه» على «خوار» للحصر؛ أي: له فقط خاصية الخوار؛ أي: صوت يشبه صوت العجل، والخوار: قيل: هو صوت حقيقي، وقيل: ناتج عن القبضة التي قبضها السامري من أثر الرسول (جبريل عليه السلام) أي: فرس جبريل. ارجع إلى الآية (٩٦)، وقيل: هو الصّوت النّاتج عن دخول الرّيح في ممرات داخل التّمثال، كما نرى في لُعب الأطفال المصنوعة في هذه الأيام، والله أعلم.

﴿فَقَالُوا۟﴾: الفاء: للتعقيب، قالوا: أي: السّامري ومن كفر معه.

﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى العجل الجسد إلهكم وإله موسى.

﴿فَنَسِىَ﴾: إمّا تعود على موسى، وإمّا تعود على السّامري؛ الفاء: للتعقيب، والتّرتيب؛ أي: موسى نسي أن يذكر لكم قبل ذهابه للميعاد أن هذا هو إلههُ

وإلهكم. قال ابن عبّاس : «أو موسىٰ نسي؛ أي: ضلّ وتاه، وذهب يطلب إلهه عند الطّور وهو هنا».

وإذا كان الضّمير يعود علىٰ السّامري؛ أي: نسي أو ترك السّامري إيمانه ودينه باتخاذ العجل، أو نسي السّامري أنّ العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً.

[٨٩] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: للتوكيد. لا: النّافية.

﴿يَرَوْنَ﴾: رؤية قلبية (رؤية اعتبار وتفكر)، ورؤية بصرية أيضاً بأمّ أعينهم.

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن للتعليل، والتّوكيد؛ و لا: النّافية.

﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: العجل: الجسد الّذي له خوار لا يجيبهم إذا سألوه، أو لا يكلمهم إذا كلموه.

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: لا: النّافية؛ لا يملك لهم (خاصة) ضراً لمن عصاه، ولا نفعاً لمن عبده، وأطاعه؛ أي: لا يفيد ولا يضر، وتكرار (لا) يفيد التّوكيد، وفصل كلٍّ من النّفع والضّر عن الآخر، أو كلاهما معاً، فلا يستحق أن يكون إلهاً، وفي سورة الأعراف، الآية (١٤٨) قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، وقدم الضُّرَّ علىٰ النفع؛ لأن الخوف من حدوث الضُّرِّ أكبر من الخوف من النفع، أو لأن ضرُّهُ أقرب من نفعه؛ ارجع إلىٰ سورة الحج آية (١٢).

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿قَالَ لَهُمْ﴾: لبني إسرائيل، الّذين فتنهم السّامري، وأضلّهم باتخاذ العجل.

﴿هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: أن يرجع إليهم موسىٰ من الطّور.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: نداء فيه حنان وعطف.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿فُتِنتُم بِهِۦ﴾: أي: وقعتم في الفتنة؛ أي: الشرك والكفر بسبب هذا العجل، وضللتم الطّريق، فلا تكفروا، وتضلوا. ارجع إلىٰ الآية (٤٠)؛ لبيان معنىٰ الفتنة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: وإنّ: للتوكيد.

﴿رَبَّكُمُ﴾: خالقكم ومدبر أموركم، ورازقكم هو الرّحمن.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: ارجع إلىٰ سورة الفاتحة، آية (٢)؛ للبيان.

﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ اتبعوني: حالاً، وأطيعوا أمري، واعبدوا ربكم الرّحمن وحده، أو فاتبعوني خيراً لكم.

﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾: توكيد لكلمة فاتبعوني. قيل: كان عدد بني إسرائيل (٣٠٠-٦٠٠ ألف)، ومن اتخذ العجل (١٢) ألفاً، وقيل: خاف هارون أن يدخل في معركة مع قومه، ويؤدي ذلك إلىٰ التّفريق بين بني إسرائيل، واكتفىٰ بالوعظ، كما جاء في الآية (٩٤) من سورة طه.

[٩١] ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أي: الّذين اتخذوا العجل من بني إسرائيل.

﴿لَن﴾: أداة نفي تنفي المستقبل القريب، أو البعيد.

﴿نَّبْرَحَ﴾: سنظل على هذه الحالة، نبرح: تستعمل للمكان، والزّمان؛ أي: سنظل على هذه الحال.

﴿عَلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿عَٰكِفِينَ﴾: مقيمين على عبادته، أو اتخاذه إلهاً. عكف على الشّيء: واظب على الشّيء، ولم يتركه؛ أي: لازمه.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾: من الطّور.

﴿إِلَيْنَا﴾: وحدنا نكلمه ويكلمنا. انتبه قالوا: حتّى يرجع إلينا موسى، ولم يقولوا حتّى يرجع موسى إلينا؛ فهم قدموا أنفسهم على موسى النّبي والرّسول؛ لجهلهم وعدم تقديرهم لمكانة موسى.

[٩٢] ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾:

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾: قال موسى: يا هارون.

﴿مَا مَنَعَكَ﴾: ما: استفهام إنكاري، منعك: من محاربة هؤلاء الضّالين، والتّصدي لهم، أو عدم الإقامة بينهم، أو تعني: ما حملك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني للمفاجأة؛ أي: حين.

﴿رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾: حين رأيتهم يتخذون إلهاً من دون الله، وضلوا وانحرفوا عن سبيل الله.

[٩٣] ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾:

﴿أَلَّا﴾: أصلها: أن: المصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد، ولا: قيل زائدة للتوكيد، وقيل: نافية؛ أي: ما منعك من عدم اتباعي.

﴿تَتَّبِعَنِ﴾: عندما رأيتهم ضلوا ما منعك من اتباعي؟ أكان هناك مانع أو قوة خارجية منعتك من الاتباع، و «تتبعن» لها معانٍ عديدةٌ منها:

ألا تلحق بي وتتركهم.

أو تتبعن ومن معك من المسلمين، وتترك المشركين.

أو تتبعن ما أوصيتك به، وهي: اخلفني في قومي، وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، أو محاربتهم.

وحذف ياء المتكلم بدلاً من قوله ألا تتبعني؛ للدلالة على الاتباع بسرعة، والعجلة؛ أي: ألا تتبعن بعجلة ولا تتأخر، وكذلك تتبعن في هذه الحالة الطارئة (اتخاذ العجل إلهاً)؛ فهي خروج عن التبعية حيث بقاء هارون خروج عن التبعية لموسى عليه السلام والاستمرار عليها؛ لأن موسى أوصى أخاه بالتبعية المستمرة.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، أفعصيت أمري: بالإقامة بين الّذين ضلوا، وعدم اللحاق بي، أو بعدم محاربتهم.

[٩٤] ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾:

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا﴾: قال هارون لموسى: يا بن أمَّ حذف ياء المتكلم للإيجاز والسرعة، ولم يقل يا بن أب؛ لأنّ ذكر الأمّ فيه معنى الحنان والعطف، وقوله: يا ابن أمَّ؛ أي: يا ابن أمّي.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾: لا: النّاهية، لا تأخذ بشعر لحيتي، ولا بشعر رأسي.

﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: إنّي: للتوكيد.

﴿خَشِيتُ﴾: من الخشية، وهي الخوف مع تعظيم للأمر الباعث على الخوف، والعلم المتعلق به.

﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: خشيت أن يحدث تفرق واختلاف بين بني إسرائيل إن لحقت بك وتركتهم أن يؤدي ذلك إلى قتال بعضهم بعضاً، وهذا يُعد فساداً، وعدم إصلاح وعندها تقول: ولم ترقب قولي وتصلح.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: وهو: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين. ولم أراعِ ما قلته لي، وأنفذ ما طلبت مني.

وفي الآية (١٥٠) من سورة الأعراف قال هارون لموسى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذا يدل على أنّ هارون أنكر على السّامري وأتباعه اتخاذ العجل إلهاً إنكاراً شديداً قبل رجوع موسى، فعصى الضّالون من بني إسرائيل هارون وكادوا أن يقتلوه، ولذلك رأى هارون من الحكمة أن يبقى بينهم، وينتظر عودة موسى لإصلاح الأمر.

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾: قال موسى للسامري، فما: الفاء: للتوكيد، ما: استفهام إنكاري.

﴿خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾: الخطب: الأمر العظيم الجلل المهم؛ أي: ما الأمر العظيم والخطب الجلل الّذي دفعك لاتخاذ العجل؟

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾:

كان هذا هو ردّ السّامري على سؤال موسى.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾: بصرت من البصيرة، ولا تعني الرّؤية؛ أي: فكّرت بشيء لم يفكّر به أحدٌ، وهو عندما رأى جبريل على فرسه أن يقبض قبضة من أثر الفرس وحدث ذلك عندما كان يتقدم جبريل موسى وبني إسرائيل للعبور في البحر؛ أي: من التراب الّذي تضع حافرها عليه؛ لأنّه لاحظ أنّ فرس جبريل كلما وضعت حافرها على التّراب أصبح مخضراً، ففكّر أن يأخذ قبضة (الأخذ بجمع الكفّ) من ذلك التّراب، فقبض قبضة من أثر جبريل وألقاها في الحلي المذاب، وهذا هو المشهور عند جمهور المفسرين.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أي: مع الحلي، والنّبذ: هو طرح الشّيء استهانةً به، واستغناءً عنه.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾: زيّنت لي نفسي أن أفعل ذلك (اتخاذ العجل) وحدث ذلك في زمن ذهاب موسى إلى الميعاد، وأما طوعت له نفسه كما قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣٠]؛ طوعت: أشد من سولت، وهي مرحلة تالية لسولت، وتحتاج إلى جهد أكبر.

[٩٧] ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى للسامري.

﴿فَاذْهَبْ﴾: الفاء: للتوكيد، اذهب: من بيننا؛ أي: اعتزلنا، ولا تقرب من أحد، أو أحدٌ يقترب منك، وأمر موسى بني إسرائيل ألا يقربوه، ولا يخالطوه، أو يكلموه عقوبةً له.

﴿فَإِنَّ لَكَ﴾: لك: اللام: لام الاختصاص.

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: لا تمس أحداً، ولا يمسك أحدٌ، وهذا التحذير يكفي لإدخال الرعب في عدم الاقتراب منه، وقيل: إذا حدث المساس أصيب بالعدوى والحمى؛ أي: يجب أن تعيش وحيداً بعيداً عن النّاس؛ فهذا عقابك في الحياة الدّنيا.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: أي: في الآخرة عذاباً آخر ينتظرك لن تخلفه: لن يتأخر عنك ولا مفرّ منه.

﴿لَّن﴾: حرف نفي.

وكان السّامري يستحق القتل كما قال موسى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فلماذا لم يكن السامري من بين هؤلاء؟ فهو السّبب في اتخاذ بني إسرائيل العجل إلهاً، ولو كان من بين الّذين قتلوا أنفسهم توبةً إلى بارئهم لربما قبل الله توبته، ونجا من عذاب الآخرة، ولكن الله سبحانه أوحى إلى موسى: لا تقتل السّامري واتركه حياً، وقل له: اذهب فإنّ لك في الحياة أن تقول لا مساس، وهذا عذابه في الدّنيا، وأمّا في الآخرة فإنّ لك موعداً في جهنم لن تخلفه.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾: أي: هذا العجل الّذي صنعته واتخذته إلهاً.

﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: مقيماً على عبادته (٤٠) ليلة ولم يقل ظللت؛ لأنّ الزّمن كان قصيراً (٤٠) ليلة، ولم يطل، ولذلك قال: ظلت عليه عاكفاً؛ ليناسب الزّمن، ولو طال الزّمن لقال: ظللت عليه عاكفاً.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: اللام: للتوكيد؛ نحرّقنه: النّون: للتوكيد، والمبالغة في الحرق، وقيل نحرقنّه: نبرده بالمبرد، وحين نبرد الشّيء يتطاير الشّرر منه، وكلما

بردناه بشدة يخرج شرر أكثر وأكثر حتّىٰ يصبح كالنّار، وهذا يعني لنحرقنّه، وبرده بالمبرد شيئاً فشيئاً يدل علىٰ عجز هذا الإله عن إنقاذ نفسه؛ أي: العجل.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾: ثمّ: لتباين الصّفات، ننسفنّه في اليم أكبر، أو أشد من نحرقنه، نسف الشّيء: هو غربلته والمنسفة هي آلة مثل المصفاة، والنّون في ننسفنّه: للتوكيد؛ أي: بعد أن نحرقنّه لننسفنّه في اليم؛ أي: لنذرّينّه في البحر لتذهب به الرّيح، أو يذوب في الماء، فلا يبقىٰ لهذا الإله أثرٌ علىٰ الأرض ولو الرّماد؛ حتّىٰ لا يكون مدعاة للعباد للاحتفاظ برماده، وقد قام موسىٰ بذلك فأخذ العجل المصنوع من الحلي فبرده بالمبردة، ثمّ ذرّاه في البحر.

[٩٨] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾:

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾: إنما كافة مكفوفة تفيد التّوكيد والحصر.

﴿إِلَٰهُكُمُ﴾: كلمة الإله: أي: المعبود، والّذي يأمر بالتّكاليف. إلهكم الله؛ أي: إنما المعبود المطاع هو الله وحده، المطاع فيما يأمر وينهىٰ سبحانه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: شيء: نكرة تشمل كلّ شيء صغيراً، أو كبيراً، ويعلم المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر؛ أي: علمه أحاط بكل شيء.

❖❖❖

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

سورة طه [الآيات ٩٩ - ١١٣]

[٩٩] ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: أي: مثل ذلك؛ أي: كما قصصنا عليك قصة موسىٰ وهارون وفرعون والسّامري، نقص عليك قصصاً أخرىٰ من أنباء الغيب السابقة.

﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: من: للتبعيض من بعض.

﴿أَنۢبَآءِ﴾: من الأخبار الهامة للرسل السّابقة، والنّبأ: هو الخبر العظيم الهام.

﴿مَا﴾: لغير العاقل.

﴿قَدْ سَبَقَ﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿سَبَقَ﴾: من الرّسل؛ أي: سبقوك من الرّسل، أو غيرهم، أو الأمم.

ويؤيد ذلك قوله في سورة النّساء الآية (١٦٤): ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، وقد بيّن سبحانه السّبب في قص هذه الأنباء علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين في سورة هود الآية (١٢٠)، فقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، ومن الأسباب في قصّ هذه القصص؛ ليبين صدق نبوة رسوله محمّد ﷺ؛ لأنّ النّبي ﷺ أمي لا يمكن أن يكون قد تعلّم كلّ أخبار تلك الأمم الماضية، وتفاصيل ما حدث لها.

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾: الإيتاء هو العطاء بدون تمليك، والإيتاء أوسع من العطاء يشمل الأشياء المادية والمعنوية. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الإيتاء والعطاء.

﴿مِن لَّدُنَّا﴾: ولم يقل عندنا، من لدنّا؛ تعني: شيئاً خاصاً لا يعطيه الله إلا لمن يحبه أو خاصته، بينما من عندنا: تعني شيئاً عاماً نعطيه للكل.

﴿ذِكْرًا﴾: الذّكر هو القرآن العظيم. ارجع إلى سورة الكهف، آية (٦٥) لبيان معنى من لدنا، وارجع إلى سورة (ص) آية (١) لبيان معنى ذكراً.

[١٠٠] ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾:

﴿مَّنْ﴾: اسم موصول بمعنى الّذي وشرطية. وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع، وتعني: العاقل.

﴿أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عنه: عن الذّكر العظيم (القرآن العظيم)، أعرض عنه: لم يؤمن به ويعمل بما فيه، وأصل الإعراض من العرض، مشتقة من عرض الإنسان: المسافة بين الكتفين، وأعرض؛ يعني: أعطاه ظهره وانصرف عنه؛ أي: ذهب بعيداً عنه.

﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: جواب الشّرط؛ إنّه: للتوكيد.

﴿يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: يحملُ: من الحِمل بكسر الحاء: وهو ما يُحمل على الظهر كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام:٣١]؛ الوزر: أصله الحمل الثّقيل، ويعني: الذنب والإثم الذي يشبه الحمل الثقيل (الوزر) من

أعرض عن الذّكر (القرآن) يأتي يـوم القيامة يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً؛ أي: إثماً وذنباً ثقيلاً.

[١٠١] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾: أي: هـو حمل لا نهاية لـه، ولا أمل في الخلاص منه، أو فيه: تعود على الوزر؛ أي: إثم يخلد فيه صاحبه؛ أي: في عذابه.

﴿وَسَآءَ لَهُمۡ﴾: سـاء: من أفعال الذّم؛ أي: قُبح ذلك الحمل، أو يسبب لهم ذلك الحمل السّوء، أو المساءة غير المستحبة للنفس.

﴿لَهُمۡ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾: وزراً إثماً، وقدم يوم القيامة على الحمل بدلاً من القول وساء لهم حملاً يوم القيامة؛ لأنه سيكون أسوء من أي زمن آخر.

[١٠٢] ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾:

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: الصّـور: البـوق؛ أي: ينفخ فيه إسـرافيل النّفخة الثّانية (نفخة البعث، أو القيام).

﴿وَنَحۡشُرُ﴾: نحشر: الحشر: هو السّوق إلى أرض المحشر، والجمع (أي: نسوقهم ونجمعهم) في الأرض الجديدة.

﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: الكافريـن، والّذين ماتوا على الكفر، أو الشّـرك. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: في ذلك اليوم يوم القيامة.

﴿زُرْقًا﴾: من اللون الأزرق النّاتج عن صعوبة التّنفس، وقلة الأوكسجين الّذي يؤدي إلىٰ ضيق شديد في الصّدر، وألم في الأطراف، وهذا من أشد أنواع العذاب الّذي يشعر معه صاحبه بالاختناق، و(زرقاً) جاءت نكرة؛ لتشمل كافة الأعضاء، زرق العيون والأيدي والأرجل والجلد وغيرها؛ أي: عذاب شامل يشمل كل عضو.

[١٠٣] ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾:

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يُسرُّ بعضهم إلىٰ بعض القول؛ أي: لا يجرؤ أحد علىٰ رفع صوته، والجهر به، يتحسرون علىٰ دنياهم الّتي فرطوا فيها في جنب الله تعالىٰ، وكأنهم يقولون لبعضهم: كل ما لبثنا في الدنيا إلا عشرة أيام؛ أي: لم نعطىٰ الزمن الكافي للعبادة، أو الطاعة.

﴿إِن﴾: نافية، أقوىٰ نفياً من ما.

﴿لَّبِثْتُمْ﴾: اللبث: الإقامة المقترنة بزمن محدد بعكس المكث.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَشْرًا﴾: قدروا إقامتهم في الدّنيا بـ(١٠) أيّام؛ أي: إنّها انقضت بسرعة، أو أنّهم استطالوا الآخرة، ورأوا أنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فكأنّ إقامتهم في الدّنيا كانت (١٠) أيّام مقارنةً بطول الآخرة.

[١٠٤] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾:

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: نحن: للتعظيم، أعلم: على وزن أفعل، ولم يقل نعلم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى: الّذي يقولون، أو مصدرية: بقولهم.

﴿يَقُولُونَ﴾: أي: يتخافتون بينهم؛ إذ يقولون بالخفاء وسراً.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أحسنهم حكماً، أو أعدلهم رأياً وعقلاً، وعملاً.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾: إن: نافية؛ أي: ما لبثتم في الدّنيا. إلّا: أداة حصر، يوماً واحداً؛ أي: عَشْراً هو زمن طويل، والأصح هو: يوماً واحداً.

ورغم أنّ الحديث في هذه الآية يتعلق بما سيقال في يوم القيامة جاء بصيغة المضارع (الزّمن الحاضر)؛ فالله سبحانه يعلم ما يقولون، أو قالوا، أو سيقولون منذ الأزل، فالزّمن عنده واحد متساوٍ، والله سبحانه خالق الزمان والمكان يخبرنا من أخبار الغيب ببعض ما سيقوله المجرمون يوم القيامة، ففي هذه الآية قالوا: عشراً، وقال أمثلهم: يوماً، وفي آيات أخرى: ما لبثوا غير ساعة؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الرّوم:٥٥].

[١٠٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: ماذا سيحل بها، أو كيف تصبح يوم القيامة؟ قال بعض المفسرين: أنّ الرّسول ﷺ لم يُسئل هذا السّؤال ولم يقع، ويعني: إن

سألوك في المستقبل عن الجبال فقل كذا وكذا، ودليلهم قوله: فقل؛ لأنّ كلّ الأسئلة الّتي سألوها رسول الله ﷺ جاء الرّد عليها بكلمة: قل، إلا هذه الآية الوحيدة الّتي جاءت بكلمة «فقل» بدلاً من «قل». فقيل: إن الفاء هنا تدل على شرط مُقدر؛ بمعنى: إن سألوك فقل كذا وكذا.

﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾: أولاً: مرحلة الاقتلاع، ثم السير ثانياً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير:٣]، ثم مرحلة الدك كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة:١٤]، ثم مرحلة التفتت والتحول إلى رمال: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤]، ثم مرحلة النسف، ثمّ ينسفها ربي. النّسف: التّذرية، وتذروها الرّياح، ثمّ تتحول إلى العهن المنفوش: الصّوف المنفوش؛ أي: الملون. نسفاً: للتوكيد.

لنقارن هذه الآيات الثلاث التالية، ونرى كيف وردت كلمة قل، فقل، وبدون أيهما.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة:٢١٥].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه:١٠٥].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

إذا وقع السّؤال وسئلت قل.

وإذا لم يقع السّؤال وسئلت في المستقبل هذا السّؤال فقل.

إذا وقع السّؤال وحذف قل أو فقل، فذلك يدل على أن الله سبحانه قريب ويريد الله سبحانه الإجابة على السّؤال بدون تدخل الرّسول ﷺ.

[١٠٦] ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا ﴾:

يصبح مكان الجبال بعد نسفها أرضاً مستوية، أو تصبح الأرض بعد نسف الجبال وزوالها أرضاً، من صفاتها «قاعاً»: أرضاً مستوية.

﴿صَفْصَفًا﴾: ليس فيها نبات، ولا شجر، وهي الأرض الجديدة الّتي سنبعث منها، وهي أكبر بكثير من أرضنا الحالية؛ لتضم بلايين بلايين البشر منذ آدم حتّى آخر من يُخلق.

[١٠٧] ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾:

﴿فِيهَا﴾: تعني الأرض.

﴿عِوَجًا﴾: يعني: الميل أو الانحناء الحسي، أو المادي؛ أي: لا ترى في الأرض عوجاً أودية (عوجاً: انخفاضات).

﴿وَلَا أَمْتًا﴾: روابي (أمتاً: الارتفاع؛ أي: رابية؛ أي: لا ترى فيها انخفاضاً، ولا ارتفاعاً لا وادي ولا رابية)، وتكرار «لا» تفيد التّوكيد، لا هذا، ولا ذاك، ولا كلاهما معاً.

[١٠٨] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾:

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾: يوم البعث. يومئذٍ: مركبة من: «إذ» و «يوم». أضيف ظرف إلى ظرف. ارجع إلى سورة الحاقة، آية (١٥)؛ للبيان.

﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: يتبعون الدّاعي جاءت بأل التعريف؛ أي: إسرافيل إلى

أرض المحشر بالنّفخة الثّانية؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٦-٧].

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: لا: النّافية. لا عوج لدعائه: يصل دعاؤه (النّفخ في الصور)؛ أي: يسمع نفخه الكلّ، ولا يرفض أحدٌ اتباعه، ولا يعدل عنه أحد.

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: خشعت: من الخشوع، وهو الخضوع لأوامر الله، والذل والانكسار، ويظهر في الصوت والبصر، والخضوع يظهر علىٰ البدن، لا يجرؤ أحد علىٰ الكلام بصوت مرتفع، وإذا تحدثوا تحدثوا همساً، وهذا ما يحدث أيّام الشّدائد، والأهوال، لا يجرؤ أحد علىٰ رفع صوته، فلا: الفاء للتوكيد، لا: النّافية. تسمع إلا همساً: «إلا» حصراً.

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. ارجع إلىٰ الآية (١٠٨) السّابقة.

﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾: لا: النّافية، تنفع الشّفاعة: ارجع إلىٰ (٨٥) من سورة النّساء؛ لمعرفة معنىٰ الشّفاعة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾: من: ابتدائية، فأوّل متطلب هو الإذن من الرّحمن والمتطلب الثّاني:

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: رضي: للمشفوع فيه قولاً؛ أي: رضي ما كان يقول في الدّنيا مثل: لا إله إلا الله؛ أي: لا بد من أن يكون موحداً لله تعالىٰ أو غيره، يؤمن بوحدانية الله تعالىٰ.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾:

في الآية السّابقة يقول سبحانه: إلا من أذن له الرّحمن ورضي له قولاً.

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: من رضي له قولاً؛ لأنّه سبحانه وتعالىٰ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الضمير هنا يعود إلىٰ الّذين يتبعون الدّاعي، وأهل الشّفاعة. ما بين أيديهم: من أمر الآخرة، وما خلفهم: من أمر الدّنيا؛ أي: ما فعلوه وسيفعلونه، أو بالعكس.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾: بالله؛ لأنّ هناك الكثير من الأشياء الّتي لا يطلعها سبحانه علىٰ عباده، ولا يعرفها أحد منهم، فلا أحد من الخلائق يحيط علماً بذات الله سبحانه، أو صفاته وأفعاله، وتقديم به الجار والمجرور يدل علىٰ الحصر.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾:

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾: استسلمت النّفوس لخالقها؛ أي: ذلت وخضعت في ذلك اليوم، وعنت مشتقة من: العاني، والعاني أصلاً هو: الأسير الّذي استسلم.

﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق، الحي القيوم: ارجع إلىٰ سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿خَابَ﴾: خسر.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾: الظلم: الشرك؛ أي: قد خسر من أشرك بالله في دنياه، ومات ولم يتب، وحمل ظلمه (شركه) إلىٰ الآخرة.

[١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: من بعضية؛ أي: بعض الصّالحات؛ لأنّ طاقة الإنسان لا تقوىٰ علىٰ عمل كلّ الصّالحات، ومن رحمته بنا قال: «من» أي: بعض الصّالحات.

وقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: فالإيمان هو شرط لقبول العمل الصّالح، مؤمن بالله ووحدانيته، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّافية.

﴿يَخَافُ ظُلْمًا﴾: لا يخاف أن نظلمه بزيادة سيئة من سيئاته.

﴿وَلَا هَضْمًا﴾: ولا ننقصه حسنة من حسناته، (الهضم نقصان بعض الحق)، والظلم: هو أخذ جميع حق الغير، أو بعضه.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾: لا يخاف أن نمنعه حقَّه، ولا بعض حقِّه، تكرار «لا»: لتوكيد النّفي، وفصل كلّ واحد عن الآخر، أو كلاهما معاً؛ أي: لا ظلماً، ولا هضماً لوحده ولا كلاهما معاً.

[١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾: سبقها قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الآية:٩٩]؛ أي: كما

قصصنا عليك من أنباء ما قد سبق، أنزلنا عليك قرآناً عربياً؛ أي: بلسان عربي مبين، والإنزال يعني: جملة واحدة من اللوح المحفوظ في السّماء الدّنيا؛ ليفهموا ويدّبّروا آياته، صرفنا فيه عن الوعيد؛ أي: كررنا فيه آيات الوعيد على صور، وأساليب مختلفة.

﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾: من ابتدائية، الوعيد: يكون في الشر خاصة، وأما الوعد يكون للخير والشر، وإذا أطلق يختص بالخير.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل: للتعليل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: أي: يطيعوا أوامر الله ويجتنبوا نواهيه، أو يتّقون عذاب الله.

﴿أَوْ﴾: على الأقل.

﴿يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿ذِكْرًا﴾: يذكرهم بما نسوه، أو يعظهم بطاعته، وعبادته، ويوقظهم من سباتهم، ويذكرهم بفعل الطاعات، والخيرات؛ فالقرآن هو من أوجد وأحدث لهم ذكراً لم يكن لهم من قبل؛ لأنه أُنزل عليهم من بين الآخرين، ورفع شأنهم وذكرهم وشرفهم.

❖ ❖ ❖

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

سورة طه [الآيات ١١٤ - ١٢٥]

[١١٤] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: تنـزَّه عزّ وجلّ وتقدَّس الملك الحق أن يظلم أو يهضم حق أحدٍ من عباده.

وتعالىٰ وتقدس ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾: حصراً، وقصراً؛ لأنّه له ما في السّموات، وما في الأرض، وما بينهما، وله الحكم، وهو الحي القيوم.

﴿ٱلْحَقُّ ۗ﴾: أي: الثّابت الّذي لا يتغير، ولا يتبدل. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٦)؛ لبيان معنىٰ الحق.

﴿وَلَا﴾: النّاهية.

﴿تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾: بتلاوته بسرعة علىٰ جبريل عليه السلام.

﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ﴾: أي: اصبر حتّىٰ ينتهي جبريل من تلاوته عليك، وأصغِ إليه؛ فإذا فرغ من قراءته فاقرأه بعد ذلك، ولا تخشىٰ من النّسيان، أو أن يفوتك شيء منه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٨]. ارجع إلىٰ سورة القيامة آية (١٦-١٨) للبيان المفصل.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾: واسأل ربك الزّيادة في علوم الدّين والآخرة، وما تحتاجه من علوم الدّنيا، علماً: نكرة؛ فهناك علوم القرآن والأحكام، والشّريعة،

والفقه، والسّـــيرة، والتّفســـير... وغيرها، وكذلك علوم الدّنيا الضرورية بما فيها علوم الفلك، والطب، والهندسة، والصيدلة... وغيرها.

[١١٥] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿عَهِدْنَآ﴾: العهـــد: تكليف وأمر، وقد يكون مـــن طرفين، أو طرف واحد، ولم يسند العهد في القرآن إلا لله وحده، والعهد أقوىٰ من الوصية، والعهد موثق.

﴿إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾: مـــن قبل أن يكون نبياً، أو من قبل هؤلاء الّذين جاؤوا من بعده، ونقضوا العهد.

﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: أي: أمرنـــاه ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩].

﴿فَنَسِيَ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، نسي: لها معنيان: التّرك؛ أي: ترك ما عهدنا إليه، أو أمرناه به، أو النّسيان؛ أي: لم يتذكر.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: بتكليف واحد فقط، وهو ألّا يقرب من الشّـــجرة، والله سبحانه أمره مباشرة بذلك وبدون واسطة جبريل وحذره من الاقتراب منها، والأكل منها.

﴿فَنَسِيَ﴾: والسّؤال هنا هل نســـي عدم الاقتراب من الشّجرة، أم نسي أنّ إبليس عدو له، ولزوجه، وأنّه قادر علىٰ الوسوسة؟

﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

﴿عَزْمًا﴾: نكـــرة، ولم نجد له عزماً؛ لتضم كلّ أنـــواع العزم، أو للتهويل،

والعزم: هو التّصميم على الشّيء، والثّبات عليه، والصّبر، ولم نجد له عزماً على عدم الاقتراب من الشّجرة، ناهيك عن الأكل منها، أو لم نجد له عزماً تصميماً: على ارتكاب الذّنب، والاقتراب من الشّجرة، ولكنّه أخطأ ونسي، وقد تعني كل ذلك.

[١١٦] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾:

هذه هي المرة السّادسة الّتي يذكر فيها سبحانه وتعالى قصة آدم في القرآن فقد ذكرها في سورة البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه.

﴿ وَإِذْ ﴾: ظرف للزمن الماضي؛ أي: واذكر إذ، أو اذكر حين قلنا للملائكة.

﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٤).

﴿أَبَىٰ﴾: أي: امتنع عن السّجود متكبراً قائلاً: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، والإباء: أشد من الامتناع، أو شدة الامتناع.

[١١٧] ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾:

﴿ فَقُلْنَا ﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب. قلنا: بصيغة التّعظيم.

﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلى إبليس.

﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾: لك ولزوجك، اللام: في كلاهما للتوكيد، والاختصاص.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية، يخرجنكما من الجنة: بالوسوسة، أو التّزيين، أو الإغراء، والنّون في «يخرجنكما» للتوكيد.

﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾: جاءت بصيغة المفرد بينما «يخرجنكما» بصيغة المثنى؛ أي: أسند إلى آدم فعل الشّقاء دون حواء، وأريد بالشّقاء التّعب، والكد في طلب العيش، وفسر العلماء أنّ السّعي والكدح مطلوب من الرّجل، أو الزّوج، وأما المرأة، أو الزّوجة فليست مطالبة بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤]، والقوامة من معانيها: أنّ الرّجل، أو الزّوج يقوم على الإنفاق وخدمة ورعاية أهله.

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾:

﴿إِنَّ لَكَ﴾: إنّ: للتوكيد؛ لك: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن: مصدرية تفيد التّعليل، والتّوكيد، لا: النّافية.

﴿تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾: الجوع قيل: خلوّ الدّاخل؛ أي: خلو المعدة من الطعام، وإذا استمر طويلاً يتحول إلى مخمصة الذي يظهر بشكل هزال شديد؛ لعدم توافر الطّعام، والعريّ: قيل: خلوّ الخارج؛ لعدم توافر اللباس، فالإنسان يحتاج إلى طعام ولباس، وقدم الطّعام أولاً؛ لأنّه الأهم، وتكرار «لا» يفيد توكيد نفي الجوع والعري، وفصل كلٍ على حدة، أو كلاهما معاً.

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّكَ لَا﴾: تفيد التّوكيد، لا: النّافية.

﴿تَظْمَؤُا۟﴾: أي: تعطش.

﴿فِيهَا﴾: في الجنة.

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: ولا يصيبك الحر؛ أي: الشّمس.

وتكرار (لا) كما في الآية السّابقة يفيد التوكيد، وقدّم الظّمأ على الضّحى؛ لأنّه الأصعب على النّفس، والأهم.

وبذلك فقد ضمن الله سبحانه لآدم وزوجته مقومات العيش الرّغيد في الجنة.

[١٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، إليه: إلى آدم وحده، بينما في سورة الأعراف آية (٢٠) قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ ولم يذكر في القرآن كله أنّ الشّيطان وسوس لحواء وحدها، وهذا تعليم من الأدب الرّباني.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾:

﴿هَلْ ﴾: للاستفهام، والتّشويق.

﴿أَدُلُّكَ ﴾: الدلالة: تعني التعريف والبيان بقصد أو بغير قصد، وإلى الخير أو إلى الشر، وتختلف عن الهداية والإرشاد للخير والصلاح والثواب.

﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾: أي: شجرة من يأكل منها لن يموت أبداً.

﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾: لا: النّافية؛ يعني: يبلى، أو يزول أبداً.

كقوله تعالى في سورة الأعراف، آية (٢٠): ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾.

[١٢١] ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾: وفي سورة الأعراف، آية (٢٣)، فلما ذاقا الشّجرة، بدت لهما سوآتهما. ارجع إلى الآية (٢٢) من سورة الأعراف؛ للبيان.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾: أي: شرعا يلصقان من ورق الجنة على عورتيهما لسترها.

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾: بالاقتراب من الشّجرة والأكل منها، وارتكب إثماً.

﴿فَغَوَىٰ﴾: الفاء: للتوكيد؛ غوى: ضل عن الرّشد، أو نسي، وترك ما عهدنا إليه، وأخطأ، وعصى وغوى: أفعال ماضية تدل على أنّها حدثت مرة واحدة، وانتهى الأمر؛ أي: لم تتكرر.

[١٢٢] ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ﴾: ثم: لتبيان الدّرجات بين عصى، واجتبى.

﴿اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه ليكون نبياً. واختار اسم الرب على اسم الله؛ لأنّ آدم ما زال في حاجة إلى رعاية وإعداد للنبوة بعد الهبوط إلى الأرض

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: بعد أن شرع الله سبحانه له التّوبة وعلّمه كيف يتوب، كما جاء في سورة البقرة، آية (٣٧): ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: قَبِل توبته.

﴿وَهَدَىٰ﴾: هداه إلى الاستقامة والثّبات على الحق والتّقوى.

[١٢٣] ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾:

قال سبحانه: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾: الخطاب موجّه إلىٰ آدم (وزوجه تابعة له)، وإبليس سبق بالهبوط قبل هبوط آدم وزوجه، ولم يذكرها من الأدب الرّباني في هذه الآية، وذكرها في الآية (٣٨) في سورة البقرة حين قال تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

﴿جَمِيعًۢا﴾: توكيد. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٣٨)؛ للبيان.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما.

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: شرطية، إما: للتفصيل.

﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾: النّون في «يأتينكم»: للتوكيد، منّي هدىٰ: مثل الكتاب، أو الوحي، أو إرسال رسول، أو نبي.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد، من: شرطية، اتبع هداي: ولم يقل: تبعَ هداي كما في الآية (٣٨) في سورة البقرة؛ اتبعَ: علىٰ وزن افتعل، وفيها معنىٰ المشقة والجهد والتجدد والاجتهاد، أما تبع: فهو اتباع عادي بدون جهد، واتبع تعني: الأوامر والنواهي، وافعل ولا تفعل، وهل هناك هدىٰ غير هدىٰ الله؟ قالوا: نعم، وهو هوىٰ النّفس، والشّهوات، والشّيطان.

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في هذه الدّنيا عن الحق، أو عن الدين، أو قد يعني: عن النسيان، والضياع. لا: تفيد النّفي، وتكرارها يفيد توكيد النّفي، وأداة النفي لا تنفي كلّ الأزمنة.

﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: لا يتعب، ولا يصاب بالهم والغم، والضّيق في العيش، ولا

في الصدر. ارجع إلى الآية (٣٨)، من سورة البقرة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ للمقارنة مع هذه الآية، ومقارنة اتبع وتبع والسياق في الآيتين.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، ومن: للعاقل، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: عن الوحي، أو عن القرآن، أو لم يؤمن بما أنزلت ولم يطع ما أمرته به، وجحد، وكفر، وإضافة الذّكر إليه تشريفاً، والآيات جزء من الذكر، وعبادته سبحانه جزء من الذكر، وما جاء بالرسول ﷺ والإعراض قد يكون عن آية أو جزئية أو إعراض عن الكل، والعقوبة تختلف قدر الإعراض.

﴿عَن﴾: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿فَإِنَّ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد، وإن: لزيادة التّوكيد.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: ولم يقل: حياة ضنكاً كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]؛ المعيشة: تعني الطعام والشراب والملبس... وغيرها، والحياة أعم من المعيشة؛ الضّنك: هو الضّيق في العيش والمعاناة، والخوف، وعدم الاستقرار، والشكوى، والفقر، والهم، والحزن، والحرص، ضنكى: على وزن فعلى؛ أي: عكس الحياة الطّيبة.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾: أعمى البصر والبصيرة، لا حجة له.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾:

﴿قَالَ﴾: تعود على: من أعرض عن ذكري.

﴿لِمَ﴾: ما: اسم استفهام فيه معنى الإنكار والتّعجب.

﴿حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾: يوم الحشر يوم الحساب، أعمى البصر، كما قال ابن عباس؛ أي: لا يرى أمامه، والبصيرة كما قال مجاهد: ليس له حجة يقدمها؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]. والعمى في القرآن قد يعني: فقدان البصر، كما في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس:١-٢]، وقد تعني: عمى البصيرة كما في قوله تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩]، والعمه في القرآن يعني: عمى البصيرة، والتردد في الأمر والحيرة، ويوم القيامة مواطن متعددة في موطن بصره حديد كقوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢]، ومواطن يكونوا فيه مبلسين.

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق يفيد التّوكيد.

﴿كُنتُ بَصِيرًا﴾: كنت في الدّنيا بصيراً مبصراً.

❖ ❖ ❖

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ
وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ
لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

سورة طه [الآيات ١٢٦ - ١٣٥]

[١٢٦] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾:

قال الله سبحانه رداً على سؤال الّذي حشر يوم القيامة أعمى: لمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟

كذلك؛ أي: كما أتتك آياتنا في الدّنيا، فنسيتها ولم تؤمن بها، وعميت عنها، ولم تنظر إليها، فنحن اليوم نحشرك أعمى البصر، والبصيرة، ونتركك في العذاب، وكذلك اليوم ننسى، وحاشا لله أن ينسى، والنّسيان يعني: ترك العبد في العذاب، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية:٣٤].

[١٢٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل هذا الجزاء، أو العقاب نجزي من أسرف في الدّنيا؛ أي: كلّ من تجاوز حدود الله في شهواته ومعاصيه، واتبع هواه، ولم يؤمن بآيات ربه.

﴿وَلَعَذَابُ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾: من عذاب الدّنيا وضنك العيش فيها، وأدوم؛ أي: لا يزول، أو يتغير.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام وتحذير، الفاء: للتوكيد على شدة الإنذار والتّحذير.

﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾: يتبين. لهم: اللام: لام الاختصاص للمشركين من قريش، أو للكافرين عامة، وفي سورة السجدة آية (٢٦) قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ الفاء: تدل على التعقيب؛ أي: ما قبل الآية يتصل بما بعدها، وأما الواو: تدل على الاستئناف.

﴿كَمْ﴾: الخبرية، وتفيد التّكثير؛ أي: الكثير.

﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾: ولم يقل من قبلهم، قبلهم تعني: منذ زمن بعيد، أو قريب.

﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: من: ابتدائية، القرون: الجماعات الّتي كانت تعيش معاً لقرنٍ من الزّمن، والقرن يقدر (١٠٠) سنة، أو عام، أمثال ثمود، وعاد، ولوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبّع... وغيرهم من القرون.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: يمشون بصيغة المضارع الّتي تدل على التّكرار، والتّجدد؛ أي: ما زالوا يسيرون أو يمرون في ديارهم ويرون آثارهم ويزورونها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة للبعد.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: للتوكيد، علامات ودلالات وبينات، وعبر، ومواعظ كافية.

﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾: اللام: لام الاختصاص، أولي النّهى: لأصحاب العقول

النّيرة. ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من السّورة نفسها؛ للبيان. ولنعلم أن أولي النّهىٰ ذكرت مرتين في القرآن وكلاهما في سورة طه.

لنقارن هذه الآية (١٢٨) من سورة طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾.

مع الآية (٢٦) من سورة السّجدة: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

الاختلافات:

في آية طه: أفلم، في آية السّجدة: أولم، وكلمة «أفلم» أشد وآكد من كلمة «أولم».

في آية طه: قبلهم، في السّجدة: من قبلهم.

قبلهم: تعني: الزّمن القريب، أو البعيد بدون تحديد؛ أي: أهلكنا قبلهم الأمم القريبة، أو البعيدة، بينما: من قبلهم. تعني: فقط الأمم القريبة الّتي جاءت قبلهم.

والخطاب في آية طه: لأولي النّهىٰ؛ أي: الّذين يملكون العقل والبصيرة والسّمع، أمّا في آية السّجدة للذين يملكون ميزة السّمع فقط، ولذلك التّحذير والتّهديد في آية طه أشدّ وأقوىٰ من آية السّجدة.

ولأنّ العقوبات في سورة طه تشمل الدّنيا والآخرة، بينما في سورة السّجدة العقوبات مقصورة علىٰ الآخرة، أو جاءت في سياق الآخرة.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: استئنافية، لولا: حرف امتناع لوجود فيه معنىٰ الشّرط.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير العذاب، أو العقوبة على كفرهم وشركهم إلى دار الآخرة.

﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾: اللام: للتوكيد. لِزاماً: أي: لولا كلمة ربك، لوجب وقوع العذاب عليهم مباشرة في الدّنيا وبدون تأخير، كما حاق وحلّ بالأمم السّابقة، ولكن رحمة منه أخر العذاب عنهم؛ لعلهم يتوبون وينيبون إلى ربهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: أي: التّأخير يكون لأجل مسمّى، وقيل: الأجل المسمّى هو إما زمن الموت، أو بعد البعث؛ أي: يوم القيامة.

[١٣٠] ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾:

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، اصبر على ما يقولون: الخطاب موجّهٌ إلى رسول الله ﷺ؛ أي: اصبر على قولهم: إنك (ساحر، مجنون، كاهن، يعلّمه بشر، مفترٍ)، وغيره من الأقوال الغير حق.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صبرٌ يرافقه تسبيحٌ مصحوباً بالحمد.

التّسبيح: هو تنزيه الذّات والصّفات والأسماء من كلّ نقص وعيب، وولد وشريك، ويعني: الصّلاة والدّعاء، والحمد: يعني: الثّناء لله تعالى في السّراء والضّراء، وأنّه هو المنعم. ارجع إلى سورة الحديد، آية (١)؛ لمزيد من البيان لمعنى التّسبيح، وسورة الفاتحة، آية (٢)؛ لبيان معنى الحمد.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: أي: صلاة الفجر، والتّهجّد.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: قبل الغروب؛ أي: صلاة العصر.

﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾: آناء: جمع إنى، وهو الجزء من الزّمن، وآناء الليل: أجزاء الليل؛ أي: صلاة العشاء، والوتر، والتّهجّد.

﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: أي: صلاة الشّروق، والضّحى، والظّهر، والمغرب؛ أي: صلِّ وسبِّح واحمد ربك، وادعوه واذكره؛ أي: في سائر الأوقات في الليل والنّهار.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: لعل: للتعليل، ترضى: لعلك تكون راضياً عن نفسك بما أحضرت يوم الحساب من الأعمال الصّالحة.

ولا بدّ من مقارنة هذه الآية (١٣٠) في سورة طه، مع الآيتين (٣٩-٤٠) من سورة ق.

آية طه: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

آيتا ق (٣٩-٤٠): ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

الفروق: السّياق في آيات طه: أنّها جاءت في سياق الحياة الدّنيا، وأما السّياق في آيات ق: أنّها جاءت في سياق الحياة الآخرة، وأنّها تفيد العموم.

مثلاً: ومن الليل فسبّحه، التسبيح فيه أعمّ وأطول من التّسبيح في آناء الليل (آناء الليل ساعات من الليل)، أطراف النهار: مقارنة بأدبار السّجود، أدبار السّجود: عقب الصلوات الخمس أكثر من أطراف النهار، وقبل الغروب؛ تعني: العموم، فسبِّح: (إطلاق التّسبيح)، فسبّحه: (تخصيص التّسبيح).

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: الواو: عاطفة، لا: النّاهية، تمدّنّ عينيك: الخطاب وإن كان موجّهاً إلى رسول الله ﷺ إنّما هو للمؤمنين عامة.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أي: لا تفتن أو تبهر، أو تُشغل وتحدّث نفسك بما أنعمنا، أو أعطينا أزواجاً منهم؛ أي: أصنافاً من النّاس، أو الكَفَرة.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: من الزّينة، والمال، والقصور، والمراكب، والحدائق، والبساتين، والثّمار، وكل ذلك يشبه الزّهور، أو الزّهرة الّتي سرعان ما تذبل، وتيبس، وتفقد لونها، ورائحتها، ثمّ تموت وتفتّت وتزول.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ أي: هذا النّعيم والزّينة إنّما هي فتنة لهم وابتلاء.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: من الإيمان والتّقوى، ومن العلم والصحة، والأهل والمال في الدّنيا، وما سيعطيك في الآخرة من ثواب ورزق وجنّة أعظم بكثير مما متّعناهم به في الحياة الدّنيا، وما لهم في الآخرة من نصيب.

﴿وَأَبْقَىٰ﴾: أدوم، ولا يفنى، ولا ينقطع.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾: أهل بيتك: زوجتك وأولادك.

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: الباء: للإلصاق والاستمرار، والصّلاة: عماد الدين، وأجلّ العبادات، وهي الجامعة لأركان الإسلام، والتي تصل العبد بربه على الدوام.

﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: أي: داوم عليها، وداوم على أمر أهلك وأولادك وحثهم بالصبر وبالمحافظة عليها، وجدَّ واجتهد في أدائها.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: لا: النّافية، نسألك أن ترزق أحداً. رزقك ورزق أهلك، ورزق كلّ مخلوق مكفول من ربك، فلا يشغلك عن طاعة الله تعالى، وعن الصّلاة، وشكره وذكره.

﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: العاقبة؛ أي: الجنة.

﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: لأهل التّقوى، اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. العاقبة إذا جاءت بصيغة المؤنث كقوله تعالى: (كيف كانت عاقبة) في القرآن: تدل على الجنة، ولو جاءت بصيغة المذكر؛ كقوله تعالى: (كيف كان عاقبة): لَدلَّت على العذاب.

[١٣٣] ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: أي: المشركين الكفار، قالوا ذلك تعنُّتاً وعناداً.

﴿لَوْلَا﴾: أداة للحثّ والطّلب (هلّا).

﴿يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ﴾: يأتينا محمّد بآيةٍ من ربه؛ أي: معجزة كعصا موسى، أو ناقة صالح، أو ﴿تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء:٩٠-٩٢].

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أولم يأتهم بيّنة ما في الصّحف الأولى؛ أي: القرآن العظيم؛ فهو البينة الّتي تشمل لكل ما جاء في الصّحف الأولى صحف

إبراهيم وموسىٰ، وغيرها من أخبار وأنباء وأحكام وقصص؛ أي: أولم يكفهم هذا القرآن البينة والمعجـزة الخالدة إلىٰ يوم القيامة، بينما باقي البينات والمعجزات الّتي جاءتهم اندثرت وزالت!

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿أَنَّآ﴾: للتوكيد، ونحن قادرون علىٰ ذلك.

﴿أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ﴾: الباء: للإلصاق، تعليلية.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل إنزال الآيات، أو من قبل أن يأتيهم القرآن، أو من قبل مجيء محمّد ﷺ كرسول لهم.

﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: لقالوا يوم الحساب، واتخذوا ذلك حجّةً لهم، واللام: للتوكيد.

﴿لَوْلَآ﴾: أداة حصرٍ وحثٍّ.

﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: أي: لو جاءنا رسـولاً لآمنّا به، واتّبعنا آياتك؛ أي: لأخذنا بها وعملنا بما فيها من أحكام وأوامر ونواهٍ.

رسولاً جاءت بالنّكرة، أيَّ رسول، وليس رسولاً بحدّ ذاته رغم أنّهم أتاهم بأفضل رسله ﷺ.

﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾: نُهان بالعذاب في جهنم.

﴿وَنَخْزَىٰ﴾: بالخـزي: وهو الفضيحـة في الدّنيا، أو فـي الآخرة علىٰ رؤوس الأشهاد.

[١٣٥] ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾:

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: كلٌّ منا ومنكم متربّص: اسم فاعل لفعل «تربص» والتّربص: المراقبة والمتابعة لوقوع شيء ما بالغير؛ أي: كلٌّ منا ومنكم يتربص بالآخر؛ أي: بما سيحلّ به في الدّنيا وفي الآخرة. ارجع إلىٰ سورة الطّور، آية (٣٠)؛ للبيان.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، والسّين: للاستقبال القريب والتّوكيد.

﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ ﴾: من: ابتدائية، أصحاب الصراط السّويّ: أي: الصراط المستقيم: الإسلام، والصّراط: هو أوسع السّبل وأسهلها، وأقصرها مسافةً وزمناً، وحذف من هو علىٰ ضلال مبين، أو من غوىٰ.

﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾: تكرار «من» يفيد التّوكيد؛ اهتدىٰ: من سار علىٰ طريق الهدىٰ الموصل إلىٰ الغاية العظمىٰ، وهي رضوان الله تعالىٰ، وسعادة الدارين، ومن غوىٰ؛ أي: فسد رأيه وعقيدته، وملّته، وضلّ وانحرف عن منهج الله تعالىٰ، وفي هذه الآية تحدي رفيع في مقام الحجاج والدعوة إلىٰ الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:٢٤] مقارنة بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة:٥٢] جاءت هذه الآية في سياق الإنذار والتهديد والوعيد.

❖❖❖

سورة الأنبياء

ترتيبها ٧٣ | آياتها ١١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٢١)، وترتيبها في النّزول (٧٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿اقْتَرَبَ﴾: دنا وأقبل، والاقتراب إما أن يكون زمناً أو مكاناً؛ وهنا يعني دنا زمن وقت القيامة أو السّاعة، واقترب: فعل ماضٍ يدل على لزوم الحدث فكأنّ الاقتراب حدث وانتهى، والله سبحانه خالق الزّمان والمكان يستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص تفيد الظّرفية؛ أي: اقترب للناس حسابهم بشكل عام، ولمنكري البعث والآخرة، خاصة، وكلمة النّاس مشتقة من النّوس، وهو الحركة وتشمل الإنس والجن.

﴿حِسَابُهُمْ﴾: زمن أو وقت حسابهم، ونتيجة الحساب إما أن تكون لهم؛ أيْ: لصالحهم، أو لغير صالحهم؛ أيْ: عليهم.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: في ظرفية، غفلة: في جهالة وإهمال للاستعداد ليوم الحساب، وعدم الانتباه والحذر، والتنكير في غفلة للتعظيم.

ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الغفلة.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾: جمع معرض -اسم فاعل من أعرض-؛ أي: ابتعد عنه ولم يتقبل ذلك، أو لم يبالِ به، أو يهتم به.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾: عن الإيمان بالله ورسوله وبما أنزل علىٰ رسوله.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت؛ أي: الإعراض عن الإيمان أصبح صفتهم الثّابتة.

ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (١) ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ للمقارنة.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾: ما النّافية، يأتيهم من ذكر من ربهم: من آيات أو آية أو قرآن أو وحي أو موعظة أو ما يذكرهم بربهم أو وعيد.

﴿مُّحْدَثٍ﴾: جديد؛ أيْ: يسمعونه لأوّل مرة.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾: إلا أداة حصر، استمعوه: استمعوا إليه، والاستماع هو الإصغاء إلىٰ التلاوة بقصد ونية. بينما سمعوه يكون بدون نية أو بشكل عارض.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: الواو: حالية، هم للتوكيد، يلعبون: أيْ: وهم منشغلون في لعبهم، ومن دون انتباه وتدبر؛ أيْ: لاهون، واللعب حين يشغل عن واجب يصبح لهواً، ولذلك أتبع ذلك بقوله: لاهية قلوبهم.

[٣] ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾:

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: أي: استمعوه وهم يلعبون، وقلوبهم مشغولة بأشياء أو أمور أخرىٰ، وتقديم لاهية قلوبهم، ولم يقل: وقلوبهم لاهية؛ أي: قلوبهم لاهية تعني عن الذّكر المحدث: المنزل من ربهم وغيره من الأمور؛ أي: الكلّ، أمّا لاهية قلوبهم؛ أيْ: لاهية خاصة عن الذّكر المحدث من ربهم، أمّا غيره من الأمور فهي غير لاهية عنها، مثل أمور الدّنيا.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: النّجوىٰ: المسارة في الحديث، أو خفض الصّوت، ولا بُدَّ من ثلاثة نفر علىٰ الأقل لحدوث النجوىٰ، ولمعنىٰ النّجوىٰ: ارجع إلىٰ سورة المجادلة آية (٧): للبيان.

وقدَّم النّجوىٰ علىٰ الّذين ظلموا بدلاً من القول: وأسروا الّذين ظلموا النّجوىٰ للاهتمام والتّوكيد، وما فحوىٰ النّجوىٰ: هي قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السّحر وأنتم تبصرون، وهذا يسمَّىٰ التّبيين أو الإيضاح بعد الإبهام.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه معنىٰ النّفي.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير علىٰ محمّد ﷺ.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أيْ: ليس بملكٍ أو برجلٍ عظيم أو ليس برسول؛ لأنّه بشر يأكل مما تأكلون، ويشرب مما تشربون، ويمشي في الأسواق.

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أفتأتون: الهمزة همزة استفهام وتعجُّب فيه الشّك، أفتأتون السّحر؛ أيْ: تحضرون وتأتون إلىٰ محمّد ﷺ لتسمعوا إلىٰ سحره، قال: أفتأتون السّحر؛ أيْ: كأنّ محمّداً كلّه تحوّل إلىٰ سحر، فهو ساحر، ومسحور، وما يقوم به السّحر، وأنتم تبصرون: فكيف تُقبِلون عليه وأنتم تعلمون وترون أنّه ساحر يريد أن يسحركم بسحره.

واتهموه بالسّحر أو ما جاء به السّحر؛لكونه أثّر في نفوسهم تأثيراً قويّاً ولم يستطيعوا مقاومته، وكانوا يظنون كلّ شيء خارق للعادة سحراً. ارجع إلىٰ سورة طه آية (٥٨)، والبقرة (١٠٢): لمزيد من البيان.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

في الآية السّابقة قال تعالىٰ: وأسروا النّجوىٰ الّذين ظلموا وظنّوا أنّ الله لا يعلم بحالهم.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فقل لهم يا محمّد ﷺ: إنّ ربي يعلم القول في السّماء والأرض؛ أيْ: يعلم ما يقال في السّماء والأرض ولا تخفىٰ عليه خافية في السّماء ولا في الأرض.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: يسمع كلّ ما يقال في السّماء والأرض سواء أكان القول جهراً، أم سراً، أم نجوىٰ.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: ويعلم ما يحدث في السّماء والأرض من قول وفعل. وعليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

وإذا قارنا هذه الآية (٤) من سورة الأنبياء: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، مع الآية (٦) من سورة الفرقان: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

في سورة الأنبياء قال تعالىٰ: يعلم القول في السّماء والأرض، وفي سورة الفرقان قال تعالىٰ: يعلم السّر في السّموات والأرض:

أوّلاً: القول أوسع من السّر؛ لأنّ القول قد يكون سراً أو جهراً، فالسّر جزء من القول، والسّماء أوسع من السّموات.

فنرىٰ أنّ الله سبحانه جاء بالأوسع مع الأوسع حجماً، وجاء بالأدنىٰ مع الأدنىٰ حجماً، فجاء بالقول (أوسع من السّر) والسّماء (أوسع من السّموات والأرض) معاً، وجاء بالسرّ مع (مُصاحباً) السّموات.

[٥] ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾:

﴿ بَلْ ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾: قالوا؛ أي: الكفار: القرآن أضْغاثُ أحلام؛ أيْ: أخلاط كأنّه أحلام مختلطة ملتبسة غير مميَّزة، فهم تمادوا في طغيانهم، وجهلهم، وضلالهم، فلم يكتفوا بقولهم عن القرآن: سحر، والرّسول: ساحر ومسحور، بل ذهبوا إلىٰ أبعد من ذلك وقالوا: أضغاث أحلام ولم يكتفوا بذلك أيضاً فقالوا: افتراه.

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: بل للإضراب الانتقالي، أيْ: أنّ محمّداً شاعرٌ، والقرآن شعرٌ، ومفترىٰ افتراه؛ أي: اختلقه محمد ﷺ؛ أي: كذباً.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: فالقرآن كلّه وآياته لم تكفهم كآية كمعجزة من السّماء، فهم يطلبوا آية أخرىٰ؛ أيْ: معجزة أخرىٰ تدل علىٰ نبوَّة محمّد ﷺ، وأن القرآن منزل من عند الله، كما أرسل الأولون: الكاف للتشبيه، الأولون: أي: الأنبياء فليأتنا بآية مثل ناقة صالح، أو عصا موسىٰ، أو مائدة عيسىٰ.

[٦] ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

يردُّ الله سبحانه علىٰ أسئلتهم ومطالبهم وقولهم: فليأتنا بآية، فيقول: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: ما النّافية، آمنت قبلهم؛ (أيْ: مشركو قريش)، من استغراقية، قرية: أيْ: أهل قرية أهلكناها، وقوله: قبلهم؛ أيْ: سواء كانت قريبة الزّمن، أو بعيدة الزّمن ما آمنت ولا قرية واحدة أرسلنا إليها بآية أو آيات.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: الهمزة استفهام إنكاري، أفهم أيْ: مشركو مكة، أو الكفار إن جاءتهم آية سيؤمنوا، فمن جاء قبلهم لم يؤمنوا رغم إرسال الآية أو الآيات، ولذلك أهلكناهم، وكذلك لو أرسلنا إليهم بآية ولم يؤمنوا لأهلكناهم، وكما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

[٧] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية رداً علىٰ قولهم: هل هذا إلا بشرٌ مثلكم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾: ما النّافية، أرسلنا قبلك يا محمّد ﷺ إلا رسلاً وأنبياء رجالاً أيْ: بشراً (ونفى بذلك إرسال أيِّ أنثى نبياً أو رسولاً) وقبلك: تعني من زمن قريب أو بعيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمعرفة الفرق بين أرسلنا وبعثنا.

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: نوحي إليهم، والوحي هو الإعلام بالخفاء سواء بإرسال ملك (مثل جبريل)، أو تكليم من وراء حجاب، أو غيره من طرق الإيحاء.

ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣): لمزيد من البيان في معنى الوحي.

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: فاسألوا يا مشركو مكة، أو الكفار، أهل الذّكر: أهل القرآن، أو أولي العلم، أو أهل التّوراة والإنجيل من أهل الكتاب.

﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والشّك، كنتم لا تعلمون: أنّا لا نرسل إلا رجالاً ولا نرسل ملائكة، فكفوا عن غيّكم وأسئلتكم الباطلة.

[٨] ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾:

وهذا الرّدُّ تتمة للردِّ على قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾: ما النّافية، جعلناهم: أيْ: هؤلاء الرّسل إلا رجالاً نوحي إليهم، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: أيْ: ما جعلنا الرسل أو الأنبياء ملائكة؛ لأنّ الملائكة لهم أجساد، الجسد= بدن +روح.. ولا يأكلون الطّعام، أمّا الرّسل والأنبياء فهم بشر يأكلون ويشربون، والبشر= بدن+ روح+ نفس.

﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: أي: الرسل. ما: تكرارها يفيد توكيد النّفي، وما كانوا خالدين: لأنّ الخلود ليس من صفة البشر والرّسل، إذن هم ميتون كما جاء في سورة الزّمر الآية (٣٠): ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ﴾: أيْ: رسلنا.

﴿الْوَعْدَ﴾: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]، أو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصّافات:١٧١ - ١٧٣].

﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أنجيناهم: ولم يقل: نجيناهم، أنجيناهم: تعني بسرعة وقوة، نجيناهم: تعني: ببطء في الزّمن.

﴿وَمَن نَّشَاءُ﴾: معهم من المؤمنين، من استغراقية؛ أيْ: كلّ من نشاء من ذكر أو أنثى.

﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: الكفار أو المشركين، والمكذبين، والعاصين، والإسراف هو مجاوزة الحدّ في الكفر، والشّرك، والمعاصي.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾: أي: القرآن الكريم، أنزلنا إليكم القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، وسمّي كتاباً؛ لأنّه

مكتوب في أسطر، أو في السّطور، إليكم: خاصة لهدايتكم، وفلاحكم. والكتابة تحمي من التحريف والتغيير.

﴿فِيهِ﴾: ظرفية.

﴿ذِكْرُكُمْ﴾: فيه شرفكم، وعزتكم، وسمعتكم، وفيه دينكم وشرعكم، وفيه ذكركم بين الأمم الأخرىٰ، واستمرار بقائكم. ارجع إلىٰ سورة (ص) آية (١) لمزيد من البيان في الذكر.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ، وتعجُّب من ترك التّفكير، ألا: أداة حضٍّ وتنبيه، وتحمل معنىٰ الأمر بالتّفكر والتّدبر للوصول إلىٰ الحقيقة، ومعرفة الحقّ، والموازنة، وفهم الأمور بأسبابها ونتائجها، والوصول إلىٰ أن الله سبحانه هو الإله الحقّ الخالق الّذي يجب أن يُعبد ويطاع.

❖ ❖ ❖

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٢٤﴾

سورة الأنبياء [الآيات ١١ - ٢٤]

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾:

﴿وَكَمْ﴾: كم الخبرية تفيد التّكثير؛ أيْ: قصمنا الكثير من القرىٰ.

﴿قَصَمْنَا﴾: أي: مزقناها كل ممزق؛ لأن القصم: هو الكسر الّذي يحدث فيه انفصال الأجزاء عن بعضها، وليس فيه أمل الالتئام، إذن القصم أشد من الكسر (الكسر فيه أمل الالتئام)، ويقال للقصم أحياناً الكسر الّذي ترىٰ من خلاله العظم؛ أي: شبه أخذها بالعذاب بالكسر المفتوح وفيه تمزق للأنسجة والأربطة؛ أي: كسرها وقطع أوصالها ومزقها كل ممزق؛ أي: ماتوا بجروحهم، ومن تقطع أوصالهم، وهذه الآية الوحيدة التي ذكر فيها القصم.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: من ابتدائية، القرية: تعني أهلها وبنيانها معاً.

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: فهذا الشّرط الأوّل كانت ظالمة؛ أيْ: أهلها كانوا كفرة مشركين مكذبين.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾: بعد القصم؛ أيْ: تدميرها، وإهلاك أهلها أنشأنا وتعني: التربية والإعداد والإنشاء: هو أحداث حالاً بعد حال من غير مثال سابق، ومنه يقال: نشأ الغلام؛ أي: نما وتربىٰ وتطور شيئاً فشيئاً، بعدها بزمن قصير أو طويل قوماً آخرين.

[١٢] ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾:

انتبه بعد القصم يعود الحق ليفصل لنا ما حدث لتلك القرية من الأحداث قبل القصم، وهذا ما يسمّىٰ التّفصيل بعد الإيجاز.

﴿فَلَمَّآ﴾: لما ظرفية زمانية؛ أيْ: حين.

﴿أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾: أيْ: شعروا وأدركوا بمجيء عذابنا والبأس القوة والشّدة، أحسوا مجرد الحس والحس من الإحساس، أحسوا بالرّؤية، أو السّمع، أو أيِّ حاسة، أو رأوا ريح مدمرة قادمة، أو صاعقة من السماء فيها رعد وبرق شديد.

﴿إِذَا هُم﴾: إذا الفجائية، هم للتوكيد.

﴿مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يتركوا منازلهم وقراهم فراراً من العذاب، والرّكض هو الجري السّريع، كما يحدث عندما نرىٰ شيء مروع كالرياح المدمرة بسرعة (٢٠٠ ميل) أو أكثر القادمة.

[١٣] ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾:

﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾: لا النّاهية، القائل مبني للمجهول، لا يهم؛ قد تكون الملائكة تقول لهم توبيخاً وتقريعاً: أين تفرون.

﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: ارجعوا إلىٰ نعيمكم من طعام وشراب، وإلىٰ تفاخركم، وأموالكم، وأولادكم، وعشيرتكم، وتجارتكم، وهذا يدل علىٰ أنهم كانوا أغنياء، أو كانوا ففراء فيل لهم تهكماً وتوبيخاً. ارجع إلىٰ سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنىٰ الترف، والمترف.

﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾: قصوركم، وحصونكم، ومنازلكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾: لعل: للتعليل والتّوبيخ، تسألون: لعل أحداً يمر بكم فيسألكم ماذا حل بكم، أو تسألون أنفسكم عما جرىٰ بكم وحاق بكم وما أسباب ذلك العذاب والدّمار؟

[١٤] ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾:

كان هذا اعترافهم وإقرارهم حين سُئلوا ماذا حل بهم وجرىٰ بهم قالوا: بسبب ظلمنا.

﴿قَالُوا۟﴾: أيْ: هؤلاء الظّالمون من أهل القرىٰ.

﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾: يا للنداء، ويلنا: يا هلاكنا أقبل، أو يا حسرتنا علىٰ ما فعلنا.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: إنا كفرنا، أو أشركنا بربنا، وهذا اعتراف منهم واضح بالكفر أو بالشّرك الموجب للعذاب، أو الخروج عن منهج الله. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٤) لبيان معنىٰ الظلم.

[١٥] ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما النّافية.

﴿زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: فما زالوا يردّدون: يا ويلنا يا ويلنا إنا كنا ظالمين، دعواهم: أيْ: دعاؤهم المتكرر أو من الدّعوىٰ اعترافهم بالذّنب.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾: حتّىٰ حصدناهم استأصلناهم فأصبحوا

كالزّرع المحصود أو النّار الخامدة (الرّماد)، وفي الآية تشبيه الظّالمين في عدائهم لله ولرسوله كالنّار الملتهبة حتّى أخمدها الله، وصارت رماداً.

[١٦] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ ﴾: الواو استئنافية، ما النّافية، خلقنا السّماء والأرض: والخلق: بالنّسبة إلى الله هو الخلق من العدم على مثال غير سابق، والخلق لغة هو التّقدير، وخلق السّموات والأرض من أعظم الآيات الكونيّة الدّالة على قدرته سبحانه وعظمة خلقه، والدّالة على وحدانيته، ومرَّت بأطوار مختلفة، ولمعرفة كيف تمّ الخلق، ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢، ٢٩) والآية (٣٠) من نفس السّورة، وفصلت آية (٩-١٢).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾: حيث يختلط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السماء فيشكل طبقة فاصلة تعد جزءاً من السّماء بالكامل، ولا من الأرض لاختلاف تركيبها.

﴿لَٰعِبِينَ﴾: أيْ: عبثاً، أو من دون فائدة، أو باطلاً، لاعبين: من اللّعب؛ واللّعب هو اللّهو الّذي يصرف صاحبه عن واجباته ويصبح عبثاً.

فالسّماء والأرض وما فيهنّ من مجرات وشموس، وأقمار، ونجوم، وكواكب، وجبال، وأشجار وغيرها لم يخلقها ربنا عبثاً، وإنّما هي آيات كونيّة تشهد بوحدانية الله تعالى، وتشهد على عظمة وقدرة الخالق، والكلّ مسخّر من الله لخدمة الإنسان ولصلاح الحياة على هذه الأرض، والكلّ يسجد ويسبّح الخالق.

[١٧] ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾:

﴿ لَوْ ﴾: شرطيّة.

﴿أَرَدْنَآ﴾: شئنا والمشيئة تسبق الإرادة.

﴿أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾: أن للتوكيد، نتخذ لهواً: عملاً لا فائدة منه، أو لعباً لا فائدة منه لفعلنا، وقيل: اللّهو: بلغة اليمن الولد (قاله قتادة)، وقال ابن عباس: اللهو: الولد، وقيل: الزوجة (قاله الحسن)؛ أيْ: لو شاء الله سبحانه لاتّخذ ولداً مما يخلق، أو اتّخذ بنات كما ظنّ مشركو قريش أنّ الملائكة بناتُ الله، وقالوا: عيسىٰ ابن الله.

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: شرطية، تفيد معنىٰ الاحتمال والشّك، وفيها معنىٰ النّفي أيْ: ما كنا فاعلين، وإن: أقوىٰ نفياً من (ما).

[١٨] ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾:

﴿ بَلْ ﴾: للإضراب الإبطالي، الإضراب عن اتّخاذ اللّهو واللّعب وتنزيه لِذاته عن فعل ذلك.

﴿نَقْذِفُ﴾: الرّمي بشدّة وبسرعة.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، الحقّ: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير أو يتبدّل، والحقّ: هو القرآن، والإيمان، والتّوحيد؛ أيْ: نبيِّن الحق بإنزال الآيات والبراهين.

﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾: الباطل: هو الزائل والذاهب، أو ما لا وجود له، والباطل

يطلق على الكذب، والظّلم، والشّـــرك، والإحباط، أو الإبطال كقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

أمّا الظّلم كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة:١٨٨] فيشمل سائر أنواع الظّلم.

أو الشّرك: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

أو الكذب: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (الكاذبون) [غافر:٧٨].

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾: أيْ: يبطله ويزيله. شُبه الحق بشيء صلب كالحديد قُذف به الدّماغ الّذي (شبه بالباطل) مما أدّى إلى توقُّف عمله وموته.

فيدمغه مشـــتقة من الدّمـــاغ، ودمغه؛ أيْ: أصاب دماغـــه فقتله أو أدى إلى تعطيله وإبطال وظيفتـــه، وكذلك الحق حين يقذف علـــى الباطل يزيله ويدمغه ويعطله.

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾: ولكـــم الـــلّام للاختصاص، والويـــل: العذاب الشّديد.

ممـــا: من+ ما، من للتبعيض، ما: حرف مصدري أو اســـم موصول بمعنى الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

تصفون: تفتـــرون على الله الكذب، تصفون به الله ســـبحانه، أو تصفون رسوله، بالسّاحر، أو الشّاعر، أو المفتري، وغيرها من الأوصاف.

[١٩] ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾:

﴿وَلَهُۥ﴾: أيْ: لله تعالىٰ، اللّام للاختصاص والاستحقاق والملكية.

﴿مَن﴾: للعاقل عادة وهنا تعتبر استغراقية، تشمل العاقل وغير العاقل، وكيف نوفّق بين كونها استغراقية وأنّها للعاقل فقط.

لأنّ العاقل وغير العاقل، والحيوان والنّبات والجماد، الكلّ يسبح بحمده لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: له كل شيء في السموات من: مجرات وكواكب ونجوم وشموس وأقمار، والأرض: من أشجار وحدائق وأنهار وجبال وكنوز ومعادن... وغيرها.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: أي: الملائكة، وعنده: تعني: أنّهم مكرمون، عندية المنزلة، منزلة المقربين.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا النّافية، لا يتعالون عن عبادته وطاعته.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: تكرار (لا): لتوكيد النّفي، وفصل كلاهما عن الآخر، يستحسرون من الحسر تعني: التّعب والإعياء، إذن هم لا يستكبرون ولا يستحسرون: لا يصيبهم إعياء أو تعب أو ملل، ويستحسرون فيها مبالغة من الحسر، مأخوذة من الحسر وهو البعير المنقطعة قواه من الإعياء والتّعب.

[٢٠] ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾:

﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾: من التّسبيح والتّنزيه، تنزيه الذّات الإلهية من كلّ نقص، أو عيب، أو عطل، أو ولد، أو شريك.

ارجع إلى سورة الحديد آية (١)، وسورة الإسراء آية (١).

﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: أيْ: هم في تسبيح دائم لا يتوقف ليلاً ونهاراً؛ أي: طول الليل وطول النهار، ولو قال ليلاً ونهاراً تعني: جزءاً من الليل أو جزءاً من النهار.

﴿لَا يَفۡتُرُونَ ﴾: لا النّافية، يفترون: مشتقة من فتر الشيء؛ أي: سكن بعد حدة، ولان بعد شدة (لسان العرب)، وهو السّكون والفتور، وهو الشّعور الّذي ينتاب الإنسان بعد التّعب الشّديد؛ أيْ: تسبيحهم دائم لا ينقطع، ومن دون ملل أو كلل.

[٢١] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾:

﴿ أَمِ ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ، أم: للإضراب الانتقالي.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾: عبدوا آلهة صنعوها من الأرض، آلهة من الحجارة، أو النّحاس، أو الخشب.

﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾: هم ضمير فصل للعاقل يفيد التّوكيد، وأضفى عليها صيغة العاقل لكونهم يعيدونها، ينشرون: من النّشر وهو إحياء الموتى.

أيْ: كيف انصرفوا عن عبادة الإله الحق إلى عبادة الأصنام والأوثان الّتي صنعوها من الأرض الّتي لا تحيي ولا تميت، ولا تنفع ولا تضرّ.

وتقديم كلمة الآلهة من الأرض بدلاً مـن القول: اتّخذوا من الأرض آلهة للدلالة على أنها حصراً من الأرض، وتفيد التّحقير والتّوبيخ.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: حـرف امتناع لامتناع؛ أي: امتنع الفسـاد لامتنـاع وجود الآلهة إلا الله سبحانه.

أي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾: في السّموات والأرض آلهة.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: للحصـر فقط إلا الله. وقيل: إلا بمعنـى: غير الله، ولا يجوز القول أنها أداة اسـتثناء؛ لأن الاسـتثناء يعني: هناك آلهة أخرى، وهذا يتنافى مع وحدانية الله تعالى.

﴿لَفَسَدَتَا﴾: اللام للتعليل والتّوكيد، فسدتا، أي: السّموات والأرض.

لمـا قد يحدث من اختلاف بين هذه الآلهة؛ ممـا يؤدّي إلى اضطراب في هذا النّظام الفلكي المحكم البديع، وحدثت الكوارث الكونية لما يصدر عنها من أوامر مختلفة متضاربة تؤدّي إلى الدّمار والهلاك؛ أي: الفساد.

﴿فَسُبْحَٰنَ﴾: الفاء للتوكيد، سـبحان: تنزيهاً لله تعالى وذاته عن كلّ عيب ونقص وشريك وولد.

﴿ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾: اللـه، المعبـود الإله الحق رب العـرش الحاكم ومالك الملك والسّلطان.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يزعمون، ارجع إلى الآية (١٨): للبيان.

[٢٣] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: لأنّه مالك الملك، الحاكم، العزيز، الحكيم، والحكم العدل، ولا رادَّ لحكمه؛ لأنّه العليّ العظيم المتفرّد بالألوهية والرّبوبية، ولا معقِّب لحكمه.

﴿عَمَّا﴾: عن تفيد المجاوزة والابتعاد، ما مصدرية أو اسم موصول بمعنى الّذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يُسْـَٔلُونَ﴾: عن أفعالهم، وأقوالهم، وعما يصفون، وعمّا يفترون. يسألون من غيرهم من البشر، أو ولاة أمورهم، وكذلك يسألون يوم القيامة عما كانوا يعملون من الكفر والشرك والظلم وغيرها.

[٢٤] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿أَمِ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّوبيخ والتّعجُّب.

﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: أيْ: عبدوا من سواه آلهة قادرة على النّشر؛ أيْ: لو فرضنا أنّهم وجدوا تلك الآلهة القادرة على النّشر والإحياء والبعث.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: قل هاتوا برهانكم، والبرهان: هو الحجة القاطعة المفيدة للعلم على صدق دعواكم أنّها آلهة حقّة.

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾: أي: القرآن المنزّل عليَّ وعلىٰ من معي من المؤمنين.

﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾: التّوراة والإنجيل وغيرها من الكتب السّماويّة.

ليس فيها أيُّ ذكر أنّ مع الله آلهة أو شريكاً، أو ولياً، أو ولداً، أو أن الله أمر وأوصىٰ بذلك، والحقيقة أنّه ليس عندهم من دليلٍ أو برهانٍ أو سلطانٍ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: يعني: أكثر كفار قريش، لا النّافية، لا يعلمون الحق، أيْ: توحيد الألوهية والرّبوبيّة، والصّفات والأسماء، ولا يعلمون ما جاء في الكتب السّماوية السّابقة، ولا يعلمون؛ أي: يميزون بين الحقّ والباطل.

﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عن التّوحيد واتّباع الأدلة والبراهين، أو اتّباع الرّسول ﷺ للوصول للحق، والحق موجود وغير خافٍ، ولو التمسوه لوجدوه قريباً منهم أو حولهم، أو موجوداً حتّىٰ في أنفسهم وخلقهم.

❖❖❖

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع الحزب ٣٣

سورة الأنبياء [الآيات ٢٥ - ٣٥]

[٢٥] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿مِن قَبۡلِكَ﴾: من استغراقية ظرفية زمانية، والخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ.

﴿مِن رَّسُولٍ﴾: من ابتدائية.

﴿إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾: إلا: أداة حصر، نوحي إليه: بالإيحاء وهو الإعلام بالخفاء، أو إرسال رسول كجبريل (ع)، أو يكلِّمه الله من وراء حجاب.

ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣): لمعرفة معنى الوحي.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: أنّه: للتوكيد، لا: النّافية، إله: معبود، إلا: أداة حصر وقصر، أنا: لتدلّ على الوحدانية.

﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾: الفاء رابطة للجواب والنّون للتوكيد، والعبادة تعني: طاعة الله والتذلل له وامتثال أمره واجتناب نهيه. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من معنى العبادة. حذف الياء في اعبدون قد يكون للإيجاز، والمقام ليس كما هو الحال في آية يس حين قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ حيث جاءت في سياق النّهي عن عبادة الشّيطان؛ لأنّ عبادة الشّيطان تفسد عبادة الله، ولذلك نهى عن عبادة الشّيطان وأكّد عليها أكثر من عبادة الآلهة: الأصنام

والأوثان التي لا تفيد ولا تضر، واعبدوني فيها معنىٰ التوحيد أن نعبد الله وحده بإخلاص ولا نشرك به شيئاً.

[٢٦] ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾:

بعد التّنزيه عن اتّخاذ الشّريك (آلهة) يُتبع ذلك بالتّنزيه عن اتّخاذ الولد.

ارجع إلىٰ سورة الحديد آية (١): لبيان معنىٰ سبحانه.

﴿ وَقَالُواْ ﴾: مبني للمجهول، أيْ: لا يهم معرفة من قالوا والمهم المقولة، وقيل: مشركو قريش كما قال ابن عباس، وقيل: أفراد من قبيلة خزاعة وبني سلمة وجهينة، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السّبب.

﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: أي: الملائكة بنات الله، والولد تعني: الذّكر أو الأنثىٰ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: اسم مصدر تقديره أسبح سبحانه أن يتّخذ ولداً فهذا مستحيل، وأنّ الله منزه عن ذلك وأنّه أكبر وأجلّ أن يردّ عليهم كذبهم ويقول: إنكم لكاذبون فاكتفىٰ بالقول سبحانه ونزّه الملائكة الكرام وأخبر بأنّهم عباد مكرمون.

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾: بل: للإضراب الإبطالي تبطل الجملة التي قبلها؛ أيْ: بل هم عباد مكرمون إبطال لقولهم اتخذ الرحمن ولداً؛ أي: سبحانه لم يتخذ ولداً كما يزعمون، والملائكة هم عباد للرحمن مكرمون، وفي الآية (١٦) من سورة عبس وصفهم بأنّهم كرام برررة.

﴿مُّكْرَمُونَ ﴾: جمع مكرم، اسم مفعول من أكرم يعني الإحسان والإنعام والتّفضل؛ أيْ: أكرمهم الله سبحانه بكونهم عباداً له، وبما لهم من خصائص في الخلق والعبادة والمنزلة، ومع ذلك لهم صفات أخرىٰ هي:

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: لا النّافية، يسبقونه بالقول: أيْ: لا يقولون شيئاً قبل أن يأذن لهم أو يأمرهم ويخاطبهم سبحانه.

﴿وَهُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾: أيْ: لا يخالفونه قولاً ولا فعلاً؛ أيْ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وقدَّم بأمره على يعملون للتوكيد والحصر، والباء للإلصاق والتّوكيد في كلمة بالقول، والباء بأمره للإلصاق والسّببيّة.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أيْ: يحيط علمه سبحانه بالملائكة إحاطة تامة ولا يخفى على الله تعالى منهم خافية.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: يعلم ما يعملون وما سيعملون أو تعني: ما هو قادم لهم من أعمال.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أيْ: ويعلم ما مضى أو عملوه من أعمال في الماضي.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: لا النّافية، يشفعون: الشّفاعة: ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة النّساء للبيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر لمن ارتضى.

﴿لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: اللام في كلمة لمن للتوكيد، من للعاقل وتشمل المفرد والجمع، ارتضى؛ أيْ: رضي الله عنه؛ أيْ: رضي له قولاً وعملاً من عباده، فهي

شفاعة مقيدة وليست مطلقة؛ مثل: الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار.

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾: وهم ضمير فصل يفيد التّوكيد، يعود على الملائكة، من ابتدائية، خشيته: أيْ: خشية الله تعالى، والخشية تعني الخوف المصحوب بالمهابة والتّعظيم لمن تخشاه والعلم.

﴿مُشْفِقُونَ﴾: من الإشفاق، والإشفاق: هو العناية المشوبة بالخوف والحذر وعدم الاطمئنان، حذرون خائفون أن طاعتهم أو عبادتهم غير تامة وغير آمنين مطمئنين أن خشيتهم لله كافية.

[٢٩] ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من شرطية، يقل منهم: أيْ: من الملائكة.

﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾: ما قال أحدٌ ذلك أو على فرض أن أحدهم قال ذلك: إنّي إله من دون الله.

﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾: هذا تهديد للملائكة ومن ورائهم الإنس والجن.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أيْ: ومثل هذا الجزاء (جهنم) نجزي كلّ ظالم (مشرك).

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: الرّؤية هنا رؤية قلبية ورؤيا بصرية وتعني أيضًا أولم

يعلم الّذيــن كفروا، ولماذا الخطاب موجّه إلىٰ الّذين كفروا؛ لأنّ الّذين كفروا أو المشــركين هم الّذين سيكشفون هذه الحقائق الكونية وهم من سيراها أولاً ومع ذلك، هم عن آياتها معرضون.

﴿أَنَّ﴾: مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾: من الرّتق هو الالتصاق التّام؛ أيْ: كانتا في بداية نشــوء الكون متصلتين ببعضهما، عبارة عن جرم واحد متناهٍ في الصغر والحجم ذات طاقة ومادة متناهية فــي العظم، ثمّ فجر الله تعالىٰ هذا الجرم إلىٰ كتلة من الدّخان ويسمونها عملية الانفجار العظيم..

فخلق الله من هذا الدخان الأرض والسّماء معاً في لحظة واحدة، وبذلك تشكلت الأرض الابتدائية، والسّماء الابتدائية، ثمّ تمايزت الأرض بأن أنزل الله الحديد من انفجار النيازك في السّــماء، ثمّ ســقطت علىٰ الأرض الابتدائية الّتي كانــت عبارة عن كومة من الرّماد واخترقت كومة الرماد لتســتقر في مركز الكرة الأرضية بشكل صلب وشكلت (٩٠٪) من الطبقة الأولىٰ من الأرض.

ثمّ تمايزت الطبقة الثّانية من الأرض بشــكل حديد منصهر مختلط ببعض العناصر الأولىٰ، ثمّ تشــكلت (٣) أغطية، ثمّ تشكلت الطبقة ما دون القشرة، ثمّ القشــرة الأرضية، وذلك باختلاف كمية الحديد في هذه الطبقات السّبع؛ السّبع كرات الّتي وصفها الله بسبع أرضين.

ثم استوىٰ إلىٰ السّماء وهي دخان، ســماء واحدة فسواهن سبع سموات، ســبع كرات هائلة كلّ كرة تغلف ما تحتها وجعل مركز هذا الكرات السّبع؛ أيْ: السّموات السّــبع الأرض المتكونة من ســبع أرضين، فبذلك شكل هذا الكون المكون من ســبع سموات طباقاً، سبع كرات مركزهن الأرض المشكلة من سبع

أرضين يحيط بهذا كله عرش الرحمن سبحانه. فقد روىٰ البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»، وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس، وما وري عن ابن مسعود، وما قاله ابن القيم في (زاد المعاد) كل تلك الأقوال تدل علىٰ أن العرش هو سقف المخلوقات؛ أي: السموات، وارجع إلىٰ سورة هود آية (٨) لمزيد من البيان عن العرش والكرسي.

ونحن لا نعلم عن هذه السّموات السّبع إلا الجزء اليسير المحدود بالسّماء الدّنيا الّتي تزينها هذه النّجوم والمجرات، فالسّموات السّبع غيب لا يعلمها إلا الله سبحانه. ارجع إلىٰ سورة فصلت آية (١٠-١١)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة البقرة آية (٢٢-٢٩).

﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: الفتق هو: الفصل أيْ: فصلنا السّماء عن الأرض وانفصلت السماء إلىٰ المجرات والكواكب والنّجوم.

وبعد مرحلة الدّخان، ثمّ تبرد الدّخان وأول ما تشكلت النّجوم وسماها المصابيح.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: كلّ شيء: شيء نكرة سواء إنسان أو حيوان، أو نبات، ولولا الماء لما عاش إنسان، أو حيوان، أو نبات في الأرض، ونسبة تركيب الماء في جسم الإنسان يساوي تقريباً (٧٠٪) من وزن الإنسان.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ علىٰ عدم الإيمان

وتعجُّب، وألا: أداة تنبيه وحضٍّ، وتعني الأمر على الإيمان بالله بعد كلّ هذه الدلائل والبراهين على قدرته وعظمته.

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: الجعل يكون بعد الخلق، فقد خلق الأرض أولاً، ثمّ أرساها بخلق الجبال في الأرض، ولم يقل: على الأرض؛ لأنّ الطبقة الغازية المحيطة بالأرض جزء من الأرض. الرواسي تعني: الصفائح القارية، والقوى المغنطيسية بالإضافة إلى الجبال التي تشكلت من البراكين والحمم التي شكلت الجبال. ارجع إلى سورة النحل آية (١٥)، والنبأ آية (٧) لمزيد من البيان، فهناك فرق بين ألقى في الأرض رواسي، وجعل فيها رواسي.

﴿رَوَٰسِيَ﴾: الجبال. ارجع إلى سورة النّحل آية (١٥)، وسورة النّبأ آية (٧): لبيان كيف تشكلت الرواسي.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾: أن حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد، تميد بهم: أيْ: تميل وتضطرب بهم.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: تعود على الرّواسي أي: الجبال وقيل: تعود على الأرض.

﴿فِجَاجًا﴾: الفج هو الطّريق في الجبل أو بين جبلين.

﴿سُبُلًا﴾: الطّريق الواسع السّهل.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: لعل للتعليل، يهتدون: بها في سيرهم فتكون كعلامات يهتدون بها في سفرهم.

ويهتدون إلىٰ خالقهم فهي آية من الآيات الكونية الّتي تدل علىٰ عظمة الخالق وقدرته، الأمر الّذي إلىٰ يدعو إلىٰ الإيمان بالله وحده.

لنقارن هذه الآية (٣١) من سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

مع الآية (١٥) من سورة النّحل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

في سورة الأنبياء قال: أن تميد بهم جاءت في سياق الكلام عن قدرة الله سبحانه وعظمته.

وفي سورة النّحل قال: أن تميد بكم جاءت في سياق الكلام عن نعم الله تعالىٰ وتعدادها.

ولنقارن آية الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

مع آية (٢٠) من سورة نوح: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

ففي سورة الأنبياء قدَّم الفجاج علىٰ السّبل، وفي سورة نوح قدَّم السّبل علىٰ الفجاج.

قيل: قدَّم الفجاج علىٰ السّبل في سورة الأنبياء؛ لأنّ الفج هو الطّريق في الجبل أو بين جبلين، ولما ذكر الرّواسي؛ أي: الجبال فقد قدَّم الفجاج الّتي هي طرق في الجبال الّتي تشكلت نتيجة مياه الأمطار الّتي تنحدر علىٰ سفوحها فتشكل هذه الأنهار، ثمّ تجفّ بعضها وتتركها كالسّبل.

أمّا في سورة نوح فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا

﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قدَّم السّبل على الفجاج؛ لأنّه سبقها قوله الأرض بساطاً (والسّبل الطّرق السّهلة الممهدة فهي تتناسب مع الأرض بساطاً).

أو سبلاً فجاجاً تعني: سبلاً بعضها فجاجاً بين الجبال، وبعضها سبلاً في الأرض.

أو قيل: إنّ السّبل تصف الفجاج، أو الفجاج تصف السّبل.

أو التّقديم والتّأخير حسب الأهم؛ لأنّ العرب تقدِّم الأهم.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾: أيْ: كالسّقف للأرض، فالسّموات السّبع الكروية الشّكل كلّ منها يغلف الأخرى، وكلها تحيط بالأرض الّتي تعتبر كمركز لهذه السّموات، وهن كالسقف لهذه الأرض الّتي بدورها تتشكل من سبع كرات صغيرة مقارنة بالسّموات السّبع.

سقفاً محفوظاً: أيْ: سقفاً محكماً، ومحفوظاً اسم مفعول من حفظ، وتقوم بهذه الحماية والحفظ النطق المسماة بنطق الحماية وهي نطاق المناخ، ونطاق الأوزون، والنطاق الإشعاعي، والنطاق المغنطيسي، والنطاق الخارجي، والنطاق المتأين، فهذه النطق تحفظ الأرض من بعض الأشعة الشّمسية المهلكة للأحياء والمسماة الأشعة فوق البنفسجية الّتي تسبب سرطانات الجلد الخبيثة، فمثلاً طبقة الأوزون تمنع اختراق تلك الأشعة.

وكذلك هناك الطّبقات الغازية وبخار الماء تقوم بدور عازل بحيث تحافظ على دفء الأرض وذلك بمنع تسرب الحرارة إلى الطّبقات العليا، وما يخترق الغلاف الغازي الجوي من أشعة شمسية وحرارة تكفي لاستمرار الحياة على الأرض وقتل الجراثيم الضّارة.

ارجع إلى سورة الطارق آية (١١): لمزيد من البيان.

فالسّماء وبما فيها من شموس وأقمار وكواكب ومجرات وأفلاك كلها آيات كونية تدل على عظمة وقدرة الخالق وعلى وحدانيته وألوهيته وربوبيته.

ورغم رؤية هذه الآيات الكونية الّتي هي أعظم من خلق النّاس، كما قال تعالى في سورة غافر آية (٥٧): ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾: أيْ: لا ينتفعون بها ولا يهتدون بها إلى الخالق ولا يفكرون بها.

ارجع إلى الآية (١) من نفس السّورة.

[٣٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾:

﴿ وَهُوَ ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتّوكيد، تعود على الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يختص بالمفرد المذكر.

﴿خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: الخلق هو الإيجاد ابتداءً، وخلق الليل والنهار يدل على كروية الأرض ودورانها حول محورها (نفسها) وحول الشّمس، وفي آيات أخرى قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٤٧].

الجعل يكون مرحلة بعد الخلق فالله سبحانه خلق أولاً الليل وخلق النّهار بخلق الغلاف الجوي حول الأرض فالغلاف الجوي لم يكن عند نشأة الأرض وإنما تكون على مر العصور والأحقاب والليل كان هو السّائد في بداية نشأة الأرض.

ثمّ تكون الغلاف الجوي حـول الأرض، وفيه طبقات مختلفة إحدىٰ هذه الطّبقات السّفلىٰ تتشكل من غازات معينة هذه الطّبقة أو الغازات تضيء حين تقع عليها حزمة من أشعة الشّمس التي تسمّىٰ حزمة الضوء المرئي المشكلة من ألوان الطيف السّـبعة: الأحمر والبرتقالي والأصفر والبنفسـجي والأخضر والأزرق والنيلي، تعطينا هذا النور الأبيض، وأغلب أشـعة الشّـمس لا تصل إلينا بفضل نطق الحماية، ومنها الأشعة السينية والفوق بنفسجية وتحت الحمراء وأشعة غاما وغيرها.

فتصبح هذه الطبقة الغازية المحيطة بالأرض كالمصباح ينير نصف الأرض المقابل للشمس، بينما النّصف الآخر يكون في ظلام؛ أيْ: ليل، ثمّ تدور الأرض حول الشّمس فيصبح النّصف المضيء ليلاً والنّصف المظلم نهاراً وعملية محو الليل والمجيء بالنهار استغرقت ملايين السّنين.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: الشّمس أو القمر كلّ منها يدور حول نفسـه، ويدور القمر والأرض حول الشّـمس، والأرض والقمر والشّمس تدور حول مركز المجرة الشّمسـية، وتدور هذه المجرة حول مركز لتجمع المجرات، وتكون محصلة هذه الحركات الثّلاث حركة اهتزازية تعرُّجية، وكأنّها تسبح علىٰ موجة صعوداً وهبوطاً.

ولذلك لا يسـتخدم القرآن كلمة تدور، وإنما كلمة يسـبحون، ويشعر كلّ إنسـان مثل رواد الفضاء أنّهم حين يخرجون عن نطـاق الجاذبية الأرضية كأنّه يسـبح أو يطفو علىٰ سطح الماء، وهذا إحساس حقيقي، وليس وهمياً، فالإنسان لا يكون في فراغ، بل هو وسط مادي بكثافة منخفضة.

وفي سـورة يس الآية (٤٠) قـال تعالـىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ واو الجماعة هنا تعني كلّ ذرة، كلّ مخلوق مثل الأرض والشّـمس والقمر والنّجوم

والكواكب والمجرات والغازات جميعها تتحرك حركة اهتزازية، حركة أشبه ما يكون بجسم يطفو على سطح الماء، وتحركه الأمواج حركة تعرُّجية، حتّى الذّرة وكل نيترون وبروتون داخل الذّرة يدور، وله مدار لا يتعدّاه، وسرعة ثابتة لا تزيد ولا تنقص، ولا تسرع ولا تبطئ، لذلك قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: الفلك: المدار الّذي تدور فيه الأفلاك والشّمس والقمر والمجرات والمدارات بيضاوية الشّكل تدور حول مركز المجرة.

فكل هذه النّجوم والكواكب والأقمار والشّموس تسبح في طبقة غازية مكونة من غازات مختلفة أهمها الإيدروجين والكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والماء والحديد، وليس كما كان يُظنُّ قديماً أنّها تسبح في فراغ أو فضاء فارغ، وهذه الطّبقة الغازية سوداء مظلمة.

[٣٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾: اللام في البشر لام الاختصاص، من ابتدائية، قبلك يا محمّد ﷺ.

﴿ٱلْخُلْدَ﴾: البقاء الدّائم في الدّنيا أيْ: بلا موت، أو ما خلّدنا من قبلك أحداً من بني آدم.

﴿أَفَإِين﴾: الهمزة همزة استفهام فيه معنى النّفي، المشوب بالإنكار والتّعجُّب.

﴿مِّتَّ﴾: ولم يقل: مُت: بكسر الميم يدل على الموت العادي الطّبيعي، أمّا مُت: بضم الميم، فتدل على الموت بسبب الجهاد في سبيل الله (القتال)؛ أيْ:

في أرض المعركة مثلاً. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) لمعرفة الفرق بين مِتم ومُتم.

﴿أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾: أيْ: أنت يا محمّد ميت وإنّهم ميتون، ولن يخلد أحدٌ من البشر بعد موتك؛ لأنّ الموت حتم وحقّ ولن ينجو منه أحد وقد كان الكفار يتمنَّون موت الرّسول ﷺ.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: هذا هو القانون الإلهي، كلّ نفس مهما كان نوعها أو جنسها مصيرها الموت.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾: الابتلاء لا يكون إلا بعد التّكليف، بـ(افعل ولا تفعل)، ونبلوكم بالشّر أو بالخير بنعيم وصحة وغنىٰ وسرور، أو مرض وفقر وبلاء في الأنفس والثمرات.

﴿فِتْنَةً﴾: من فتن الذّهب بالنّار ليعلم الثّمين من الرّديء، والجيد من الخبيث، وفتنة النّاس تعني معرفة المطيع من العاصي، والمؤمن من الكافر، الشّاكر من الجاحد، الصّابر من غير الصّابر، والله سبحانه ليس بحاجة إلىٰ ابتلائنا فهو سبحانه يعلم منذ الأزل نتيجة هذا الابتلاء، ولكن ليقيم الحجة علينا ويرينا نتائج أعمالنا، ونتيجة الابتلاء هي الفوز والفلاح، أو الهلاك والخسارة.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: تقديم إلينا يفيد الحصر؛ أيْ: تُرجعون إلينا وحدنا قسراً؛ أيْ: كرهاً راضين أم غير راضين، تُرجعون بعد البعث إلينا لمحاسبتكم علىٰ أعمالكم.

❖❖❖

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٣٦ - ٤٤]

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو استئنافية، إذا ظرفية شرطية تعني: حتمية الحدوث.

﴿رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: أمثال أبي جهل، أو كفار قريش. وإذا قارنا هذه الآية ﴿رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ [الفرقان:٤١]؛ رءاك: تأتي في سياق المفرد، رأوك: تأتي في سياق الجمع.

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾: إن نافية بمعنى لا، ويمكن أن تكون تعليلية والنّون في يتخذونك للتوكيد.

﴿إِلَّا هُزُوًا﴾: إلا تفيد الحصر؛ أيْ: حصراً، هزواً: أيْ: إذا رآك الّذين كفروا يهزؤون بك، والاستهزاء هو التّصغير من شأنك والتّحقير أو العيب أو الاستخفاف بك.

﴿أَهَٰذَا﴾: الهمزة في (أهذا) للاستفهام والإنكار والتّعجُّب والتّهلكة.

﴿ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: بسوء؛ أيْ: يعيب عليها ويسبها أو لا يعترف بها وأنّها باطلة، أو يستهزأ بها ويستخفها ويحقرها وأنّها أصنام وحجارة لا تضرّ ولا تنفع، والذّكر قد يكون بالخير أو بالشّر فهو يذكر آلهتكم بشرّ لأنّها عدو له.

﴿وَهُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أيْ: كيف تعجبون من أنّ محمّداً يذكر آلهتكم بسوء،

وأنتم بذكر الرّحمن تنكرون وتجحدون كقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠].

﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد التّوكيد، كافرون: جاحدون لا يؤمنون أو يصدقون.

[٣٧] ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾:

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: لا تعني: أنّ الله سبحانه خلقه أو فرض عليه أن يكون عجولاً أو فرض عليه العجلة، وإنما تعني كأنه مخلوق من العجلة لكثرة فعله إياها واعتياده لها، وهذا يقال له نسبة الشّيء إلى غير أصله مبالغة في اتصافه بالعجلة؛ أيْ: كأنّه مخلوق من العجلة لكثرة ما يتعجل به أو مطبوع عليها، والعجلة تعني: طلب الشّيء وإرادته وتحريه قبل أوانه، والإنسان هنا تعني: جنس الإنسان، أو كل الناس.

ونزلت هذه الآية حين استعجلت قريش بالعذاب، وقال النّضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

﴿سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾: السّين للاستقبال القريب؛ أيْ: سأوريكم عذابي قريباً في معركة بدر أو يوم القيامة.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾: الفاء للتوكيد، لا النّاهية، لا تستعجلون: أيْ: لا داعي للاستعجال أن انتظروا قليلاً.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

ويقولون: بصيغة المضارع بدلاً من قالوا: لأنّ سؤالهم تكرر وتجدد كثيراً عن زمن العذاب أو متى يوم القيامة فهم استبطؤوا يوم القيامة أو لم يصدِّقوا به.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشّك في أنّكم صادقين يخاطبون: النّبي وأصحابه. وصادقين: جملة اسمية تعني: ثبوت الصدق.

[٣٩] ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية جوابها محذوف للتهويل والأجوبة الكثيرة.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: حين لا يكفون عن وجوههم النَّار ولا عن ظهورهم أو ما سيحل بهم لما استعجلوه أو لما أقاموا على كفرهم أو لو علموا وقته وأيقنوا بحدوثه لما كذبوا به أو استعجلوه.

﴿حِينَ﴾: ظرف زماني.

﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾: الكف: المنع أو دفع النَّار أيْ: لا يستطيعون دفع النَّار أو منعها عن حرق وجوههم ولا عن ظهورهم: تكرار (لا) و (عن) مرتين يفيد التّوكيد وفصل الوجه عن الظّهر أو كلاهما معاً. واختار الوجوه؛ لأنها أكرم أو أعز الأعضاء، والظهور؛ لأنها تدل على الإهانة والخزي.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أيْ: ولا يجدون لهم وليّاً ولا نصيراً يمنعهم من العذاب أو يمنع العذاب عنهم أيْ: ينقذهم ويخلصهم.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾: أي: النَّار، بغتة: فجأة ومن دون إنذار.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تبهتهم: تحيرهم وتدهشهم، أيْ: يجدوا أنفسهم في حيرة وقهر.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾: الفاء للتوكيد: لا النّافية، لا يستطيعون رد النّار ولا دفعها عنهم وينقطع كلامهم.

﴿وَلَا هُمْ﴾: ولا النّافية هم، أي: الّذين كفروا، وهم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون أو يؤخّرون عن دخول النّار للمعذرة أو ليشفع لهم.

[٤١] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَلَقَدِ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: الاستهزاء يعني تصغير قدر الآخر أو التّحقير والاستخفاف أو العيب عليه في شخصه، برسل: الباء للإلصاق، جمع رسول أو نبي، من قبلك: من تعني من قريب.

﴿فَحَاقَ﴾: الفاء للتوكيد، تعني: نزل وأحاط أو حل. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيدٍ من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾: بالّذين سخروا من الرّسل.

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أيْ: حاق بالمستهزئين بالأنبياء والرّسل الجزاء على ما فعلوه من السّخرية والاستهزاء، وقيل: هذا نوع من التّخفيف على رسول

اللـــه، أيْ: هوِّن عليك فما يصيبك من الاســـتهزاء والسّـــخرية أصاب من قبلك وسوف ننتقم من هؤلاء المستهزئين.

[٤٢] ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾: قل يا رســـول الله ﷺ للذين كفروا، من اســـتفهام يفيد التّقريع والتّوبيخ، والجواب محـــذوف وتقديره لا أحد، يكلؤكم: الكلاءة: الحراســـة والحفظ أيْ: يحرسكم يرعاكم أو يحفظكم ويمدكم بمقومات العيش والحياة.

﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: الباء: للإلصاق وتفيد الظرفية في الليل والنّهار.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: من بأس الرّحمن وعقابه أو عذابه الّذي تستحقونه لكونكم معرضين عنه وغير مؤمنين به واختار اســـم الرّحمن للتذكير أن هذه الكلاءة من مظاهر رحمته ولا يغرنكم كونه الرّحمن، فلن يعذبكم.

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، هم تفيد التّوكيد، أيْ: رغم أنّه لا يوجد أحد يكلؤهم من عذاب الرحمن وبأســـه استمروا في إعراضهم عن ذكر ربهم: عن القرآن وعـــن الصّلاة والتّوبة والإنابة إلى ربهم رغم الإنذار والتّهديد والوعيد.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾: لهـــم اللام لام الاختصاص لهم خاصة،

آلهة من دوننا: أيْ: غير الله سبحانه، ألهم آلهة غير الله ستدفع عنهم العذاب وتحميهم أو تدافع عنهم.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾: فلو فرضنا لهم آلهة فهي غير قادرة على أن تنصر نفسها، فكيف تنصرهم وهي لا تنفع ولا تضر أصلاً.

﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾: ولا الواو عاطفة، لا للنفي، هم للتوكيد، يصحبون: لا يجدون أحداً يحميهم أو يجيرهم من العذاب أو من يلجؤون إليه ليحميهم أو يكون في صحبتهم، وقد تعني: لا يجدون أحداً منا يكون جاراً لهم أيْ: يصاحبهم؛ لأنّ الجيرة تعني: المصاحبة كقوله:﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء:٣٦]. والصحبة تحمل في طياتها الفائدة للطرفين.

[٤٤] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾: متعنا: من المتاع متاح الحياة الدّنيا من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ورفاهية العيش بنعم الدّنيا والبسط في الرّزق لهم ولآبائهم، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء اسم إشارة يشير إلى أهل مكة وغيرهم من القرون.

﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية، طال عليهم العمر حتّى طالت أعمارهم فاغتروا بذلك النّعيم وطول الأجل، وظنوا أنّ آلهتهم الّتي فعلت ذلك وحفظتهم.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي.

﴿يَرَوْنَ﴾: الرّؤية هنا رؤية بصرية ورؤية قلبية.

﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: هناك كثير من التّفسيرات القديمة لهذه الآية مثل موت العلماء أو نقص أرض المسلمين لأعدائهم أو نقص الأرض بعوامل التعرية أو البحار تطغى على اليابسة أو دوران الأرض حول محورها وكون قطر الأرض الاستوائي أطول من قطر الأرض القطبي وغيرها من التفسيرات.

والتّفسير العلمي الأقرب للحقيقة في هذا الزّمن أن الأرض مرتبطة بالشمس بقانون الجاذبية أو عامل الجاذبية، والّذي يقدر بضرب الكتلتين والتقسيم على مربع المسافة بينهما، فحتى تبقى الأرض ثابتة في مدارها والمسافة بين الأرض والشّمس ثابتة، وبما أن الشّمس تفقد من كتلتها ما يعادل ٦ , ٤ مليون طن بالثانية من المادة والطاقة.

فلا بُدَّ للأرض أن تفقد ما يعادل ذلك حتّى تبقى النسبة متوازية بينهما وتبقى العلاقة بينهما ثابتة فالأرض تفقد عن طريق البراكين الفوهات البركانية كمية هائلة من الغازات والرماد البركاني الّذي لا يعود إلى الأرض.

فهذا ما يفسر لنا أن الأرض تنقص من أطرافها (من جميع أطرافها، وليس من طرف واحد كما يفسره جمع من المفسرين) وقد ثبت علمياً أن أرضنا الابتدائية كانت ١٠٠ ضعف حجم الأرض الحالية. ارجع إلى سورة الرعد آية (٤١) لمزيد من البيان.

﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام للتقرير والتّوبيخ؛ أي: أفهم القادرون على منع البراكين والزلازل من الحدوث، وبالتالي تغير المسافة بين الأرض والشمس، أو تغير النسبة التي جعلها الله ثابتة لاستمرار الحياة على الأرض، فالله هو الغالب وهو القوي العزيز.

❖ ❖ ❖

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

سورة الأنبياء [الآيات ٤٥-٥٧]

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾: هذا أمر من الله سبحانه إلى رسوله بأن ينذر الّذين كفروا، إنما كافة مكفوفة تفيد الحصر، أنذركم: الإنذار هو الإعلام مع التّحذير والتّخويف أيْ: أحذركم.

بالوحي: الباء للإلصاق، بالقرآن؛ أيْ: بما جاء به من وعد ووعيد من عند الله تعالى وإنما أنا بشر يوحي إليَّ وما عليَّ إلا البلاغ المبين.

﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾: ولا ينفع هذا الإنذار أو القرآن الصّمّ: أي: الكفار الّذين لا ينتفعون بما يسمعون أو لا يستجيبون للداعي المنذر فهم الصّم البكم العمي الّذين لا يسمعون شيئاً ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:١٠]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦].

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: إذا ظرفية زمانية، ما للتوكيد، أيْ: وإن طال الإنذار والتّحذير وتكرَّر فهم لن يسمعوا.

وفي سورة النّمل الآية (٨٠): ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ وفي سورة الأنبياء الآية (٤٥): ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾، فيمكن جمع الآيتين معاً بالقول أنّ الكفار:

أوّلاً: لا يريدون الجلوس مع الرّسول أو مع من ينذرهم؛ لكي لا يسمعوا الإنذار.

ثانياً: وإذا جلسوا لا يسمعون، أيْ: لا ينتفعون بسماع إنذار أو وعيد فهم كالصّم.

ثالثاً: عندما تدعوهم إلى الحق إلى الإيمان يولوا مدبرين خوفاً من أن يسمعوا ما يقرع آذانهم ويغيظهم.

[٤٦] ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾:

﴿ وَلَئِن ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية.

﴿مَّسَّتْهُمْ﴾: مستهم من المس وهو اللمس الخفيف أخف اللمس.

﴿نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: النّفحة: هي هبوب الشيء القليل من الهواء، والنّفحة تعني أدنى شيء من العذاب واسم مرة أيْ: مجرد أن تمسهم نفحة من العذاب ولمرة واحدة (هذا يدل على شدة العذاب). انظر إلى ما ذكر في هذه الآية من المبالغات الدالة على منتهى الصغر: أولاً: المس، ثانياً: نفخة، ثالثاً: مرة واحدة؛ لأن نفخة: مصدر مرة. ويجب عدم الخلط بين النفحة والنفخة واللفحة؛ أما النفخة: هي إخراج شيء قليل من الريح بالفم، وأما لفحة من عذاب ربك؛ أي: لفحة من النار إذا أصابت الوجه.

﴿لَيَقُولُنَّ ﴾: اللام والنّون كلاهما للتوكيد.

﴿يَا وَيْلَنَا ﴾: الياء للتنبيه، أيْ: يا هلاكنا، وويل كلمة توجع وحسرة لمن وقع في العذاب والويل يعني: العذاب والهلاك وقيل: واد في جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾: فهم ينطقون بالحق ويعترفون ويقرون بأنّهم كانوا ظالمين مشركين ومكذبين بالوحي.

[٤٧] ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾:

ثم يبيِّن الله سبحانه كيف سيحاسبهم في الآخرة، وأنّه لن يظلمهم شيئاً.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ننصب الموازين، القسط: أيْ: موازين العدل أو العادلة، الموازين جمع ميزان، وليست ميزاناً واحداً، قيل: موازين لوزن الأعمال، أو لوزن الحسنات والسيئات. ارجع إلىٰ سورة القارعة آية (٦) للبيان.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: اللام لام التّوقيت أو الاختصاص لأجل ذلك اليوم، وسُمِّي يومَ القيامة؛ لأنّ فيه النّاس يقومون لرب العالمين (للحساب)، يقومون من قبورهم.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾: الفاء للتوكيد، لا النّافية، تظلم نفس شيئاً. الظلم: هو نقصان الحق والجور، والعدول عن الحق؛ أيْ: لا ينقص من حقها حسنة ولا تزاد عليها سيئة واحدة، نفس: نكرة تعني: أيَّ نفس، شيئاً: نكرة، والشّيء هو أقل القليل، أيُّ قولٍ أو فعلٍ أو صغيرةٍ أو كبيرةٍ أو حسنةٍ أو سيئةٍ، أيْ: لا تُظلم شيئاً من الظلم ولا تظلم شيئاً من الأشياء.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: إن شرطية، كان: العمل الّذي يراد وزنه مثقال حبة من خردل، الخردل: نبات له حب صغير متناهي في الصغر واحدته خردلة، وحبة الخردل هي تعادل جزء من (٨٠ جزء) من حبة الشعير وتعادل (٧/ ١٠،٠٠٠ من الغرام) وهي مثال لأصغر شيء يُرىٰ بالعين مثال للوزن والحجم، أيْ: لا يظلم الله مثقال حبة من خردل من الظّلم؛ أي: إن كان له حسنة تعادل حبة الخردل، أو سيئة أتينا بها.

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أيْ: جيء بها، ووضعناها في ميزانه وحاسبناه عليها وجازيناه بها.

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: كفىٰ تعني يكفيك أو حسبك، تحمل معنىٰ التّعجُّب، حاسبين جاءت بصيغة العظمة: وتعني وكفىٰ بالله حسيباً والحسيب من الحسب وهو الاكتفاء أو المحاسب، أي: الّذي يحفظ أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها، ولا يحتاج إلىٰ أحدٍ غيره لهذا الحساب فهو يكفي سبحانه.

[٤٨] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه طرفاً أو جانباً مما يعانيه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من كفار مكة، وتكذيبَهم واستهزاءَهم، وأمره بإنذارهم بالوحي أيْ: بالقرآن، جاء بعدها ليذكرنا ببعض الرّسل الّذين سبقوه، مثل موسىٰ وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وزكريا وعيسىٰ ابن مريم.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، آتينا: من الإيتاء وهو العطاء الّذي لا تَملُّك فيه، ويمكن استرداده والإيتاء أعم من العطاء، ويشمل الأشياء الحسية والمعنوية.

﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾: رسالتهما واحدة.

﴿ٱلْفُرْقَانَ ﴾: أي: التّوراة وسمِّيت الفرقان؛ لأنّها تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والظلمات والنّور.

﴿وَضِيَآءً ﴾: أيْ: نوراً يهدي من الظّلمات إلىٰ النّور أيْ: هدىً أو مصدر للهداية.

﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾: موعظة أو ذكراً يُذكَّرُ به المتقون، للمتقين: اللام لام الاختصاص، أيْ: خاصة للمتقين الّذين ينتفعون به.

[٤٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السّابقة أيْ: ذكراً للمتقين:

﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾: الّذين اسم موصول، يخشون ربهم: الخشية: هي الخوف الممزوج بالمهابة من الخالق وعظمته والعلم بصفاته وأسمائه، وفيها معنىٰ الأمل.

﴿بِٱلْغَيْبِ ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار، الغيب: أيْ: وهم لا يرونه والغيب: أيْ: في خلواتهم وسرائرهم وانفرادهم عن الخلق وليس فقط أمام

النّاس. ولمقارنة هذه الآية مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الملك:١٢]. ارجع إلىٰ سورة الملك لمعرفة الفرق.

﴿وَهُم﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: من الإشفاق: هو العناية المشوبة بالخوف والحذر وعدم الاطمئنان من أن تقوم السّاعة القيامة الصّغرىٰ أو القيامة الكبرىٰ وهم مقصرون في حق ربهم من طاعة أو عبادة، أو أن لا تقبل أعمالهم الصّالحة، مشفقون: جملة اسمية تدل علىٰ إشفاقهم دائم لا ينقطع ثابت، والسّاعة تعني ساعة تهدم النّظام الكوني الحالي، فهناك فرق بين الخشية والإشفاق.

[٥٠] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾:

﴿وَهَٰذَا﴾: الواو استئنافية، هذا: الهاء للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب تشير إلىٰ الذّكر المبارك.

﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: أي: القرآن الكريم، مبارك: نعت للقرآن الكريم كما نعت التّوراة بأنّها ضياءٌ وذكرٌ للمتقين، نعت القرآن بأنّه ذكر مبارك؛ أيْ: كثير البركة والخير، كثير الفوائد والمنافع الدّنيوية والأخروية.

﴿أَنزَلْنَاهُ﴾: أيْ: عليك يا محمّد جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا.

﴿أَفَأَنتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتّوبيخ والتّعجب، لمن ينكر القرآن العظيم.

﴿لَهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿مُنكِرُونَ﴾: من الإنكار، والإنكار يكون للشيء الخفي غالباً، وأحياناً للشيء الظاهر، والإنكار أعم من الجحود. ارجع إلىٰ الآية (٥١) من سورة الأعراف للبيان، وتقولون أنّه أساطير الأولين أو إفك مفترىٰ أو سحر أو شعر، ومنكرون جملة اسمية تدل علىٰ الثّبات والاستمرار في الإنكار.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٨) من نفس السّورة لبيان معنىٰ الإيتاء. وقوله تعالىٰ: (آتينا) بدلاً من أوتي (بصيغة المجهول) تدل علىٰ منزلة إبراهيم وشرفه وذلك لأنا كنا به عالمين أنه من أهل الرُّشد.

والرُّشد: القدرة علىٰ التفكير للوصول للحق والصّواب، آتينا إبراهيم رُشده: أيْ: هديناه للرُشد أي: الحق والصّواب والصلاح هداه إلىٰ وحدانية خالقه وربه وتجنُّب عبادة الأصنام، ولمعرفة الفرق بين الرَّشد والرُّشد ارجع إلىٰ الآية (٦) من سورة النّساء للبيان.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: أتينا إبراهيم رشده من قبل موسىٰ هارون أو قبل إنزال الوحي عليه والنّبوة وقيل: منذ صغره.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾: وكنا: للتعظيم، به: تقديم الجار والمجرور يعني: عالمين بكلّ شيء قام به، عالمين به منذ طفولته، وبكلّ أحواله نشأته وتربيته وأفعاله وأقواله.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين، أيْ: واذكر حين قال، أو اذكر إذ قال إبراهيم.

﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾: اللام في لأبيه تدل علىٰ التّوكيد وتعني: إذ قال لأبيه خاصة ولقومه عامة، لأبيه أي: عمه آزر، والعم يمكن أن يقوم مقام الأب، ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٣٣)، وارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٧٤) للبيان.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: ما اسم استفهام إنكاري يحمل معنىٰ الاستهزاء والتقريع، هذه: الهاء للتنبيه ذه اسم إشارة للقرب. (ما هذه): إذا قورنت بـ(ما) هي أشد في الاستفهام وأبلغ.

﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: أي: الأصنام أو الحجارة والصنم أو التّمثال: اسم للشيء المصنوع المضاهي خلق الله كإنسان أو حيوان أو شجر. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (١٧) للتفريق بين الصنم والوثن.

﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ﴾: أنتم للتوكيد.

﴿عَٰكِفُونَ﴾: جمع عاكف: اسم فاعل من الاعتكاف، والاعتكاف مأخوذ من عكف إلىٰ الشّيء أيْ: لزمه وداوم عليه، أيْ: ملازمون لها أو مقيمون علىٰ عبادتها، وعاكفون جملة اسمية تفيد الثّبوت.

[٥٣] ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾:

قالوا لإبراهيم ردّاً علىٰ سؤاله ما هذه التّماثيل الّتي أنتم لها عاكفون: وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها؛ أي: اقتدينا بهم، ارجع إلىٰ الآية (١٠٦) من نفس السّورة لبيان معنىٰ العبادة.

[٥٤] ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم لهم.

﴿لَقَدۡ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كُنتُمۡ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ﴾: بعبادتها في ضلال مبين: في بُعد عن الحق واضح أو الضّلال له معانٍ كثيرة منها الشّرك والكفر والضّياع والخطأ.

﴿مُّبِينٖ﴾: بيّن لا يخفىٰ علىٰ أحد، وظاهر بنفسه لا يحتاج إلىٰ من يظهره أو يُبينه للناس أو يحتاج إلىٰ دليل أو برهان.

[٥٥] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾: الهمزة همزة استفهام حقيقي واستعباد.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار والحق هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ضد الباطل الزّائل؛ أيْ: أجئتنا بالحق: أن نعبد الله ونترك ما يعبد آباؤنا.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾: أيْ: أجاد أنت فيما تقوله نحن في ضلال مبين وآباؤنا أم ما تقوله لعب وعبث. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٣٢) لمعرفة معنىٰ اللعب واللهو والفرق بينهما.

[٥٦] ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم لهم.

﴿بَل﴾: للإضراب الإبطالي: أيْ: هذه الأصنام لا تستحق العبادة والّذي يستحق العبادة هو ربكم الّذي خلقكم وخلق السّموات والأرض.

﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: فطرهن: من فطر الله الخلق؛ أيْ: أظهر الخلق، والفطر هو الشّق أو إخراج الشّيء علىٰ مثال غير سابق.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾: ولم يقل: وأنا علىٰ ذلك، ذلكم للجمع (السّموات والأرض وما فيهن) والتّوكيد.

﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أيْ: من الشّاهدين جمع شاهد علىٰ أنّه لا إله إلا الّذي فطر السّموات والأرض، والشّاهد لا يشهد إلا بالحق، أيْ: بعد التّحقق مما رأىٰ ومعه الحُجَّة والدّليل علىٰ الشّهادة.

[٥٧] ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾:

ويبدو أنّهم لم يصدِّقوا ما قاله فأقسم إبراهيم عليه السلام وقال:

﴿وَتَٱللَّهِ﴾: والتّاء تاء القسم، وهي أقوىٰ أدوات القسم وأقوىٰ من الواو (والله) أو الباء (بالله) واللام. وتالله للإنشاء، والخبر لأكيدن أصنامكم.

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾: اللام في لأكيدن للتوكيد والنّون في (أكيدن) لزيادة التّوكيد، والكيد: هو التّدبير الخفي المحكم لإيقاع المكروه، بها (الأصنام) يعني هنا تحطيمها وكسرها.

﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾: جملة وهل يمكن الكيد من الأصنام الّتي هي حجارة لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا ترىٰ، الجواب الكيد منها يعني الكيد من الّذين يعبدونها.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾: بعد ظرفية زمانية ومكانية، تولوا مدبرين: أيْ: تنصرفوا عنها ولو زمناً قليلاً، ولم يقل: تتولوا، تولوا: تعني ولو زمناً قصيراً وتتولوا تعني زمناً طويلاً، أن: للتعليل، أقسم إبراهيم ذلك سراً في نفسه أو جهراً كما قيل سمعه أحدهم.

وما حدث بعد القسم جاء ذكره في سورة الصّافات، فقد انتظر إبراهيم يوم عيد لهم وسألوه أن يخرج معهم فقال: إنّه سقيم، أيْ: مريض، الصّافات (٨٩-٩٣)﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾.

❖ ❖ ❖

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٥٨-٧٢]

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: الفاء تدل على التّرتيب والمباشرة أيْ: أسرع بتحطيم هذه الأصنام، بعد خروجهم لعيدهم.

﴿جُذَٰذًا﴾: من الجذِّ وهو القطع والكسر يقال: جذذت الشّيء أيْ: كسرته وقطعته، أيْ: جعل الأصنام قطعاً متناثرة وحطاماً بعد أن راغ عليهم ضرباً باليمين.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: إلا كبير الأصنام تركه ولم يحطِّمْه ويكسره.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديمها على يرجعون، ولم يقل: لعلهم يرجعون إليه، تفيد الحصر والقصر إليه حصراً، وإليه إما أن تعود على الله سبحانه أو تعود على إبراهيم أو تعود على كبيرهم.

﴿يَرْجِعُونَ﴾: يرجعون، ولم يُرجعوا، أيْ: يرجعون بإرادتهم ورغبتهم وليس مكرهين، كما لو استعمل كلمة يُرجعون، فإن كانت تعود على الله سبحانه، فالآية تعني: إليه يرجعون، أي: يرجعون إلى الله ويتوبون ويؤمنون به، وإن كانت

تعود على إبراهيم، فالآية تعني: يرجعون إليه فيُحاجهم كما سيأتي، وإن كانت تعود على كبير الأصنام، فالآية تعني: يرجعون إليه فيسألونه من كسر الأصنام فيجدون أنّه لا يتكلّم، وربما يعودون إلى صوابهم ورشدهم.

والاحتمالات الثّلاثة كلها واردة؛ أي: تحمل الآية كلّ الاحتمالات معاً.

[٥٩] ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: بعد أن عادوا إلى معبدهم ووجدوا أصنامهم محطَّمة.

﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾: من: استفهامية وإنكار، للعاقل وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾: أيْ: من حطَّم آلهتنا.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَمِنَ﴾: اللام لزيادة التّوكيد.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: أي: المجرمين.

[٦٠] ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: قال بعضهم: سمعنا فتى يذكرهم يقول: تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فتى: تعني شاباً.

﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾: اسمه إبراهيم أو ينادونه إبراهيم.

[٦١] ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾:

﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ﴾: أيْ: أحضروه مباشرة حالاً، الفاء للمباشرة.

﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: على مرأىٰ من النّاس ليراه الكلّ. على: تفيد الاستعلاء، وتستعمل للأفعال الشاقة مثل هذا المشهد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: لعلهم للتعليل، يشهدون: ما سنُوقع به من العذاب أو يشهدون عقابه أو عذابه حتّىٰ يكون عبرة لمن بعده، أو يشهدون عليه أنّه هو مرتكب الجرم بتكسير الآلهة.

[٦٢] ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾:

﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ﴾: الهمزة همزة استفهام، وقدَّموا أنت، أي: الفاعل علىٰ الفعل لأنّ الفاعل مرتكب الجرم غير معروف، وهو الأهم والفعل واضح وهو تحطيم الآلهة وهم يبحثون عنه، ولو اهتموا بالفعل لقالوا: أفعلت هذا يا إبراهيم.

[٦٣] ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾:

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾: قال إبراهيم، بل للإضراب الانتقالي، فعله كبيرهم هذا الّذي تركه سالماً، ولم يحطمه ويجعله جذاذاً كباقي الأصنام حتّىٰ يُعزىٰ إليه أنّه هو الّذي حطم بقية الآلهة، وفي ذلك توبيخ لهم واستهزاء.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلىٰ كبير الأصنام.

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب.

﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾: إن شرطية، تحمل معنى الشّك أو النّدرة، وإبراهيم يعلم أنّهم لن يسألوا هذا الصّنم؛ لأنّهم ليسوا أغبياء، ولكن جاء بهذا الأسلوب الحواري ليبيِّن لهم جهلهم وغباوتهم ويلزمهم الحجة لعلهم يرجعون.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿فَرَجَعُوٓا۟﴾: الفاء للمباشرة.

﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أيْ: تنبهوا وعادوا إلى عقولهم ونطقوا بالحق.

﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ﴾: الفاء للمباشرة، إنكم أنتم (أنتم تفيد التّوكيد).

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المشركون والظّالمون لأنفسكم بعبادتكم الأصنام وليس غيركم، الظّالمون: جملة اسمية تدل على الثّبوت. وظالمون جمع ظالم، وكل من خرج عن دين الله هو ظالم لنفسه.

[٦٥] ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصّفات بين معرفتهم الحق والعودة إلى الضّلال والغي.

﴿نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: عادوا إلى ضلالهم وغيهم بعد ما عرفوا الحق واعترفوا بأنّهم الظّالمين وشبه سبحانه رجوعهم عن الحق بعد أن تبيَّن لهم إلى الباطل (عبادة الأصنام) بانقلاب الشّخص حتّى يصبح أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، أو نكسَ المريض: عاد إلى مرضه.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾: قالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء، أيْ: كبيرهم أيْ: كبير الأصنام أو الأصنام الّتي أصبحت جذاذاً لا ينطقون.

[٦٦] ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، أفتعبدون: الفاء للتوكيد، تعبدون من دون الله: من غير الله أو سواه.

﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾: ما النّافية، وتستعمل لغير العاقل أو العاقل أحياناً، لا ينفعكم شيئاً: لا النّافية، شيئاً: نكرة، لا ينفعكم أيُّ شيء مهما كان إذا عبدتموه.

﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: تكرار لا النّافية للتوكيد، أيْ: ولا يضركم شيئاً، إذن لماذا تعبدون هذه الأصنام؟

[٦٧] ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾: أيْ: قبحاً لكم أو تعساً لكم، وأفٍّ صوت يدل على التّضجر. وجاءت أفٍ بالتنوين؛ أي: إني ضجرت منكم ضجراً عظيماً بلغ منتهاه.

﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: الواو استئنافية، ولما: اللام لام الاختصاص، ما للعاقل وغير العاقل، ولمعنى العبادة: ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السّورة للبيان، من دون الله: من غير الله.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التّعقل والتّعجُّب من ترك التّفكير، ألا: أداة تنبيه وحضٍّ وتحمل معنى الأمر، على

الموازنة بين البدائل والتّدبر للوصـــول إلىٰ معرفة حقيقية، وهي أن الله هو الإله الحق وما يعبدون من دونه هو الباطل.

[٦٨] ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾:

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾: ولـــم يقولـــوا: احرقـــوه: حرِّقوه بالتّضعيـــف الدّال علىٰ المبالغة في الإحراق؛ أي: أحرقوه كاملاً يشـــمل الرأس والصدر والظهر والبطن والأطراف مما يـــدل علىٰ نار الحقد المتأججة في نفوســـهم من إبراهيم بعد أن جعل أصنامهم جذاذاً ووصفهم بأنهم لا يعقلون. ارجع إلىٰ الآية (٢٤) من سورة العنكبوت للبيان.

﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾: بالانتقام من هذا الّذي حطم وكَســـرَ وفتت آلهتكم، فهم نسبوا المعركة بين إبراهيم والآلهة (الأصنام) ولم ينسبوا المعركة أنّها بينهم وبين إبراهيم عليه السلام.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشّـــك، كنتم فاعلين: أيْ: تريدون حقّاً نصرتها، وجواب الشّـــرط محذوف، دل عليه الـــكلام المتقدم أيْ: إن كنتم ناصرين لها فانصروها وحرِّقوه، وفي سورة العنكبوت الآية (٢٤) ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، ففي هذه الآية ذكروا طريقتين للقضاء علىٰ إبراهيم عليه الســـلام بالقتل أو الإحراق بالنّار، ثمّ أجمعوا علىٰ الإحراق.

[٦٩] ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾:

في الكلام اختصار وحذف في الكلام فهـــم قاموا بجمع الحطب، ثمّ بنوا

عليه بنيانـاً عالياً، ثمّ أوقدوا النّار، ثمّ رموا إبراهيم في النّار، كما ورد في سـورة الصّافات الآية (٩٧) وعندما عزموا على إلقائه في النّار:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ﴾: خاطب الله النّار مباشـرة وناداها ربها: يـا نارُ: كل منادى مبني على الضم معرفة ولو نصب النار قد تكون معرفة أو نكرة؛ أي: خاطب الله سبحانه نار معينة، وهي نار التي أوقدت لإحراق إبراهيم عليه السلام.

﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾: قيَّد حرَّها بسـلام، ولو لم يقيِّد حرَّها بسلام لآذاه حرُّها، وقيَّد بردها بسـلام، ولو لم يقيِّده، فربما البرد المطلق يؤذيه ويضره ويهلكه؛ أيْ: يا نار كوني ذات برد وسلام وقد يسأل سائل: كيف بردت النّار وهي ما زالت مشـتعلة ملتهبة؟ الجواب: هو أن الله نزع منها خاصية الإحراق وأبقى لها خاصية الإضاءة والاشتعال؛ لأنّه سبحانه على كلّ شيء قدير.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾:

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: بإبراهيم عليه السـلام كيداً: أيْ: إحراقه بالنّار أو قتله والكيد هو التّدبير الخفي المحكم لإيقاع المكروه بالغير من دون علمه.

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾: الفاء تدل على المباشـرة، الأخسـرين: جمع أخسـر على وزن أفعل ليدل على المبالغة في الخسـران، فإبراهيم عليه السلام نصره اللـه تعالى، فأنجاه الله من النّـار بعد أن ألقوه فيها، بينما قومه خسـروا أنفسهم وأهليهم باستمرارهم على الشّرك، ولهم عذاب مقيم.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٧-٩٨) من سورة الصّافات، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾:

نجد في سورة الأنبياء الآية (٧٠) أرادوا، في سورة الصّافات فأرادوا بزيادة الفاء الّتي تدل علىٰ السّرعة في تنفيذ الكيد من دون فاصلة زمنية أيْ: مباشرة.

وفي سورة الأنبياء فجعلناهم الأخسرين تناسب قولهم: انصروا آلهتكم فنصر الله تعالىٰ إبراهيم وأنجاه من النّار وجعلهم هم وآلهتهم الأخسرين، وأمّا في سورة الصّافات فجعلناهم الأسفلين تناسب قولهم: ابنوا لهم بنياناً فألقوه في الجحيم، أيْ: من أعلىٰ إلىٰ أسفل فبدلاً من أن يكون إبراهيم عليه السلام الأسفل جعلناهم الأسفلين كأنّهم هم الّذين سقطوا من بنيانهم في النار.

[٧١] ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾:

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا ﴾: أيْ: إبراهيم عليه السلام ولوطاً، ونجيناه ولم يقل:وأنجيناه: نجيناه تعني: زمن النّجاة كان طويلاً، بينما لو قال: أنجيناه فذلك يعني زمن النّجاة استغرق زمناً قصيراً ونجيناه من ديار الكفر أرض بابل بالعراق بالهجرة مع زوجته وابن أخيه لوط إلىٰ أرض الشام وفلسطين.

﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾: أرض فلسطين والشّام وما حولها، باركنا فيها: من البركة وتعني الزّيادة والنّمو، والبركة بركة مادية تعني: بلاد الخيرات والثّمار والزّروع، أو بركة معنوية وتعني: أرض النّبوة والرّسالات ومهبط الأنبياء.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾: أيْ: لإبراهيم إسحاق الهبة عطاء من دون مقابل، ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (٨) للبيان.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾: لأنّ امرأة إبراهيم عليه السلام سارة كانت عجوز عقيم غير صالحة للإنجاب، فكان إسحاق عليه السلام هبة من الله سبحانه له، فقد دعا إبراهيم ربه قائلاً ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠] قدَّم له الجار والمجرور للحصر أيْ: له خاصة.

﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: نافلة: أيْ: زيادة، أيْ: وهب له إسحاق ويعقوب زيادة ويعقوب هو ولد إسحاق أي: الحفيد أيْ: ولد الولد ونافلة؛ لأنّ إبراهيم لم يسأل ربه عن ولد الولد فكان زيادة؛ أي: نافلة.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾: الواو واو الجمع وتعني: هؤلاء وغيرهم؛ أي: كلّ واحد من هؤلاء إبراهيم وإسحاق ويعقوب صالحِين وهناك غيرهم من الصالحين بكسر الحاء، وتعني: جمع صالح، ولم يقل: صالحَين بفتح الحاء أي: (فقط إسحاق ويعقوب)؛ أي: من الصالحين.

ولمعرفة معنىٰ الصّالحين ارجع إلىٰ الآية (١٣٠) من سورة البقرة للبيان.

❖❖❖

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٧٣-٨١]

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: أيْ: جعلنا إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب، أئمة: جمع إمام والإمام قدوة يُقتدىٰ بهم في الخير والصّلاح، وذلك استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام حين قال تعالىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [البقرة:١٢٤]. وفي الآية السابقة (٧٢) (وكلاً جعلنا صالحين) وكرر في هذه الآية وجعلناهم للتوكيد والأهمية والشرف لهذا الجعل جعلهم أئمة بالإضافة إلىٰ كونهم صالحين.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: يرشدون النّاس بأمرنا بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنّهي ملتزمين بما أمرناهم به ولا يخالفونا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾: الوحي في اللغة الإعلام بالخفاء أيْ: سراً (الكلام الخفي) وفي الشّرع: هو ما يُلقي الله تعالىٰ إلىٰ أنبيائه ورسله من آيات وتعاليم دينية ومواعظ بواسطة الوحي جبريل أو الكلام من وراء حجاب. ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣) لمعرفة معنىٰ أوحينا.

﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: الخير وهو الشّيء الحسن النّافع الحلال الطّيب.

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: هذا يسمّىٰ عطف الخاص علىٰ العام؛لأنّ فعل الخيرات يتضمن إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، واختار الله تعالىٰ ذكر هاتين العبادتين؛ لأنّهما أهم العبادات وإقام الصّلاة يعني:بشروطها وأركانها

وأوقاتها وخشوعها والدّوام عليها، وقال تعالىٰ: وإقام الصّلاة بالتّذكير ولم يقل: وإقامة الصّلاة؛ لأنّ التّذكير أقوىٰ من التّأنيث وإيتاء الزّكاة بشروطها وأوقاتها والمداومة عليها.

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾: جمع عابد، عابدين من العبادة، ارجع إلىٰ الآية (١٠٦) من نفس السّورة للبيان، وعابدين جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت.

[٧٤] ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾:

﴿وَلُوطًا﴾: هو ابن هاران بن تارخ عمّه إبراهيم عليه السلام، ذكر في القرآن (٢٧) مرة في (١٤) سورة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾: قيل: هي معطوفة علىٰ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: وأيضاً آتينا لوطاً حكماً وعلماً.

﴿حُكْمًا﴾: تشمل النّبوة والحكم: القضاء والفتوىٰ في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿وَعِلْمًا﴾: العلم: الفهم بالدّين، أيْ: معرفة أمور الدّين الأحكام والشرائع.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: نجيناه ولم يقل: أنجيناه ليدل علىٰ أنّ عملية النّجاة استغرقت زمناً طويلاً ولم تكن صعبة.

﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾: هي قرية سدوم والقرىٰ المحيطة بها المسماة المؤتفكات، والقرية تعني: أهل القرية، الّتي كانت تعمل الخبائث:

أيْ: أهلها الّذين كانوا يعملون الخبائث الّتي ذكرها الله تعالىٰ في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: إنهم للتوكيد، كانوا قوم سوء: أصحاب أعمال سيئة ومعاصي، وقيل: السّوء كلّ معصية يقام عليها الحد في الدّنيا، والسّوء القبيح وهو ما يسوء إظهاره وله عاقبة سيئة، والسّوء: اسم مصدر والمصدر لا يجمع.

﴿فَاسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعة الله تعالىٰ، جمع فاسق، وفاسقين تدل علىٰ صفة الفسق ثابتة عندهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾: الرّحمة تعني النّبوة، وتعني الجنة، وتعني العيش في رحمة الله، أي: الإسلام والإيمان والنّعمة والسّعة في العيش والعصمة، وإضافة الرّحمة له سبحانه تعني: رحمة خاصة بالمؤمن، وهناك رحمة عامة للمؤمن والكافر.

﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: إنه للتوكيد، الصّالحين: جمع صالح والصّالح من قام بحق الله تعالىٰ وحق العباد، والمؤهل لحمل الخلافة الإيمانية، ويمتاز بصلاح في العقيدة والأخلاق والسلوك والتربية ويقاوم الفساد بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

[٧٦] ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَنُوحًا﴾: الواو عاطفة علىٰ إبراهيم، ولقد آتينا إبراهيم ونوحاً إذ نادىٰ.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنىٰ حين.

﴿نَادَىٰ﴾: إذ دعا علىٰ قومه بالهلاك فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

﴿مِن قَبْلُ﴾: إبراهيم ولوط.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتّعقيب، أي: استجبنا له مباشرة، له: لدعائه وندائه، لمعرفة معنى استجبنا له: ارجع إلى الآية (٨٤) من نفس السّورة.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة ونجاته استغرقت زمناً طويلاً لصنع السّفينة وإعدادها.

﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: أولاده وزوجته.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الكرب: هو المكروه الّذي لا تستطيع دفعه غالباً عن نفسك ولا يستطيع أحد آخر دفعه إلا الله.

والكرب يعني: الغرق بالطوفان ويشمل الغم الشديد الّذي استمر طويلاً.

ما هو الفرق بين استجبنا له وأجبناه: الاستجابة تعني دائماً: القبول لما دعا إليه الدّاعي، أيْ: فيها وعد من الله سبحانه للداعين بالاستجابة لهم.

أما الإجابة فقد تكون بالإيجاب (القبول) أو الرفض.

[٧٧] ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: أيْ: نوح من القوم الّذين كذبوا بآياتنا، ونصرناه من القوم ولم يقل: على القوم، نصرناه من القوم تعني: نصراً كان من عند الله سبحانه من دون قتال أو معركة أو حرب، ولو قال: ونصرناه على القوم لكان ذلك يعني أنّه كانت هناك معركة وقتال بينه وبين قومه؛ لأنّ كلمة على تعني العلو والغلبة. وقال نصرناه، ولم يقل نجيناه؛ لأن نجيناه تعني: النجاة فقط له، وأما نصرناه: تدل على نجاته من عقاب خصمه؛ أي: نجيناه وأغرقنا خصمه.

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بآياتنا: الباء للإلصاق، آياتنا: أيْ: كذبوا

بآيات ربهم الدالة على التوحيد والإلوهية، وبآياتنا الكونية الّتي ذكرها الله سبحانه في سورة نوح (١٥-١٧): ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) للبيان.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب بالطّوفان أجمعين كبيرهم وصغيرهم من ذكر وأنثى إلا من آمن معه، وما آمن معه إلا قليل.

[٧٨] ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾:

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾: يعني: واذكر نوحاً إذ نادى من قبل واذكر داود وسليمان.

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾: إذ: ظرف زمان للماضي، يحكمان في الحرث: الحكم هو القضاء كلّ منهما حكم حكماً باجتهاد منه لا بوحي، وكلٌّ من داود وسليمان حكم بحكم مخالف للآخر، وتبيَّن أنّ حكم سليمان الابن كان أصوبَ من حكم الأب داود.

﴿فِي الْحَرْثِ﴾: في الزّرع، والزّرع يسمَّى حرثاً؛ لأنّ الحرث يسبق الزّرع ومن دون حرث لا يحدث زرعاً والحرث هو تقليب التّربة وتهويتها حتّى تصبح صالحة لعملية البذر ووصول الماء إلى البذرة.

﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾: إذ ظرف للزمان الماضي تدل على الفجأة.

﴿نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: انتشرت وتفرَّقت فيه غنم القوم.

والنّفش: قيل: الرّعي ليلاً، ورعت من دون راعٍ، ويبدو أنّ الغنم خرجت

من حظيرتها ليلاً من دون علم صاحبهـا، وبقيت ترعى حتّى الصباح في الزّرع، فلم تبقِ منه شيئاً يصلح للحصاد؛ مما أدّى إلى فساده، فاختصم صاحب الحرث (الزّرع) وصاحب الغنم إلى داود عليه السلام، كما ذكر أهل التفسير.

فحكم داود لصاحب الحرث أن يأخذ الغنم ويصبح مُلكاً له بدلاً من زرعه الّذي أتلفه الغنم، وسأل سليمان الخصمين بماذا حكم داود فأخبروه بذلك، فقال: انصرفا معي فأتى داود فقال: يا نبي الله إنّك حكمت بكذا وكذا، وإنّي رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال: ما هو؟ فقال: نعطي الغنم إلى صاحب الحرث (الزّرع) كي يستفيد من لبنها وأصوافها وأولادها إذا ولدت في ذلك الزّمن، ونعطي الأرض لصاحب الغنم كي يُصلحها ويزرعها حتّى تعود كما كانت، عندها يأخذ صاحب الغنم غنمه وصاحب الزّرع زرعه. هذا ما ذكره القرطبي في تفسيره

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾: أيْ: حاضرين أو مراقبين.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾:

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشـرة، فهمناها: الهاء تعود على الخصومة أو الدّعوى، فهمناها سـليمان: خصَّ الفهم بسليمان والفهم هو تصور المعنى، أي: الإدراك الخفي للمسـألة أو العلم بمعانـي الكلام أو فطنة + علم، والعلم هو الإدراك سـواء كان خفياً أو جلياً، أي: كلّ فاهِم لا يعني أنّه عالم وكلّ عالم هو فاهِم.

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: وكلاً أيْ: داود وسليمان آتيناه حكماً وعلماً، حكماً: القدرة على حل الخصومات والقضاء في الدّعوى، وحكماً من الحكمة: الفهم وتدبر الأمور، وعلماً: علماً بأمور الدّين والفتوى والقضاء.

فكلاهمـا آتيناه حكماً وعلماً، فلا يظن أحد أنّ داود أقل علماً أو حكماً من

ابنه سليمان، وما توصل إليه سليمان لا يقدح في ما توصل إليه داود، فالإنسان يمكن أن يخطئ في الاجتهاد، فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

فقد روىٰ البخاري في صحيحه عن عمر بن العاص قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) وعلىٰ الحاكم أو القاضي التّريث والنّظر في الدّعوىٰ أو القضية من جميع جوانبها، وأنّ لكلّ حاكم أو قاض حكماً مبنياً علىٰ علمه وما توافر له من أدلة.

ولكل من المدَّعِي والمدَّعَىٰ عليه حقٌّ، أو مشروعية الاستئناف، والنّقض في الحكم.

ثم بيَّن الله سبحانه طرفاً مما آتاهما الله تعالىٰ إضافة إلىٰ الحكم والعلم فقال:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: وسخرنا من التّسخير وهو قهر المسخر، أو تذليله علىٰ فعل شيء، أو أمر لا يستطيع رفضه، وسخرنا: بصيغة الجمع للتعظيم. الجبال: يسبحن: وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

﴿وَالطَّيْرَ﴾: يسبحن وكلّ الحيوانات تسبح بحمد ربها.

وفي سورة ص الآية (١٨) ذكر لنا زمن التّسبيح فقال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، وقدَّم الجبال علىٰ الطّير؛ لأنّ تسخير الجبال وتسبيحها من عجائب القدرة الإلهية الّتي قلَّما يفكر بها العقل البشري المنحرف عن تسبيح الله تعالىٰ في معظم الأوقات، فهذه الجبال الرّواسي، أو الكائنات الّتي يظنها الإنسان أنّها جمادات هي تفوق الكثير من البشر في عبادتها، وقد تكون أشرف من هؤلاء

الّذين جحدوا بخالقهم وأنكروا تسبيحه، وتقديمها على الطّير؛ لأنّ الطّير من جنس الحيوان.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: أيْ: قادرين على فعل هذا وغير هذا فلا يعجزنا شيء، وفيها معنى التّوكيد للتسخير.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾:

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾: أيْ: داود التّعليم بطريق الوحي.

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: صناعة الدّروع، صنعة: هي الحرفة، لبوس: مشتقة من اللّباس الّذي يغطي الجسم.

وكلمة لبوس على وزن فعول صيغة مبالغة من كلمة لباس، لبوس من لباس الحرب؛ أي: الدّروع الّتي تلبس في الحرب، لكم: اللام: لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: أيْ: تحميكم من ضرب السّيوف، أو طعن الرّماح، واللام للتعليل، من بأسكم: البأس: الحرب؛ أيْ: تحميكم في حربكم مع عدوكم.

وقد بيَّن لنا في سورة سبأ الآية (١٠-١١) كيف تتم صنعة لبوس، فقال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾؛ أيْ: جعلنا له الحديد ليناً، أن اعمل سابغات؛ أيْ: دروعاً سابغات؛ أيْ: دروعاً تغطي صاحبها كاملة، وقدر في السّرد، السّرد النّسج؛ أيْ: لا تجعل الحلق واسعة، فلا تقي صاحبها فكان داود أوّل من صنع الدّروع والحِلق.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾: هل استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اشكروا الله المنعم

الّذي سخر لكم الحديد، وغيره من المعادن، وصناعة ما يحفظكم ويقيكم من عدوكم.

[٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾: الواو: عاطفة؛ أيْ: وسخرنا لسليمان: اللام لام الاختصاص.

﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: الرّيح الشّديدة الهبوب يقال: عصفت الرّيح؛ أي: اشتدت، وعاصفة: مشتقة من العصف، وهو التبن، والفتات؛ أيْ: تحطم ما تمر عليه فتجعله كالعصف، وفي آية أخرىٰ (٣٦) من سورة (ص)، وصفها بأنّها ريح ناعمة فقال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، إذن هذه الرّيح يمكن أن تكون ريح لينة، أو تتحول إلىٰ عاصفة إذا احتاج لذلك، فالله سبحانه جمع لهذه الرّيح صفتين صفة العصف، وصفة الرّخاء في آن واحد.

﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾: أيْ: بأمر سليمان عليه السلام، يمنةً أو يسرةً بشدة أو لينٍ وتحمله في أسفاره.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: أرض الشّام وفلسطين باركنا فيها، ارجع إلىٰ الآية (٧١) من نفس السّورة.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾: بسرعة الرّيح ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢]. عالمين بما يحدث في مُلك داود وسليمان.

❖ ❖ ❖

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٨٢ -٩٠]

[٨٢] ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾:

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: وسخرنا لسليمان الرّيح عاصفة ومن الشّياطين، ومن الواو عاطفة، من بعضية، بعض الشّياطين.

﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: في البحار والغوص هو النّزول لقعر البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان، له: أيْ: خاصة له لسليمان، اللام لام الاختصاص، وليس لغيره.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ عملاً آخر (غير الغوص)، وذكر هذا العمل في سورة سبأ الآية (١٣)، وهو البناء فقال تعالىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾، وفي سورة ص الآية (٣٧-٣٨): ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: حافظين لهم من الزّيغ عن أمر سليمان؛ أي: الإفساد في الأرض ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[سبأ:١٢].

[٨٣] ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أيْ: واذكر أيوب إذ نادىٰ، أو حين نادىٰ ربه، نادىٰ ربه: دعا ربه، النّداء هنا بمعنىٰ الدّعاء، النّداء من أدنىٰ إلىٰ أعلىٰ يسمّىٰ دعاءً.

﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾: أنّي: للتوكيد، مسني: من المس والمس هو أخف

درجات اللمس، والضُّرُّ: هو ما يصيب الإنسان بجسمه، أو ماله، أو ولده حيث فقد ماله أو ولده أو أصيب بمرض في جسده، وفي الآية (٤١) من سورة ص ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، نسب ما أصابه إلىٰ الشّيطان تأدباً مع الله تعالىٰ. وهناك فرق بين الضُّر بضم الضاد، والضَّر بفتح الضاد، الضَّر: مصدر يقابل النفع.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: وأنت يا رب أرحم الرّاحمين، جميعاً؛ أيْ: أرحم الرّاحمين من خلقك فمن فضل الله علىٰ خلقه وصفهم بصفة من صفاته وهي الرّحمة.

[٨٤] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: الفاء: للمباشرة والتّوكيد. استجبنا له: أجبنا له دعاءَه أو نداءَه، استجبنا له: من الاستجابة وتعني: قبلنا دعاء أيوب، ولم يقل فأجبنا له الإجابة فقد تعني بالمخالفة أو يجيب بالقبول.

﴿فَكَشَفْنَا﴾: أيْ: أزلنا ورفعنا عنه ضره بالشّفاء من مرضه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: أعطيناه مثل أهله عدداً، وقيل: وزيادة (مثل آخر) بأن ولد له ضعف ما كان عنده من الأولاد والإيتاء غير العطاء ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

رحمة من عندنا: أخص من رحمة منا، رحمة من عندنا تخص المؤمنين أو المقربين، وأمّا رحمة منا فهي رحمة عامة للمؤمن والكافر.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾: وتذكرة لغيره من العابدين باللجوء إلىٰ الله حين المحن وعظة لهم بأن يصبروا علىٰ ما أصابهم، للعابدين: اللام لام الاختصاص،

والعابدين: جمع عابد والعبادة ارجع إلىٰ الآية (١٠٦) للبيان، والفرق بين ذكرىٰ وذكرٌ: ذكرىٰ تأتي في سياق الهداية (بصيغة التّأنيث) وذكرٌ للعالمين يأتي أو يستعمل سياق الدّعوة والتّبليغ (بصيغة التّذكير)، وذكرٌ أقوىٰ وأبلغ من ذكرىٰ.

[٨٥] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل:

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: صبرَ وهل هناك أعظم صبراً من إسماعيل الّذي صبر حين أخبره أبوه إبراهيم أنّه رأىٰ في المنام أن يذبحه، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصّافات:١٠٢]، وصبر علىٰ الإقامة في بلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بشر (مكة).

﴿وَإِدْرِيسَ﴾: أول من خط بالقلم، وتعلم خياطة الملابس، واستخدم النّجوم لمعرفة الاتجاهات.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: قيل: كان يصلي لله كثيراً، وقيل: هو ابن أيوب، وقيل: سُمِّي بذلك الاسم؛ لأنّ الله تكفل له سعيه وعمله بضعف أجر الأنبياء الّذين كانوا في زمانه.

﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: صابرين علىٰ طاعة الله وصابرين في دعوتهم علىٰ الاضطهاد والإيذاء، ولما أصابهم في سبيل الله تعالىٰ.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٧٥) من نفس السّورة لبيان معنىٰ في رحمتنا، وإلىٰ الآية (٧٥) من لبيان معنىٰ الصّالحين.

[٨٧] ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾: أيْ: صاحب الحوت سيدنا يونس عليه السلام من قرية نينوىٰ بالعراق، والنون الحوت: السّمك الكبير مثل الحيتان الزرقاء ذات الوزن العظيم، وليس لها أسنان حادة، وتتنفس الأوكسجين، واستعمال (ذو النّون) أو (ذا النّون) أشرف من لفظ صاحب الحوت، وأبلغ في الثّناء والمعنىٰ.

والسّؤال: لماذا ذو أفضل من صاحب؛ لأنّ (ذو) تضاف للتابع وصاحب تضاف للمتبوع والتّابع أشرف أو أفضل من المتبوع.

﴿إِذ﴾: إذ ظرف للزمن الماضي.

﴿ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾: ذهب تاركاً قومه بعد أن أغضبوه، وهناك فرق بين غاضب: وهو الّذي يغضب دون أن يغضبه أحد يغضب بنفسه، ومغاضب: هو الّذي يُغضبه أو يسبب غضبه إنسان آخر (يُثير غضبه).

فقوم يونس أغضبوه؛ لأنّهم كذبوه ولم يؤمنوا، فغضب علىٰ عدم إيمانهم ولما اشتد به الغضب ترك قومه من دون أمرٍ أو إذنٍ من الله، ذهب مغاضباً: أيْ: خرج من عند قومه، مغاضباً: اسم فاعل للمبالغة، ولو قال: غاضباً، أيْ: لم يسبب غضبه أحدٌ إلا نفسه.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أن للتوكيد، لن نقدر عليه: ظن: رجح أنّ الله سبحانه لن يُضيق عليه في الأرض بعد أن ترك قومه من دون أمر إلهيٍّ حين علم أنّ العذاب سيحل علىٰ قومه، خرج من عندهم، ولم يعلم أنّهم تابوا إلىٰ الله سبحانه بعد خروجه وقبل الله توبتهم ورفع عنهم العذاب، لن: نافية للمستقبل القريب أو البعيد. ولمعرفة ما حدث له بعد تركه لقومه ارجع إلىٰ سورة الصافات الآيات

(١٣٩-١٤٨): ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾.

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: وهو في فم الحوت في الظّلمات: جمع ظلمة: ظلامات البحر فقد اكتشف العلماء أكثر من عشر ظلمات للبحر. ارجع إلى سورة النور آية (٤٠) للبيان، وظلمة الليل، وظلمة فم الحوت.

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أن: للتوكيد. بدأ بالتّوحيد لا إله إلا أنت، ثمّ بالتّنزيه سبحانك، ثمّ بالاستغفار والاعتراف بالذّنب، إني كنت من الظّالمين.

روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تفضّلوني على يونس ابن متى، فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر البحر» في فم الحوت ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

فلولا: حرف امتناع؛ أيْ: لكونه كان من المسبحين لم يلبث في بطنه (أي: الحوت) وخرج، وإلا لمات يونس ونزل إلى بطن الحوت، وبعد أن يموت الحوت أيضاً يصبح بطن الحوت قبراً له ويبقى في قبره إلى يوم يبعثون. ارجع إلى سورة الصافات، وسورة القلم لمزيد من البيان.

إني كنت من الظّالمين: حين تركت قومي مغاضباً دون إذن منك.

[٨٨] ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾: الفاء: للتعقيب والسّرعة، استجبنا لدعائه وقبلنا توبته واستغفاره، ارجع إلىٰ الآية (٨٤) السّابقة لمعرفة معنىٰ استجبنا له.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾: أخرجناه من فم الحوت ومن الظلمات وأعظم غم هو مخالفة أمر الله والشّعور بأنّ الله غير راضٍ عن العبد.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: أيْ: مثل ما أنجينا يونس عليه السلام ننجي أيَّ مؤمن يدعونا، يدلُّ ذلك علىٰ أنّه ما من مؤمن يصيبه أيُّ كرب أو غمٍّ فيدعو الله بإخلاص إلا استجاب له ربه، ونجَّاه من كربه وغمه.

[٨٩] ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾: واذكر زكريا إذ نادىٰ ربه (دعا ربه).

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا ﴾: أيْ: لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وذكر ذلك في سورة مريم الآية (٥-٦) ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ارجع إلىٰ سورة مريم الآية (٢-١٠).

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾: أي: الباقين بعد فناء خلقك فالمُلك مُلكك وأنت مالك المُلك في الدّنيا والآخرة.

[٩٠] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٤) السّابقة.

﴿وَوَهَبْنَا ﴾: ووهبنا من الهبة، ارجع إلىٰ سورة آل عمران الآية (٨).

﴿لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾: له خاصة، اللام لام الاختصاص، يحيىٰ: ارجع إلىٰ الآية (٣٩) من سورة آل عمران.

﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾: أيْ: جعلناها صالحة للولادة بعد مرضها بالعقر؛ أيْ: أعدنا لها القدرة علىٰ التّخصيب والحمل.

﴿إِنَّهُمۡ﴾: للتوكيد، وتعود علىٰ المذكورين من الأنبياء عليهم السلام بما فيهم زكريا.

﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: يسارعون في فعل الخيرات: الخير هو كلّ حلال طيب، حسن نافع من قول أو فعل، يسارعون في، ولم يقل: يسارعون إلىٰ الخيرات.

أيْ: إنّهم كانوا سابقاً في فعل الخيرات ولا زالوا يسارعون في فعل الخيرات، أمّا يسارعون إلىٰ الخيرات فتعني لم يكونوا يفعلون الخيرات، والآن بدؤوا بذلك، يسارعون ولم يقل: يسرعون، يسارعون تعني: يسرعون بشدة لا يدَّخرون جهداً يسارعون بأقصىٰ طاقاتهم ويسارع بعضهم بعضاً.

﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾: يدعوننا: من الدّعاء والعبادة، رغباً: حباً وطمعاً في رحمتنا، ورهباً: خوفاً من عذابنا أو خشيةً منا.

﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: من الخشوع، والخشوع يكون في الجوارح، الصّوت والبصر والقلب، ويعني: الإخبات، أمّا الخضوع: فهو اللين والانقياد ويكون في الجسم، أيْ: لنا خاشعين في صلاتهم ودعائهم وقلوبهم وأبصارهم وسمعهم.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٩١-١٠١]

[٩١] ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾: واذكر مريم بنت عمران في عداد عبادنا الصّالحين، أحصنت فرجها: الإحصان له أربعة معانٍ: الزّواج، والإسلام، والعفة، والحرية، أحصنت فرجها: أيْ: عفت وصانت فرجها عن الحرام وعن الحلال أيضاً.

﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: الفاء للترتيب الذّكري أو التّوكيد، نفخنا: تعني: بأمر من الله إلىٰ جبريل، وجاء بضمير الجمع للتعظيم ليدل علىٰ عظم الأمر، وقد تحمل معنىٰ اشتراك جبريل في عملية النفخ التي كانت بأمر من الله سبحانه، كما قال تعالىٰ ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم١٧-١٩].

ولنقارن هذه الآية فنفخنا فيها من روحنا مع الآية (١٢) من سورة التّحريم ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

فيها تعود إلىٰ مريم، وفيه تعود إلىٰ عيسىٰ عليه السلام الّذي في رحمها، نفخنا فيها أولاً لتحمل (لكي يبدأ الحمل بعيسىٰ)، ثم نفخنا فيه (في عيسىٰ) الروح، وذلك كما بينت الأحاديث بعد (٤٢) ليلة، أو في حديث آخر بعد (١٢٠)

يوماً، نفخنا فيها عن طريق جيبها (درعها أو ثوبها). أما فيه: تعود إلى عيسى نفخنا فيه الروح بصورة مباشرة أو فيه تعود إلى حبيب درعها، والله أعلم.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: آيـة: معجزة أو بينة أو دلالة على قدرة الله سبحانه أن يولد عيسى عليه السلام من دون أب وأن يتكلم في المهد أو أن تلد مريم من دون أن يمسـها بشر، للعالمين: اللام لام الاختصاص، العالمين: الجن والإنس والملائكة يتحدثون بها.

وفي سورة مريم الآية (٢١) قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ الجعل هـو التّصيير آية للنـاس؛ أيْ: أبرزه آية للناس؛ أيْ: هو وحـده آية للناس ومريم وابنها آية للعالمين.

ولنقارن الآيـة (٩١) من الأنبيـاء ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾، أو: الآية (١٢) من سـورة التحريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾، مع الآية (٢٩) من سـورة الحجر ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يعنـي: آدم عليه السلام، النّفخ في آدم من الله تعالى وحده فهو أعجب من النّفخ في عيسى عليه السلام: النّفخ في عيسى كان عن طريق جبريل عليه السلام.

في هذه الآية (٩١) من سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وفي الآية (٥٠) من سـورة المؤمنون قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، في سـورة الأنبياء قدّم أمّه (مريم) على عيسى؛ لأن الآيات جاءت في سـياق الحديث عن مريم فقدَّم أمـه وإنّ ابنها أفضل منها قربى إلى الله، وفي سـورة المؤمنون آية (٥٠) قدَّم عيسـى على أمّه؛ لأن السّـياق في الحديث عن الرّسل، فقدَّم عيسى على أمّه.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾:

﴿إِنَّ هَـٰذِهِ﴾: إنّ للتوكيد، هذه: الهاء للتنبيه اسم إشارة.

﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: الأمة هنا في هذه الآية تعني الشّريعة والملة، أيْ: هذه شريعتكم أو ملتكم ملة واحدة، أو دين واحد وهو دين الإسلام أو ملة إبراهيم حنيفاً، واحدة: تفيد التّوكيد.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾: خالقكم ومربيكم ورازقكم، وأنا بصيغة المفرد للدلالة على التّوحيد.

﴿فَاعْبُدُونِ﴾: الفاء فاء السّببية، اعبدون: الخطاب موجَّه إلى سائر الخلق بما فيهم الأنبياء والرّسل، ولو كان الخطاب موجَّه إلى الأنبياء والرّسل لقال تعالى: فاتقون، كما قال تعالى في الآية (٥١-٥٢) من سورة المؤمنون: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ والتّقوى تضم العبادة وأعلى درجة من العبادة. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة. وارجع إلى سورة ياسين آية (٦١) للمقارنة بين فاعبدون، وإن اعبدوني.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾:

الخطاب في هذه الآية موجَّه إلى الأمم، وليس إلى الرّسل؛ لأنّ الرّسل حاشا أن يتفرَّقوا، وما دام ربكم واحد ودينكم أو شريعتكم واحدة فلم تتفرَّقوا في الدّين وتكونوا شيعاً وأحزاباً أيها النّاس.

﴿وَتَقَطَّعُوا﴾: تفرَّقوا واختلفوا أو أصبحوا أمماً مختلفة أو أحزاب وشيع في الأمة الواحدة بسبب الأهواء والجهل والمصالح الفردية كلّ حزب بما لديهم فرحون.

﴿أَمْرَهُم﴾: أيْ: دينهم أو ملتهم.

﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: كل الأمم والأحزاب أو الفرق، إلينا: تقديم إلينا يدل على الحصر؛ أيْ: إلينا وحدنا، راجعون: للحساب والجزاء.

انتبه إلى الانتقال من صيغة المخاطب في الآية (٩٢) إلى صيغة الغائب في الآية (٩٣)، أصل الكلام: إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، وتقطعتم أمركم بينكم، عدل عن هذا إلى قوله: وتقطعوا أمرهم بينهم، للتنبيه أو للفت انتباه السّامع إلى الفعل الشّنيع الّذي فعلوه وهو التّفرق في الدِّين.

ولمقارنة هذه الآية (٩٣) ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ والآية (٥٣) من سورة المؤمنون: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾:

في سورة المؤمنون قال: فتقطعوا بينهم زبراً: الفاء تدل على المباشرة والتّعقيب، أيْ: مباشرة تفرّقوا وتقطعوا أمرهم بينهم، ومن دون فاصل زمني وأضاف كلمة (زبراً) تفيد التّوكيد توكيد التّفرق؛ مما يدل على أنّ المخاطبين في سورة المؤمنون مبالغين في التّفرق، أيْ: أشد تفرقاً وكفراً من المخاطبين في سورة الأنبياء.

[٩٤] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السّابقة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: من ابتدائية، يعمل من الصّالحات ولم يتشيع أو يتحزب أو يفرق دينه ويعمل من الصّالحات، أيْ: الأعمال الصّالحة من الأقوال والأفعال، وما جاءت به الرّسل وهو مؤمن، أيْ: العمل الصّالح المقرون بالإيمان.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: هو ضمير فصل للتوكيد على كونه مؤمناً.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا نافية للجنس.

﴿كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أيْ: لن نبخسه أو نجحده حقه أو ثوابه ولن نضيع سعيه، واللام في لسعيه للتوكيد. كفران: مصدر كفر على وزن فعلان صيغة مبالغة وأصل كفر: ستر.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾: وإنا للتعظيم، ورسلي كاتبون له ذلك السّعي في صحائف أعماله؛ لكي يثاب عليه، وقدّم له على (كاتبون) لتفيد التّوكيد. كاتبون: جملة اسمية تفيد الثّبوت، أيْ: نكتب له أعماله باستمرار بلا انقطاع.

[٩٥] ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: أيْ: محرَّم على قرية، أيْ: أهل قرية أهلكناها، أيْ: أهلكناهم بذنوبهم (لأنّها كذبت الرّسل ولم تؤمن).

﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أنّهم للتوكيد، لا يرجعون: لا نافية تفيد التّوكيد، يرجعون: لا يرجعون إلى الدّنيا لكي يؤمنوا أو يستدركوا ما فرطوا في جنب الله، أو لا يُعقل أن يتركهم من دون حساب في الآخرة أو يظنوا إهلاكهم في الدّنيا يكفي، وإنّهم لن يعذبوا في الآخرة.

[٩٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾:

لا يرجعون: حتّى تأتي السّاعة وأشراطها كخروج يأجوج ومأجوج.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف لنهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للمستقبل شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: هم قبيلتان من جنس الإنس موجودتان وراء السّد الّذي بناه ذو القرنين وسيفتح لهم الرّدم (السّد) قبيل السّاعة، وتخرج هذه الأقوام لتعيث في الأرض الفساد والفتنة.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: الحدب: المكان المرتفع من الأرض يخرجون من هضاب ومرتفعات شمال الصّين، كما تشير التفاسير.

﴿يَنسِلُونَ﴾: نَسَلَ في مشيه، أيْ: أسرع، ينسلون: يخرجون مسرعين. وينسلون: في الأصل تستخدم لمشي الذئب السريع الجائع ليبحث عن طعام، وهكذا سيكون حال قوم يأجوج ومأجوج كالذئاب الجياع يأكلون الأخضر واليابس.

[٩٧] ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

أيْ: إذا فتحت يأجوج ومأجوج.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: الواو في كلمة واقترب للتوكيد، أيْ: حتّىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، الوعد الحق: هو يوم الحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿فَإِذَا﴾: إذا ظرف للزمن المستقبل والفجائية.

﴿هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: شخص بصره: انفتحت عيناه فلا تطرف أو لا تغمض بالأجفان من الخوف والفزع والحيرة من أهوال ما يرونه بعد خروجهم من الأجداث، وتقديم شاخصة أبصار علىٰ كلمة الّذين كفروا، ولم يقل: فإذا الّذين كفروا شاخصة أبصارهم تدل علىٰ أنّ أبصارهم خاصة تصاب بالشّخوص دون غيرهم، وأنّها لا تقوم إلا بالشّخوص.

﴿يَا وَيْلَنَا﴾: يا هلاكنا والويل: الهلاك وياء النّداء للتنبيه، أيْ: يا ويل احضر وأهلكنا فنرتاح. ارجع إلىٰ الآية (٤٦) من نفس السّورة لبيان معنىٰ الويل. أو تعني: حتّىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق قالوا: يا ويلنا.

﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾: قد حرف للتحقيق والتّوكيد، كنا: في الحياة الدّنيا، في غفلة: في ظرفية، غفلة: أيْ: غافلين، أيْ: لم يخطر علىٰ بالنا أن نفكر أو نستعد لهذا اليوم، يوم الحساب، أو الوعد الحق. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنىٰ الغفلة.

﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، كنا ظالمين: اعترفوا بظلمهم آنذاك، فلن تنفعهم معذرتهم ولا هم يستعتبون، ظالمين لأنفسنا وظالمين جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت، ولمعرفة معنىٰ الظلم ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٤).

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾:

بعد اعترافهم بظلمهم وبعد أن يقضي الله تعالىٰ في أمرهم يؤمر بهم إلىٰ النّار وما كانوا يعبدون.

﴿إِنَّكُمْ﴾: أيّها المشركون والكفرة.

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: ما تستعمل لغير العاقل (أي: الأصنام)، أو الطاغوت أو الأوثان، وما قد تستعمل لصفات من يعقل، أو للسؤال عن صفة من يعقل كأن تقول ما عيسىٰ أو عزير أو الملائكة.

ولكن عيسىٰ والعزير والملائكة هؤلاء سبقت لهم الحسنىٰ من الله وأولئك عنها مبعدون كما بينت الآية (١٠١) من نفس السورة؛ لأنّهم لم يكونوا السّبب في إضلال أو شرك أي إنسان.

﴿حَصَبُ﴾: صغار الحجارة البحص، حصب جهنم، أي: المشركون والكفرة وأوثانهم (أصنامهم)، وإبليس وأعوانه من الشّياطين والطّواغيت الكلّ حصب جهنم، ولم يقل: حطب جهنم؛ لأنّ الحصب في اللغة يشمل الحطب

وكلّ ما يلقىٰ في النّار من غيـر الحطب. وقال قتادة حصب جهنم: حطب جهنم يقذفون بها.

ولذلك لم يقل: إنّكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم، فهذه الأصنام أو الأوثان، وما يلقىٰ في النّار سوف تتحطم حتّىٰ تصبح حجارة صغيرة يقذف بها في النار.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: أنتم للتوكيد، لها: اللام لام الاختصاص، واردون: داخلـون فيها، الورود هنا يعني الدّخول، بينما الورود في الآية (٧١) من سـورة مريم لا يعني الدّخول، بل المرور عليها أو رؤيتها، والأصنام في الحقيقة لا ذنب لها، وهي لا تعقـل، والحكمة من دخولها النّار مع عبدتهـا هي لبيان كذب من اتخذها آلهة، وبيان أنّها لا تنفع ولا تضر، ولا تشفع ولا تقرّب إلىٰ الله زلفىٰ.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً﴾: أي: الأصنام آلهة حقّاً كما تزعمون.

﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾: ما دخلوها وألقوا فيها، أيْ: لحالت هذه الأصنام من دخول عابديها النّار، ولكنها آلهة باطلة زائفة لا تضر ولا تنفع عابديها.

﴿وَكُلٌّ﴾: الأصنام وعابديها.

﴿فِيهَا﴾: أيْ: في النّار.

﴿خَالِدُونَ﴾: الخلود يعني بقاء الاسـتمرار، ويبدأ من زمن دخولها إلىٰ ما لا نهاية.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: الـلام لام الاختصـاص، والضّمير يعود علىٰ المشـركين عبدة الأصنام.

﴿فِيهَا﴾: أيْ: في النّار.

﴿زَفِيرٌ﴾: ولم يذكر شهيقاً؛ لأنّ عملية التّنفس تحتاج إلىٰ شهيق يتبعه زفير، في الشّهيق يبتلع الأوكسجين، وفي الزّفير يطرح ثاني أكسيد الكربون، ويبدو أن عملية التّنفس في جهنم مقتصرة علىٰ الزّفير دون الشّهيق، فلا يدخل أوكسجين إلىٰ الرّئتين؛ مما يؤدي إلىٰ ضيق في التّنفس وشعور بالاختناق تدريجياً، ثمّ الشعور بالموت والهلاك، وهذا نوع من أنواع العذاب الكبرىٰ.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا يسمعون من شدة غليانها وحسيسها؛ أيْ: صوت النّار أو لأنّهم صمٌّ لا يسمعون، وهذا نوع آخر من العذاب، كما قال تعالىٰ في سورة الإسراء آية (٩٧): ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

[١٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إنّ: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد التّعظيم والمدح، وهناك من قال: إن في هذه الآية تعني إلا، أيْ: إلا الّذين سبقت لهم منا الحسنىٰ.

﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾: من أهل الطاعة والإيمان، وقيل: المسيح وعزير. الحسنىٰ: قيل: هي الجنة والحسنىٰ مؤنث الأحسن، أي: المبشرون بالجنة.

﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلىٰ بعد منزلتهم، عنها: عن النّار، مبعدون: أيْ: ناجون.

❖❖❖

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

ترتيبها ٢٢ | آياتها ٧٨

سورة الأنبياء [الآيات ١٠٢-١١٢]

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: لا النّافية، يسمعون حسيسها: تعود على الّذين سبقت لهم من الحسنى، حسيسها: الحسيس هو الصّوت الّذي يُحس من حركة لهبها أو اشتعالها، أو ما ينبعث منها من أصوات حينما تشتعل، وقيل: الحسيس الصّوت الّذي تسمعه من شيء يمرُّ قريباً منك.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿فِي مَا﴾: في ظرفية، ما لغير العاقل اسم موصول بمعنى الّذي.

﴿اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾: أيْ: هم فيما يشتهونه من نعيم الجنة.

﴿خَالِدُونَ﴾: ماكثون والخلود يعني: البقاء والاستمرار، ويبدأ من زمن الدّخول.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾:

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾: لا النّافية، يحزنهم: يخيفهم أو لا يعتريهم رعب أو قلق من الفزع الأكبر.

﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ الناتج عن النّفخة الثّانية النّفخ في الصور حين يقومون من قبورهم للبعث والحساب.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تستقبلهم الملائكة بالبشارة بعد خروجهم من قبورهم لكي تطمئنهم لئلا يصابوا بالخوف والفزع.

﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في الدّنيا لنيل الأجر الكبير وهو الجنة، أو يوم القيامة، أو يوم الحساب الّذي كنتم توعدون في الدّنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾:

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]؛ أي: تبديلها أن تطوىٰ، أو تطوىٰ كي تبدل.

﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾: كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، والسّماء تشمل السّموات السّبع.

﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾: أيْ: كطي الصّحيفة علىٰ ما كتب فيها (أو الصّحف علىٰ ما كتب فيها).

في ذلك اليوم نطوي السّماء كما نطوي السّجل للكتب (صحف أعمال العباد)؛ أيْ: نطوي كلاهما أو نطوي أحدهما كما نطوي الآخر، وطي السّماء تفسيره العلمي كما تشير الدراسات العلمية أن التمدُّد الكوني لن يستمر إلىٰ الأبد من دون توقف.

وسوف تحدث تغيُّرات في القوىٰ الذرية والكهرومغناطيسية وقوىٰ الجاذبية تؤدِّي إلىٰ توقف هذا التمدُّد لفترة زمنية بعدها تبدأ المجرات بالتقلص، ويحدث جذب داخلي لها، فتقترب من بعضها وتتداخل تدريجياً وتتسارع.

وهكذا ليعود الكون إلىٰ الحالة الّتي كان عليها جرماً واحداً عندما حدث الانفجار الكبير، وهذا ما تشير إليه هذه الآية.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾: أيْ: هذا الكون الّذي خلقه الله السّموات السّبع والأرضين السّبع بما فيها النّجوم والمجرات والشموس والأقمار والمذنبات وكل جرم سماوي أو أرضي، والّتي بدأت أو تشكلت

بالانفجار العظيم الّذي ذكره الله سبحانه في سورة الأنبياء آية (٣٠) لهذا الجرم الصغير الهائل في المادة والطاقة، وتحول إلى دخان، خلق الله تعالى من هذا الدخان السّموات والأرض.

وكل الأجرام ستطوى وتحول مرة أخرى إلى جرم صغير متناهٍ في الطاقة والمادة.

وبعدها سوف يُفجِّر ربنا هذا الجرم من جديد يتحوَّل إلى دخان يخلق لنا ربنا منه سماءً جديدة وأرضاً جديدة أكبرَ بكثير من السّموات السّبع والأرض الحالية، حتّى تتسع للبلايين البشرية الّتي خلقها الله سبحانه من زمن آدم إلى يوم القيامة.

وسنبعث من هذه الأرض الجديدة الّتي فيها كلّ ذرات الأرض الحالية وبقايا البشر، أيْ: عجب الذنب الخاص بكل مخلوق والحاوي على صفاته الوراثية يبعث للحساب والجزاء.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: إنا للتعظيم، كنا فاعلين، أيْ: نُعيد الخلق بالبعث كما بدأنا أوّل مرة، فاعلين: قادرين على فعل ذلك ولا يعجزنا شيء.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾: إما زبور داود أو الزّبور يُراد به جنس الكتاب، ويطلق على كلّ الكتب المنزلة مثل الزّبور والتّوراة والإنجيل والقرآن. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: أم الكتاب أو اللوح المحفوظ أو القرآن الكريم، أيْ: كتبنا في الكتب المنزلة على الأنبياء أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون.

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾: أرض الجنة؛ لقوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤]، أو الأرض العادية يرثها عبادي الصّالحون بالاستخلاف والتّمكين في الدّنيا أو كلاهما معاً.

﴿عِبَادِىَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٨٦) من سورة البقرة للبيان، ومعرفة الفرق بين عبيد عبادي عباد.

﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٥) من نفس السّورة.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾: إنّ: للتوكيد، في ظرفية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم يشير إلىٰ القرآن الكريم.

﴿لَبَلَٰغًا﴾: اللام للتوكيد، والتّعليل. لبلاغاً: البلاغ له معنيان: الكفاية والإيصال؛ أيْ: هذا القرآن: كفاية لقوم عابدين أو ما جاء في هذا القرآن هو البلاغ الكافي الّذي يجب أن يصل ويعلمه القوم العابدون.

لقوم: اللام لام الاختصاص.

﴿عَٰبِدِينَ﴾: من العبادة وهي طاعة العابد للمعبود فيما أمر ونهىٰ، ولها منهج افعل أو لا تفعل والعبادة لها جزاء، ولا تكون إلا للخالق، ولا بُدَّ معها من معرفة المعبود. عابدين: جمع عابد؛ أيْ: طائعين. ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٣) للبيان المفصل لمعنىٰ العبادة.

أو في هذه القرآن ما فيه الكفاية من البلاغ، أيْ: من الشّرائع والأحكام والأوامر والنّواهي والأخبار والمواعظ المهمة للذين يريدون عبادة ربهم والوصول إلىٰ الغاية وهي رضوان الله وجنته.

[١٠٧] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: ما النّافية، أرسلناك: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لبيان معنى أرسلناك وأرسلناك تدل على التشريف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: الرحمة: تكون عامة للناس كافة، أو الرأفة خاصة بالمؤمنين رحمة للعالمين، اللام لام الاختصاص، العالمين: الإنس والجن والملائكة والحيوان والنّبات والجماد. وتعريف الرحمة: كل ما يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، وتعني: الوقاية؛ فرسول الله ﷺ رحمة مرسلة من الرحمن الرحيم للعالمين.

[١٠٨] ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾:

﴿قُلۡ إِنَّمَا﴾: قل لهم يا محمّد، إنما: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: من الوحي، ارجع إلى الآية (١٦٣) من سورة النّساء.

﴿أَنَّمَآ﴾: للحصر والقصر.

﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾: معبودكم إله واحد لا إله إلا هو لا شريك له.

﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾: ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: للاستفهام يفيد الأمرَ والحثَّ، أيْ: أسلموا، أو ألا يكفي هذا القرآن وإرسال الرّسول ﷺ إليكم لتُسلموا.

[١٠٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: للتفصيل، إن شرطية تفيد الشّك، أو احتمال الحدوث.

﴿تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا وانصرفوا عنك ولم يؤمنوا بك ويصدقوك.

﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾: آذنتكم من أذن بمعنىٰ أعلمَ، وقد كثر استعمال ذلك في الإنذار، وأصل الإعلام هو الإذن بالكلام، آذنتكم، أيْ: أعلمتكم.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: أيْ: صرت أنا وأنتم علىٰ سواء، أي: استوينا في العلم بذلك أو أخبرتكم جميعاً، ولم أخصَّ منكم أحداً دون الآخر، فأنتم سواء في الإعلام، أو أخبرتكم علىٰ سواء وعلىٰ السّامع أن يخبر الغائب.

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾: إن نافية، وأقوىٰ من النّفي من حرف ما، أيْ: وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون؛ أي: السّاعة أو القيامة أو العذاب؛ والدراية أخص من العلم، وتكون بعد الجهل، وفيها معنىٰ الإخبار.

﴿أَقَرِيبٌ أَم﴾: الهمزة للاستفهام والتّحذير، أم: المتصلة.

﴿بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: أيْ: ما أدري ولا أعلم ما توعدون به من العذاب أو النّصر سيكون قريباً (مثل النّصر يوم بدر) أم بعيداً يوم القيامة والحشر.

[١١٠] ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾:

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: إنّه للتوكيد، يعلم الجهر من القول: الخطاب هنا موجَّه للجميع يعلم الجهر من القول الصّادر من كلّ واحد وفي وقت واحد، وإذا تكلَّم الجميع بصوت عالٍ، وفي وقت واحد، فإنّه يعلم ما يجهر به كلّ فرد وكلّ كلمة تقال في نفس الوقت، ومن هو القائل، ولو تكلم كل أهل الأرض لميز من القائل، وما قاله فلا تختلط عليه الأصوات سواء كانت سراً وجهراً؛ فعلم الجهر أعظم من علم السّر وأبلغ، وليس كما يظن البعض بالعكس.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾: الكتمان غير الإخفاء، كتم الشّيء يعني الشّيء ظاهر الوضوح، ولكن صاحبه يحاول كتمه والكتمان يتعلَّق عادة بشيء مادي، أما الإخفاء: فقد يشمل شيئاً معنوياً أو مادياً مثل النّفاق يحاول إخفاءَه.

[١١١] ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: نافية بمعنىٰ ما، أدري أعلم أو أدري بكلّ أدوات الإدراك من السّمع والبصر والشّم والحس.

﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: وما أدري لعل الإمهال وبقاءكم دون عذاب وعدم قيام السّاعة عليكم هو فتنةٌ لكم واختبار واستدراج وزيادة في الفتنة، لكم خاصة، ليرىٰ كيف تصنعون.

﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: الحين: زمن غير محدود قد يطول أو يقصر؛ أيْ: تمتع إلىٰ أجل مقدر قدره الله بزمن قد يطول أو يقصر، وهو متاع لن يدوم؛ لأنّه محدود المدة، إلىٰ حين: ولم يقل: حتّىٰ حين، وإنما إلىٰ حين إلىٰ تفيد عموم الغايات، أما حتّىٰ فتفيد نهاية الغاية.

[١١٢] ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: أيْ: قال رسول الله ﷺ، كما قال الأنبياء من قبله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾: أي: افصل بيني وبين المشركين أو الكفار، أو أظهر من هو علىٰ الحق، ومن هو علىٰ الباطل، بالحق: الباء للإلصاق والمصاحبة. وربنا الرّحمن.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: علىٰ: تفيد الاستعلاء والمشقة. ما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي؛ تشمل العاقل وغير العاقل، وتشمل كل ما يصفون.

﴿تَصِفُونَ﴾: أنّ لله ولداً أو بناتٍ أو شريكاً، وأنّ القرآن سحرٌ وشعرٌ وأساطيرُ الأولين، والرّسول مجنونٌ وساحرٌ وشاعرٌ.

❖ ❖ ❖

الحزب ٣٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ
﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى
رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ
وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٢٢)، وترتيبها في النّزول (١٠٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: يا أداة نداء للبعيد، الهاء للتنبيه، النّاس: مشتقة من النّوس، الحركة الدّائمة، والنّاس تشمل الإنس والجن، وغالباً يأتي معها كلمة الرّب؛ لأنّ الرّب هو الخالق والمربي والمدبر والرّازق.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: بامتثال طاعة أوامره واجتناب نواهيه، اجعلوا بينكم وبين سخط وغضب القهار والجبار وقايةً. ثمّ يخبر سبحانه عن بعض أهوال السّاعة.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾: إنّ حرف مشبه بالفعل يفيد التّوكيد، زلزلة السّاعة، السّاعة؛ أي: ساعة تهدم النّظام الكوني الحالي، وهي الزّلزلة المذكورة في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، وزلزلة: مصدر مشتق من الفعل: زلزل؛ أي: زل زل: إذا زل في الطين، أو وقع من مكانه فهناك زل الأولى، وزل الثّانية فهناك وقوع أوّل ووقوع ثانٍ، أو زلزلتان: الزلة الثانية ليست استمراراً للأولى وإنما زلة جديدة؛ أي: هناك زلزلة متكررة، ولكن باتجاه معاكس كما يحدث في حوادث الاصطدام: يتحرك الجسم في السّيارة بسرعة السّيارة، فعندما يحاول السّائق

إيقاف السّيارة فجأة يندفع جسمه ويرتطم بزجاج مقدمة السّيارة، والزلزلة رغم تكررها فهي ليست على شدة أو نموذج واحد.

والزّلزلة تحدث نتيجة اصطدام الألواح القارية المشكلة لقشرة الأرض اليابسة، وتسمّى: الصفائح القارية، وهي مشكلة من (١٢) لوحاً بينها شقوق، فحينما تتحرك هذه الألواح وتصطدم ببعضها تؤدي إلى الزّلازل والبراكين والدّمار الهائل إذا كانت شديدة، وهذا ما سيحدث عند قيام الساعة.

﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾: شيء مخيف مروع، ارجع إلى سورة الزّلزلة (١) لمزيد من البيان.

وسمّيت بزلزلة السّاعة؛ لأنّها تحدث بعد النّفخة الأولى (نفخة الفزع)، أو حين تبدأ الساعة يومها.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: يعني زلزلة الساعة، والرّؤية هنا رؤية بصرية أو رؤية قلبية، رؤية بصرية لمن قامت عليه السّاعة، ورؤية قلبية لمن عاش قبل حدوثها.

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: أي: بسبب تلك الزّلزلة وأهوال ذلك اليوم (تذهل) من الذّهول: وهو الغفلة عن الشّيء مع الدّهشة، ومن شدة الهول تنسى المرضعة أن ترضع وليدها، أو تهمله وتتركه بلا إرضاع، وهو في حضنها، والمرضعة هي الّتي تقوم بعملية الإرضاع أو في حالة الإرضاع وطفلها يرضع من ثديها الآن، ولم يقل تذهل كل مرضع عما أرضعت. المرضع فهي القادرة على الإرضاع وليست ترضع الآن.

مثــل: الحائض والحائضة. الحائضة: هي الآن في دورتها، والحائض: من بلغت سن المحيض وهي ليست في الحيض الآن.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: تجهض؛ أي: تسـقط المرأة الحامل جنينهـا قبل تمام الحمل وزمن الولادة من شـدة هول ذلك اليـوم، وفي هاتين العمليتيـن: الإرضاع والحمل، تكون عاطفة الأم على أشـدها، فإذا حدث منها ذلك، فهو دليل على شدة هول ذلك اليوم وعظمته.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾: ترى النّاس يومئذٍ كأنهم سكارى، أو يراهم الرّائي كأنّهم سـكارى، جمع: سـكران، سـكارى من الخوف والفزع وليس هم حقيقة سـكارى من شرب الخمر، ولكن من شـدة أهوال ذلك اليوم والخوف والفزع والرّعب تراهم يتمايلون مضطربين في توازنهم كالسّكارى، وما هم بسكارى: ما النّافية، هم: تفيد التّوكيد، بسكارى: الباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: ولكن: للاستدراك يفيد التّوكيد، عذاب الله شديد.

[٣] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾:

مناسبة هذه الآية؛ أي: رغم أنّ السّاعة حق، وما ذكرنا في الآيتين السّابقتين من بعض أهوالها، ترى بعض النّاس لا يصدق ولا يؤمن بالسّاعة والبعث ويجادل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: من هنا: بعضية؛ أي: بعض النّاس.

﴿مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾: مـن ابتدائية، يجادل: من الجـدل وهو الحوار الّذي يحدث فيه اختلاف في الآراء، ويكون لدفع شـبهة أو إثبات حق أو إظهار حجة كالنّضر بن الحارث، كما قاله الطبري، أو الوليد بن المغيرة أو غيره.

يجادل في الله؛ أي: في آيات الله، أو أن الملائكة بنات الله، أو القرآن، أو في البعث ووحدانية الله تعالىٰ، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بدون علم: بديهي أو مكتسب القائم علىٰ النظر والاستدلال؛ أي: يجادل بالباطل أو بجهل.

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾: ويتبع في جداله وأحواله وحياته وسوسة الشّيطان المريد؛ أي: العاقّ الخارج عن طاعة الله تعالىٰ، أو العاصي المتمرد العاتي، فهو ماردٌ أو مريدٌ أو متمردٌ، كقوله تعالىٰ: صرح ممرد؛ أي: أملس، وشجرة مرداء؛ أي: تساقط ورقها أو تناثر، فهي ملساء. ووصف الشّيطان بذلك؛ لكونه ينشر الشّر والفساد أو يصعب إمساكه، ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١١٧) لبيان معنىٰ مريد. وارجع إلىٰ الآية (٨) لمقارنة الآيتين (٣، ٨) من نفس السورة.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: أي: قُضي، والكتابة أشد من الحكم أو القضاء، وجاء بصيغة المبني للمجهول، أي: كتب علىٰ الشّيطان أنّه يُضلُّ من اتبعه، أي: أُعطي له القدرة علىٰ فعل ذلك، والكاتب هو الله سبحانه، وجاءت بصيغة المبني للمجهول.

﴿عَلَيْهِ﴾: علىٰ الشّيطان، سواء كان من شياطين الإنس أو الجن.

﴿أَنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾: أي: اتبعه وجعله ولياً، من: استغراقية؛ أي: كلّ واحد اتبعه، الهاء تعود علىٰ الشّيطان؛ أي: من اتبع الشّيطان واتخذه ولياً؛ أي: ناصراً معيناً.

﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: هاء الضّمير تعود علىٰ الشّيطان المريد، يضله: يوقعه في الضّلال، يضله عن طريق الهداية والحق والخير

والصّراط المستقيم؛ أي: الدّين، ويهديه إلىٰ عذاب السّعير: يهديه إلىٰ النّار المستعرة نار جهنم، هذا وعيد وتهديد لكلّ من اتبع الشّيطان واتخذه ولياً.

[٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من السّورة نفسها.

﴿إِن ﴾: شرطية تفيد الشّك أو الاحتمال، (كنتم) الآن أو في أي زمن.

﴿كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾: الرّيب: الشّك ولكن الرّيب أقوىٰ من الشّك، فالشّك هو: التّردد بين النّفي والإثبات، والرّيب: الشّك القوي، والتّهمة، ويتهمون أنّ القرآن أساطير الأولين وأنّه مفترىٰ. من البعث: في ريب من قدرة الله علىٰ إعادة الخلق وإحياء الموتىٰ وبعثهم من جديد، فاذكروا: كيف خلقناكم.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾: أي: من آدم وآدم من تراب في الأصل، ثمّ خلقناهم من ذرية آدم: بالتّزاوج والتّناسل، والذي يبدأ من النطفة (الحيوان المنوي والبويضة) وكلاهما مركب من الماء ومواد عضوية جاءت من الغذاء، والغذاء من النّبات، والنّبات أصله الماء والتّراب، وكثير من المواد المعدنية الموجودة في تركيب الجسم مثل: الصوديوم والحديد والكالسيوم والفسفور وغيرها، منشؤها من النبات أو الحيوان ومنشؤهم التّربة والماء. ارجع إلىٰ سورة الروم آية (٢٠) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: نطفة الرّجل (الحيوان المنوي) ونطفة المرأة (البويضة)، ومرحلة النّطفة تستغرق الأسبوع الأوّل في تشكلها.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: علقة حين تعلق النّطفة بجدار الرّحم، والعلقة تستغرق في تشكلها وتطورها الأسبوعين الثّاني والثّالث، وتتحول إلى مضغة.

﴿مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: والمضغة: قطعة تشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان، وتبدأ في الأسبوع الرّابع وتستمر إلى أربعين يوماً، عندها تبدأ مرحلة العظام في بداية الأسبوع السّابع، وأمّا نفخ الرّوح فما توصل إليه العلم الجنيني وأيدته الأحاديث الصّحيحة يحصل في الليلة (٤٢) من بدء الحمل كما ورد في الحديث الّذي رواه مسلم عن حذيفة بن أسيد قال ﷺ: إذا بلغت النّطفة اثنتين وأربعين ليلة، أرسل إليها الملك فيأمره الله جل وعلا بتصويرها، ثمّ يقول: أي ربي، أذكر أم أنثى؟ فيأمر الله ما شاء ويكتب الملك، ثمّ يقول: أي ربي، شقي أم سعيد؟ فيأمر الله ما شاء... إلى نهاية الحديث.

أمّا بالنسبة إلى المضغة المخلّقة وغير المخلّقة: فالمخلّقة هي الّتي تشارك في تكوين الجنين، وغير المخلّقة: هي الّتي تتحول إلى خلايا جذعية تتفرق في أنسجة الجنين في المشيمة أو الحبل السّري أو السّائل الأمينوسي، وغيرها من الأنسجة مثل نخاع العظم، وتساعد على التئام الجروح وترميم الأنسجة.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: اللام للتوكيد، نبين لكم: كيف تتم عملية الخلق مرحلة بعد مرحلة.

﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: نُبقي في الأرحام المضغة

الّتـي قُدّر لَها أن تكون جنينـاً ذكراً أو أنثىٰ حتّىٰ يكتمل إلـىٰ أن يولد، إلىٰ أجل مسمىٰ: حين ولادته، أو نسقطه ميتاً قبل ولادته.

﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾: ثـمّ تفيد التّرتيب والتّراخي فـي الزّمن، نخرجكم: بصيغـة الجمع، وطفلاً بصيغة المفرد ولم يقل أطفالاً؛ لأنّ الطّفل أو الأطفال في هذه المرحلة لهم الصّفات نفسـها، فذِكر الواحد يغني عن ذكر الجمع، وطفلاً: اسم جنس يشمل المفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخـي في الزّمن، اللام: لام التّعليل والتّوكيد، فهي إضمار تقديره: ثمّ نعمّركم لتبلغوا أشدكم، أشدكم: كمال العقل والقوة، وقيل: هو ما بين الثّلاثين إلىٰ الأربعين سنة أو (١٥-٣٠).

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: قبل بلوغ الأشد.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾: أردؤه حيـن تظهـر عليه علامات الخرف والضّعف والهرم ويعود مثل زمن الطّفولة.

﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾: يفقـد الذاكرة للأشـياء القريبة؛ أي: ينسـىٰ الأمور الّتي جرت معه منذ سـاعات أو زمن قريب، ولا يستطيع التّعلم؛ لكونه ينسـىٰ ما يتعلّمه بنفسـه أو من الآخرين، ويصبح غير قـادر علىٰ الحفظ والإحصـاء وغير قابل للتّفكر والتّدبر، ولا بد من مقارنة هذه الآية مع قوله تعالىٰ في سورة النحل آية (٧٠) ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾. ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٧٠) للمقارنة. وانتبه إلىٰ كلمة (لكيلا) في هذه الآية، وفي آيـة النحل (لكي لا): فهو فصل (لكي) عن (لا)؛ لأن آية النحل تتحدث عن فقد الذاكرة للأشـياء القريبة والبعيدة فهي تشـمل أمرين لذلك فصل بينهما وجاءت

(لكي) مفصولة عن (لا)، بينما في سورة الحج الآية تتحدث عن أمر واحد هو فقد الذاكرة للأشياء القريبة فقط، ولذلك جاءت (لكيلا) متصلة أو كلمة واحدة.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾: هذا برهان آخر على البعث، وترى الأرض هامدة: قبل نزول الماء غير مهتزة غير متحركة، كأنّها جافة يابسة؛ لعدم وجود الماء، فإذا أنزلنا الماء؛ أي: ماء المطر الّذي بدأ من تبخر مياه البحار والمحيطات واليابسة وغيرها ويقدر بـ (٦٠٠،٠٠٠ كم مكعب)، سنوياً، تحمله الرّياح فتشكل السّحب، وبعد تلقيح هذه السّحب برياح تحمل هباءات الغبار، تتشكل السّحب الركامية الّتي تنزل المطر. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨) وسورة يس آية (٣٣) لمزيد من البيان.

﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: نزول الماء يؤدي إلى إثارة المعادن المختلفة المكونة لطبقة التّربة من الصّلصال، والحديد والألمنيوم والمغنيسيوم والكالسيوم والصّوديوم الّتي تحمل على سطحها شحنات كهربائية مختلفة، ونزول الماء واتحاده بهذه العناصر المعدنية يؤدي إلى عملية التأيّن: تأيّن الشوارد، مما يؤدي إلى دخول الماء في تلك العناصر، مما يؤدي إلى انتفاخها أو زيادة سمكها وحجمها، هذه المعادن قد تتشكل على شكل صفائح مترابطة منها بأربطة هيدروجينة تمنع دخول الماء إليها بحسب التّربة. وللتربة أنواع مختلفة: (التّربة الصلصالية والطّمية والرّملية والحصية) منها ما ينتفخ ويربو ومنها ما لا يتأثر.

ولا ننسى مكونات التّربة من المواد العضوية المتحللة والبكتريا والطّحالب والفطريات، الّتي تتفاعل كذلك مع الماء، وحين تربو التّربة فهي ترقُّ رقة شديدة وتنشقُّ؛ لتصبح طريقاً سهلاً للسويقة الخارجة من البذرة والجذور الّتي تمتد إلى الأسفل؛ لتمتص الماء وبقية المعادن الهامة في تشكيل الحبوب الأخرى أو

الثّمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٩) من سورة فصلت ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾، وفي آية (٥) من سورة الحج ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ما هو الفرق بينهما؟ هامدة: تعني: خمدت أو سكنت وهي كالميتة، وأما خشعت تعني: المرحلة التي تلي الهامدة، أو تمثل نوع آخر من أنواع التربة.

﴿زَوْجٍ﴾: صنف من أصناف الزروع والثمار أو الأزهار.

﴿بَهِيجٍ﴾: حسن، والبهجة: الحسن، وأنبتت من كلّ زوج بهيج: الّذي يدخل البهجة على النّفوس والسّرور؛ لما فيه من الزّينة.

ومقارنة بالزّوج الكريم: كما ورد في سورة لقمان آية (١٠): ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ الكريم: البالغ في الجودة والنّفع، وكثير الخيرات أو كثير المنفعة، فهذه الآية جاءت في سياق الأزهار والورود والألوان والبهجة التي تحدثها في نفس الإنسان، وآية لقمان جاءت في سياق النفع، وكثرة الخيرات والفائدة، كلٌّ له صفاته زوج كريم وزوج بهيج.

❖ ❖ ❖

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى
ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ۚ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

سورة الحج [الآيات ٦ - ١٥]

[٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: ذلك: اسم إشارة لخلق الإنسان والمراحل الّتي يمر بها وإحياء الأرض، ذلك: لتعلموا أنّ الله هو الحق؛ أي: الدّائم الصّفات الّذي لا يتغير ولا يتبدل. قوله الحق وما أنزله على عبده هو الحق، وربوبيته حق وأسماؤه وصفاته حق، ووعده ووعيده حق، وكل شيء ينسب إليه حق، ومن أسمائه الحسنى الحق؛ أي: الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود كامل الصّفات لا وجود لشيء إلا به.

﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: وأنّه: تفيد التّوكيد، كما أحيا الأرض الهامدة فهو قادر على إحياء كلّ ميت. ارجع إلى سورة الروم آية (١٩) لبيان كيف يحي الموتى.

﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: وأنّه: تفيد التّوكيد، على كلّ شيء قدير: ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) للبيان.

[٧] ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾:

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: وأنّ: للتوكيد، واللام في لا ريب: لزيادة التّوكيد، السّاعة: لحظة أو ساعة تهدّم النّظام الكوني الحالي. آتية: ارجع إلى سورة طه الآية (١٥) للبيان والفرق بين أتية، لآتية، آتية لا ريب فيها. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) للبيان، ومقارنة الآيات المتشابهة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾: وأنّ: للتوكيد، يبعث من في القبور:

للحساب والفصل بين النّاس، والبعث يبدأ بالنّشر (إحياء الموتىٰ) ثمّ الإخراج من القبور والسَّوق والجمع في أرض المحشر، من في القبور: من استغراقية تشمل الكلّ كل ميت، في: ظرفية؛ أي: القبور، والبعث فيه معنىٰ الحث والإثارة للقيام والخروج من القبور.

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾:

من: ابتدائية بعضية للعاقل وتشمل المفرد و الجمع. يجادل: ارجع إلىٰ الآية (٣) للبيان.

هذه الآية جاءت في سياق المتبوعين رؤساء الشّرك والضّلال الذين يجادلون بغير علم ولا هدىٰ ولا كتاب منير بغير علم مكتسب أو بديهي ولا هدىٰ ولا كتاب أو وحي من الله، بينما الآية (٣١) جاءت في سياق الجهال المقلدين الّذين يتبعون الشّيطان الذين يجادلون في آيات الله بغير علم: بديهي، ولا هدىٰ: ولا استدلال عقلي، ولا كتاب منير: ولا وحي من الله، ويتبعون كل شيطان مريد، فهؤلاء أقل ضلالاً من هؤلاء المذكورين في الآية (٨)، وتكرار (لا): يفيد التوكيد، وفصل الهدىٰ عن كتاب منير أو كلاهما معاً؛ أي: لا هدىٰ ولا كتاب منير، ولا كلاهما معاً، وكتاب منير: كتاب نكرة أي كتاب من الكتب السماوية.

[٩] ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾:

العِطف: جانب اليمين أو جانب الشّمال، فهما عطفا الرّجل، وهو القسم أو الجزء من البدن الّذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن الاستماع إلىٰ الحق.

﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾: لاوي جانبه، كناية عن التّكبر والإعراض وعدم الوقوف

والسّماع إلى الحق والقرآن والموعظة، وقد بيّن لنا القرآن كيف يتدرج المعرض عن الحق في تصرفاته، أو من يحاول الإعراض وعدم الاستماع إلى آيات الله؛ فهو أوّلاً يبدأ بالرّأس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ ثمّ الجانب: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾، ثمّ دبره أو عقبيه أو ظهره كقوله تعالى: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان:٧].

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ﴾: إذن هو يجادل بالباطل ليضل، اللام لام التّعليل؛ أي: الغرض من جداله: الإضلال وصرف النّاس عن سبيل الله؛ أي: دين الله تعالى وإن لم يعترف بذلك. عن: تفيد المجاوزة أو الابتعاد.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: له: اللام لام الاستحقاق، في الدّنيا الخزي والهوان والذّلة والفضيحة، وجزاؤه في الآخرة يوم القيامة عذاب الحريق.

[١٠] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾:

يقال له: يوم القيامة.

﴿ذَلِكَ﴾: يعني الخزي في الدّنيا وعذاب الحريق في الآخرة.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾: بما: اقترفت يداك، ذلك: اسم إشارة للبعد، بما: الباء باء الإلصاق، أو السّببية، بما قدمت يداك من عمل السّوء والمعاصي والكفر بما قدمت في الدّنيا، وإسناد جميع الأعمال إلى اليد؛ نظراً لأنّها هي الجارحة الّتي يزاول العبد بها أكثر الأعمال، وبما قدمت يداك، مع أنّ الكفر ليس من عمل اليد وإنما هو فعل القلب واللسان، ففي هذا توبيخ وتقريع وإهانة لهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: وأنّ للتوكيد، بظلّام: صيغة مبالغة من: ظالم؛ تعني: لا يظلم هذا ولا يظلم ذاك، والعبيد عددهم كبير؛ فإذا كان لا يظلم عبيده

(أي عبد) فهو ليس بظلام، ونفي المبالغة كناية عن نفي أصله، فلو كان ظلاماً لكان ظالماً؛ فهو نفي كلا الأمرين فهو ليس بظالم لأيّ عبد ولا بظلّام للعبيد، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس:٤٤]. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٨٢) لمزيد من البيان. وقد وردت هذه الآية أيضاً في سورة الأنفال آية (٥١)، وسورة الحج آية (١٠)، وسورة فصلت (٤٦).

[١١] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: الواو استئنافية، (من) الأولىٰ ابتدائية بعضية.

﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: (من) الثّانية اسم موصول بمعنىٰ الذي.

يعبد الله علىٰ حرف: الحرف: أي الحافة، اسم لطرف الشّيء؛ أي: يقف علىٰ طرف الحافة مضطرباً غير ثابت، وهذا حال المنافق.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال. أصابه خير: مثل غنيمة أو مال أو عافية أو منفعة دنيوية.

﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: يثبت علىٰ دينه، وسكنت نفسه إلىٰ الإسلام ورضي به.

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: فتنة: شر، أو مكروه في أهله أو ماله، أو هزيمة أو خسارة أو مرض بسبب إسلامه.

﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: ارتدّ عن دينه كما يفعل المنافق ورجع إلىٰ الكفر، أو أصبح عاصياً أو توقف عن عبادة ربه، خسر الدّنيا والآخرة فلا حظّ له في الدّنيا ولا في الآخرة خسر كلاهما.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: ذلك اسم إشارة، واللام للبعد، الخسران المبين: الواضح لكلّ فرد، وكلّ فرد يقرّ ويعترف بأنّه خسران، خسران ظاهر لا يحتاج إلىٰ شرح أو تبيان.

وهناك فرق بين الخُسر وخساراً وخسران:

١ - الخُسر: يستعمل لعموم الخسارة أو مطلق الخسارة.

٢ - خساراً: الزّيادة في الخسارة كقوله تعالىٰ في سورة فاطر آية (٣٩): ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾. وكقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح:٢١].

٣ - الخسران: هو أكبر الخسارة وأعظمها وأشدها.

انتبه إلىٰ قوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ ولم يقل فإن أصاب خيراً؛ أي: الخير هو الّذي أصابه وجاء يبحث عنه، فالرّزق يبحث عن صاحبه، بقدر ما يبحث صاحب الرّزق عن رزقه.

وقال: فإن أصابه خير، وإن أصابته فتنة، ولم يقل شر (مقابل الخير) الفتنة قد تكون بالخير أو بالشر، فإذا فاز كانت الفتنة خيراً له.

[١٢] ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾:

﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تعود علىٰ الّذي يعبد الله علىٰ حرف، يدعو من دون الله: أي: يعبد غير الله، أو سوىٰ الله، صنماً أو غير صنم؛ ليشفع له أو يقرّبه عند الله زلفىٰ.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾: ما اسم لغير العاقل، لا النّافية، يضره؛ أي: ما لا يضره إن لم يعبده.

﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾: إن عبده؛ أي: سواء عبده أو لم يعبده النّتيجة واحدة لا نفع ولا ضر.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: ذلك اسم إشارة، واللام للبعد.

هو الضّلال البعيد: هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد، الضّلال البعيد: الضّلال البعيد جداً عن الحق والصّواب، أو الموغل في الضّلال، المستحيل الرّجوع من بعده إلىٰ الحق. وقدّم الضّر علىٰ النّفع في هذه الآية؛ لأنّ درء المفسدة مقدم علىٰ جلب المصلحة.

[١٣] ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾:

﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾: يدعو: أي: يعبد الأصنام، لمن: اللام قيل زائدة، وقيل: للابتداء وللتوكيد، مَن: تستعمل للعاقل، وتنزل منزلة غير العاقل بعكس الذي (فقط للعاقل). ضرّه أقرب من نفعه: أي: الضّرر النّاتج عن عبادة الأصنام، أو غير الله أقرب؛ أي: أشد أو أقوىٰ من النّفع الحاصل من عبادتها.

إذن هناك نفع إلىٰ حد ما في هذه الآية، بينما في الآية السّابقة نفىٰ أن يكون لها نفعٌ أبداً، فهل هناك تناقض في الآيتين؟ الجواب: لا، أو كيف نفسر النّفع الحاصل من عبادة الأصنام، بأنّ للأصنام سدنةً وهم الواسطة بين الأصنام وعُبّادها كونهم سدنة ومسؤولين عن القيام بخدمتها ونظافتها، فهم يأخذون الأموال الطّائلة والتّبرعات الّتي تحصل في أماكن الأصنام وتعطىٰ للفقراء والأيتام، ولكن هذا النّفع المادي مقصور علىٰ الحياة الدّنيا ثمّ يتركونه ويزول وراءهم، ومدته قصيرة أصلاً. يدعو لمن ضره في الدّنيا: قبل الآخرة، أقرب من نفعه؛ أي: ضرره في الآخرة محقق متيقن منه. فحين يموت أحدهم لا إيمان لهم،

ولا عمل صالح؛ لأن الشـرك يحبط أعمالهم؛ لذلك ضره في الآخرة أشد بكثير من الفائدة الدنيوية.

﴿لَبِئْسَ﴾: اللام للتأكيد، بئس: فعل لإنشـاء الذم؛ أي: ساء وقبح المولىٰ والعشير تعود علىٰ الأصنام.

﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾: الّذي يليك ويقـرب منك: الّذي ينفعك ويسـاعدك ويُعينك وقت الشّـدة، وينصرك إذا احتجت له، والمولـىٰ هنا هي: الأصنام، فبئس وقبح ذلك المولىٰ؛ لأنّها لا تنصرهم ولا تستجيب لهم.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: العشـير: الصّاحب، وهو المعاشـر الّذي تأنس به أو الخليل، وهي الأصنام، وقد تطلق علىٰ القبيلة أو القريب.

فهناك فرق بين بئـس المولىٰ (المعين) وبئس العشـير (الصاحب)؛ لأنّ الصاحـب قد لا يكون معيناً إذا طلب منه المسـاعدة، أو المعين (المولىٰ) قد لا يكون صاحباً لذلك فرّق بينهما فهي ليست بصاحب ولا معين (ولي) ولا كلاهما.

[١٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ﴾: أي: آمنـوا باللـه وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر والقدر خيره وشـره إيمـان التوحيد والإخلاص والمقرون بالأعمال الصالحة العبادات وكل شعب الإيمان.

﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ﴾: الجنـات: عدن، والفـردوس، وغيرها تنبع من تحتها الأنهار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: إنّ للتوكيد، يفعل ما يريد؛ الإرادة نوعان: إرادة إلزام مثل إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، النوع الثاني: إرادة غير ملزمة مثل هو يريد من عباده أن يعبدوه فمنهم من يعبده ومنهم من يكفر؛ فهذه إرادة غير ملزمة، أما المشيئة فهي مُلزمة.

كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ المشيئة تقتضي الوجوب؛ لأنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٢٧) لمزيد من البيان. وارجع إلىٰ الآية (٢٣) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾:

يخبر الله سبحانه أنّه ناصرٌ رسوله ﷺ في الدّنيا والآخرة، والكلام موجَّه إلىٰ الكفار الحَسَدة لرسول الله ﷺ ومن كان يظن أن الله لن ينصر رسوله ﷺ وينصر دينه.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن﴾: من شرطية تفيد المبادرة مع التأكيد، ومن تعني: من الكفرة والحسدة. يظن: الظن يعني: يتصور أو يعتقد، أن: للتوكيد، لن: للنفي. والظن: هو الاحتمال الراجح. أن: للتوكيد. لن: تنفي القريب والبعيد.

﴿يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ﴾: اللام لام الأمر، لن ينصر الله رسوله بكل أنواع النّصر بالقوة والغلبة والحجة والبرهان.

﴿بِسَبَبٍ﴾: السبب في اللغة: هو الحبل؛ بحبل؛ أي: يشدد حبلاً. ارجع إلىٰ سورة الكهف آية (٨٤) للبيان المفصل في معنىٰ السبب.

﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: إلىٰ سقف بيته، وتعريف السّماء: هي كلّ ما علاك.

﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري، واللام للتوكيد، ثمّ ليختنق به، وأصله

ليقطع تنفسه؛ أي: دخول الهواء إلىٰ رئتيه، كناية عن الاختناق، أي ليموت مختنقاً بحبله.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾: هل: استفهام للتقرير وإنكاري، ليقروا هم بأنفسهم أنّ غيظهم سيظل كما هو حتّىٰ تزهق أنفسهم وهم كافرون. الكيد: هو التّدبير الخفي لإيقاع الضّرر بالغير، سواء علم الخصم أو لم يعلم، والكيد أقوىٰ من المكر. هل يذهبن كيده غيظه. الغيظ: هو الغم أو هيجان فيه نوع من الغضب والحزن وسمىٰ فعله كيداً حيث لم يقدر علىٰ القيام بغيره، أو علىٰ سبيل الاستهزاء؛ أي: كاد بنفسه. ارجع إلىٰ سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان. وسواء فعل ذلك أمام النّاس أو في خلوة، هل يُريحه ذلك؟ فإن يُريحه فلمَ لا يفعله وينتهي الأمر؛ لأنّ الله ناصرٌ رسله لا محالة، يذهبن: النّون للتوكيد.

وهناك من قال: أيربط نفسه بحبل إلىٰ سقف البيت، ثم يقطع الحبل فيسقط علىٰ الأرض، فإما أن يموت أو تكسر عظامه وأضلاعه، وبعدها ينظر هل فعله هذا غيّر أي شيء من غيظه؟ لأن الله سينصر رسوله وعباده المؤمنين.

ولنعلم أن هذه الآية تحمل معنىٰ التحدي للكفرة، وأعداء الله أن يمنعوا نصرة الله لرسوله وللمؤمنين.

❖ ❖ ❖

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟
أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

سجدة ثم الحزب ٣٤

سورة الحج [الآيات ١٦ - ٢٣]

[١٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: كذلك: أي: مثل ذلك، كما بيّنا بشكل واضح في الآية السّابقة قدرة الله عز وجل على نصرة رسوله محمّد ﷺ في الدّنيا والآخرة، كذلك أنزلناه؛ أي: القرآن آيات مبينات واضحات تحمل الهدى والصلاح لمن يريد بإذن الله.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾: وأنّ للتوكيد، الله يهدي من: ابتدائية استغراقية، من يختار الهداية لنفسه ويسأل الله العون والثّبات.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: المسلمين أتباع محمّد ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: اليهود أتباع موسى عليه السلام.

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: الّذين عبدوا أو عَبَدة الكواكب والنّجوم، وقيل: عبّاد الملائكة، أو قوم كانوا على دين نوح وخرجوا عنه. وصبأ يصبأ: خرج من دين إلى دين. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: أتباع عيسى عليه السلام.

﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾: عَبَدة النّار.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: عَبَدة الأصنام والأوثان وكلّ من أشرك بالله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: إنّ للتوكيد، يفصل بينهم: يحكم بينهم أوّلاً ثمّ يفصل بينهم، فالفصل يكون بعد الحكم، يفصل بينهم من كان منهم على هدىً وحق، ومن كان على ضلال وباطل.

ويفصل بين المؤمنين والمشركين والكافرين، وأهل الجنة من أهل النّار، وبين الأمم والأنبياء، والفصل أشد من الحكم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: إنّ للتوكيد، شهيد: صيغة مبالغة من: شاهد، شهيد على أقوالهم وأفعالهم وحفيظ لها، فلا حاجة يوم القيامة إلى شهود أو مُعين.

وانتبه إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ولم يقل إنّ ربك؛ لأنّ الفصل والحكم لله، والرّب تأتي في سياق الخلق والرزق والتدبير والتربية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: نجد أنّ كلّ اسم طائفة معطوف على ما قبله.

فالذين هادوا معطوف على الّذين آمنوا، والصّابئين معطوف على الّذين هادوا، والنّصارىٰ معطوف على الصابئين، والمجوس معطوف على النّصارىٰ؛ لأنّ هذه الآية جاءت في الفصل والقضاء والخصومات يوم القيامة، والموقف والمقام مقام قضاء، وكلّ واحد من هؤلاء المذكورين متساوٍ في القضاء، ولا يهم جاءت الصّابئون قبل النّصارىٰ أو النّصارىٰ قبل الصّابئين فالله سبحانه ساوىٰ بينهم في القضاء لأنّه الحكم العدل.

وقد يكون تقديم الصابئين على النّصارىٰ في هذه الآية؛ لأنّهم جاؤوا قبلهم

بالزّمان، أو لأنّهم أفضل من النّصارىٰ من ناحية العقيدة والتّوحيد. ولنعلم أنّ هذه الآية ذكرت مرتين سابقاً في سورة البقرة الآية (٦٢) وسورة المائدة آية (٦٥) ارجع إليهما لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير، تر: أي: ألم تعلم أو ينتهي علمك، والرّؤية هنا رؤية قلبية أو رؤية بصرية أو كلاهما.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أنّ: للتوكيد، يسجد له سجود عبادة وطاعة ويعني الصّلاة بشكل عام، أو سجود خضوع وتسخير.

له: تقديم له يفيد الحصر؛ أي: لله وحده يسجد من في السّموات ومن في الأرض: من تستعمل للعقلاء؛ أي: تدل علىٰ ذوات العقلاء، من في السّموات: أي: الملائكة، من: استغراقية تستغرق كلّ ملك، ومن في الأرض: من إنس وجن فالكلّ يسجد سجود طاعة وعبادة، أو سجود خضوع، ولنعلم أنّ كلّ مخلوق مهما كان جنسه أو نوعه من إنس أو جن، أو حيوان أو نبات أو جماد، له صلاته وله تسبيحه وسجوده الخاص به الّذي يناسب جنسه وطبيعته.

﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: هذا يمثّل ذكر الخاص بعد العام؛ للتوكيد؛ لأنّ هذه المخلوقات في السّموات (الشّمس والقمر والنجوم) أو في الأرض (الجبال والشّجر والدّواب)، والدّواب: كلّ ما يدبّ علىٰ الأرض من حيوان.

واعلم أنّ من خصوصيات القرآن الكريم أنّ الله سبحانه إذا أسند السّجود

إلى العاقل «استعمل من» وأتبعه بذكر غير العاقل، وهذا يسمى: عطف غير العاقل على العاقل، كما في هذه الآية (١٨) من سورة الحج، وكما رأينا في سورة الرّعد الآية (١٥) حين قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾، عطف على من (للعاقل) ظلالهم وهي لغير العاقل.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: يسجد أو يصلي حسب قدرته قائماً أو قاعداً أو على جنبه، وقد يسجد ويشير بعينيه أو أصبعه. وكثير من النّاس: تعني الّذين يسجدون عددهم كثير أو هم كثيرو العدد، ولم يقل أكثر النّاس، إذن هم كثير ولكن ليسوا هم الأكثر؛ الأكثر تعني: أكثر عدداً من كثير، وهؤلاء دخلوا فيمن ذكرهم تعالى في قوله: (ومن في الأرض) وكرر ذكرهم؛ لأنّ السّجود الأوّل يختلف عن السّجود الثّاني، السّجود الأوّل هو سجود اختيار وطاعة كسجود الصّلاة وسجود الشّكر، وسجود السّهو وسجود التّلاوة، والسّجود الآخر (الثاني) هو سجود خضوع وذل، وتسخير وبدون اختيار.

قال سبحانه: وكثير من النّاس يسجد سجود خضوع وذل، مقارنة بالقلة من النّاس الّذين يسجدون سجود طاعة، وذكرهم في مطلع الآية.

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: أي: هؤلاء الّذين لا يسجدون سجود طاعة، إنما سجود خضوع وذل وليس خضوع إرادة، وهم الكفار والمشركون والملحدون والعاصون، فهؤلاء هم كثرة وهم الّذين حق عليهم العذاب؛ أي: واجب عليهم العذاب.

وقليل من النّاس وهم الّذين سجدوا لله طوعاً، وبإرادتهم ففازوا بالجنة ونجوا من العذاب.

والخطأ هنا أن نظن أنّ قوله تعالىٰ بما أنّ كثيراً من النّاس يسجد، يجب أن لا يحق عليه العذاب، فكيف قال تعالىٰ حق عليهم العذاب.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: ومن يهن الله بالخزي والشقاء والعذاب، والخلود في النّار.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: الفاء: للتوكيد، فما له من يخلّصه من العذاب، أو يُعزّه أو يشفع له؛ لأنّ العزة لله جميعاً. مكرم: اسم فاعل من: أكرم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: من الخلق والإحياء والموت والرزق والفقر والإهانة والإكرام، والسعادة والشقاء، والعز والذل.

من مشيئة الله تعالىٰ إذا شاء أكرم عبده، أو إذا شاء أذله وأهانه هذه المشيئة ملزمة؛ أي: واقعة لا تتغير؛ أي: واجبة وليست كالإرادة.

والإكرام مرتبط بتقوىٰ العبد وطاعته وإحسانه وقربه من الله تعالىٰ.

والإهانة مرتبطة بالكفر والشّرك والمعصية والابتعاد عن جنب الله تعالىٰ.

ارجع إلىٰ الآية (١٤) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٩] ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾:

أسباب النّزول: كما روي عن ابن عبّاس: نزلت في أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولىٰ بالله منكم وأقدم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. فقال المؤمنون: نحن أحق بالله؛ آمنّا بمحمّد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب. وقيل: كما روىٰ البخاري عن أبي ذر نزلت في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة حين تبارزوا للقتال يوم بدر. وقيل: إنّها تعني جميع المؤمنين والكفار، وهذا ما ذهب إليه مجاهد وعطاء. رواه الطبري.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: اختصموا في ربهم، خصمان: لا تعني اثنين، بل هما جمعان أو فريقان، والمراد بهما المؤمنون والكافرون، والدّليل على ذلك قوله: اختصموا في ربهم، ولم يقل اختصما بالتّثنية، والخصم يطلق على الواحد أو الجماعة أو الاثنين. فاسم الإشارة يفيد التثنية، ولمعرفة العدد جاء بضمير الجمع.

﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾: الخصم هو من يعارض غيره في الرّأي ويتعصب لرأيه، كلٌّ يدّعي أنّه على الحق أو على الصّواب، في ربهم: في دين ربهم، أو صفات ربهم، أو في البعث، أو آيات الله. حين قال بعض أهل الكتاب للمؤمنين: نحن أحق بالله منكم ونحن أقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وكفرتم حسداً من عندكم، فالله يفصل بينهم يوم القيامة، كما قال سبحانه في الآية (١٧) من السّورة نفسها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وكفى بالله شهيداً، فلا داعي لتكرار ذلك وبين جزاء كلٍّ من الفريقين.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: قطّعت: جاءت بصيغة الماضي، وهذا يدل على أنّ هذا التّقطيع واقع لا محالة؛ أي: كأنّه وقع وانتهى، قطّعت: فصّلت، أو قطعت لهم ثياب من نار على قدر أجسادهم، فليست فضفاضة ومتسعة مريحة؛ حتّى تحيط بهم إحاطة الثّوب بلابسه، وكذلك قطعت تعني أُعدت بسرعة بدون تأخير.

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: الحميم: الماء البالغ منتهى الحرارة، الماء المغلي. من فوق رؤوسهم: من تعني: هم واقفون تحت الماء مباشرة ويصب الماء فوق رؤوسهم.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾:

﴿يُصْهَرُ﴾: أي: بالماء الحميم.

﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾: ما في بطونهم (الأمعاء والأحشاء)، يصل تأثيره إلى إذابة الجلد أوّلاً ثمّ يذيب ما تحت الجلد مثل الثرب (غطاء الأمعاء)، وتحترق أحشاؤهم، وهذا أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ سورة محمّد الآية (١٥). (ما) تستعمل للشيء غير المحدد ولغير العاقل (أي: ذلك الحميم يذيب جلودهم كما يذيب ما في بطونهم، أو يحرق به جلودهم ويصهر به الجلد، ويصهر به ما في بطونهم).

[٢١] ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾:

مقامع: مضارب أو سياط من حديد يجلدون بها، جمع مقمعة: (آلة للضرب)، والمقمع في الأصل: كالمحجن يضرب بها رأس الفيل.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾:

﴿كُلَّمَا﴾: ظرف بمعنى حين، متضمنة معنى الشّرط، تفيد التّكرار، وأصلها (كلّ) ودخلت عليه (ما) الظرفية، وتفيد الزّمن.

﴿أَرَادُوا﴾: أي: الّذين كفروا.

﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: أن: للتعليل والتّوكيد، يخرجوا منها؛ أي: يهبوا ليخرجوا منها من النّار من شدة التعذيب والضرب والحميم.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾: من ابتدائية، غمّ: نكرة، أيّ غمٍّ مثل الألم الشّديد أو الحزن، أو العذاب أو ضيق النّفس أو العطش الشديد والجوع.

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: أي مُنعوا من الخروج، وإعادتهم في النّار مما يجعلهم يائسين من النّجاة، واليأس من أشد أنواع الغم والعذاب.

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: أعيدوا فيها بالمقامع الحديدية؛ أي: السّياط، وأعيدوا

فيها: تدل على أنّهم لم يخرجوا خارجها أصلاً، ولم يقل أعيدوا إليها؛ أي: يضربون بالمقامع وهم في داخل النّار.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: يقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق: النّار المحرقة، وكلمة ذوقوا: تدل أنّ العذاب شامل كلّ الجسم. وفي الآية (٢٠) من سورة السّجدة يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، وإذا قارنّا آية الحج مع آية السّجدة: نجد أنّ تفاصيل العذاب في سورة الحج أعظم وأشد من تفاصيل العذاب في سورة السّجدة لأنّ سورة السّجدة تتحدث عن الّذين فسقوا؛ أي: خرجوا عن طاعة الله أو دين الله تعالى، وأمّا آية الحج تتحدث عن الّذين كفروا، والكافر أشد من الفاسق، ولذلك اختلفت درجة العذاب فهؤلاء قطّعت لهم ثياب من نار يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد، وأمّا الّذين فسقوا: لا يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم ولا يصهر ما في بطونهم والجلود، ولم يذكر لهم مقامع من حديد.

[٢٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾:

في الآيات السّابقة (٩-٢٢) رأينا ما سيحل بالّذين كفروا، أمّا بالنّسبة للذين آمنوا وعملوا الصّالحات فهؤلاء يدخلهم الله تعالى جنات: جمع: جنة، جنات الفردوس أو عدن أو المأوى أو النّعيم أو دار السّلام. ارجع إلى الآية (١٤) من نفس السورة.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾: يحلون؛ أي: يلبسون

فيها من الحلية الّتي هي الأســاور من الذّهــب واللؤلؤ، ويحلّون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التّكرار والتّجدد والاســتمرار. من أساور: من ابتدائية، من ذهــب ولؤلؤاً: (من) لبيان الجنس الذّهب واللؤلــؤ، ولا تعني البعضية بل تعني الكثرة.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: أي: فــي الجنة، من حرير: مــن لبيان الجنس وتعني الكثرة، حرير بنوعيه السّندس؛ أي: النّاعم، والإستبرق الغليظ.

لنقارن قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ســورة الإنسان الآية (٢١) مع قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ أي: الأجر والثّواب في آية الحج أعظم وأفضل، ولنقارن قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ﴾ و﴿أَسْوِرَةٌ﴾ سورة الزّخرف الآية (٥٣): أســاور: جمع كثرة، بينما أسوِرة: جمع قلة، أساور أعظم وأفضل من أسوِرة.

❖❖❖

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى
شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

سورة الحج [الآيات ٢٤ - ٣٠]

[٢٤] ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾:

﴿وَهُدُوٓاْ﴾: أي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات الّذين أدخلوا في الجنات الّتي تجري من تحتها الأنهار. هدوا: من الّذي هداهم؟ كما بيّنه الله تعالىٰ في سورة يونس آية (٩): يهديهم ربهم بإيمانهم.

يهديهم إلىٰ الطيب من القول؛ أي: إلىٰ أفضل القول والدعاء من الحمد والثناء والسلام كقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤]، و: الحمد لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر:٣٥]، و: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، و: لا إله إلا الله، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، وغيره من القول الطيب؛ أي: المبارك. من: البعضية.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: وهدوا: تكرار؛ هدوا: يفيد التّوكيد؛ أي: أُرشدوا ودُلّوا إلىٰ صراط الحميد: الصّراط المستقيم الموصل إلىٰ الجنة أفضل الطرق علىٰ الإطلاق، الحميد: اسم من أسماء الله الحسنىٰ؛ أي: أهل الثناء والحمد الدال علىٰ الخيرات، وثبتت له صفة الحمد وسماه صراط الحميد.

وانتبه إلىٰ قوله في هذه الآية: صراط الحميد، بينما في الآيات الأخرىٰ: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، صراط الحميد: (كما جاء في سورة الحج) ولم يذكر العزيز؛ لأنّها آية في سياق الآخرة؛ لأنّه ليس في الآخرة تكاليف أو مخالفة لأمر الله تعالىٰ كما هو الحال في الدّنيا، فلا حاجة لذكر العزيز الّذي يَغلب ولا يُغلب ويَقهر ولا يُقهر والممتنع علىٰ عباده.

وأما صراط العزيز الحميد: جاء في سورة إبراهيم آية (١)، وسورة سبأ آية (٦)، هذه الآيات جاءت في سياق الدّنيا فذكر فيها العزيز الحميد.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

هذه الآية تتحدث عن نوع آخر من الكفر، وهو منع النّاس من الدّخول في الإسلام ودخول المسجد الحرام كما حدث في صلح الحديبية مثلاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: إن: للتوكيد. كفروا: في صيغة الماضي؛ لأنّ الكفر وقع منهم فعلاً كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ويصدّون جاءت بصيغة المضارع والقياس أن نقول: كفروا وصدّوا عن سبيل الله؛ لأنّ الصّد الّذي يقومون به ناتج عن الكفر، وما يزال صدّهم مستمراً ومتجدداً؛ لأنّ كفرهم مستمرٌّ وثابتٌ، والصدّ: هو المنع بقصد ونيّة. ارجع إلى سورة النّساء آية (٦١) للبيان.

ولا بدّ من معرفة الفرق بين البيت الحرام والمسجد الحرام والكعبة والبلد الحرام والمشعر الحرام، الكعبة: هي المركز وهي البناء المكعب الّذي يتوسط الحرم، وهي البيت العتيق، والمسجد الحرام: هو المسجد المحيط بها من كلّ الجهات.

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾: قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومعبداً يصلون فيه ويطوفون حوله. للنّاس: اللام لام الاختصاص؛ أي: للمسلمين.

﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾: سواء النّوعان متساويان: العاكف والباد (اسم فاعل) في إقامة المناسك والحرمة، سواء العاكف فيه: يعني: المقيم فيه والملازم له، وعكف على الشّيء: واظب عليه ولازمه، والباد: القادم من خارج مكة، القادم من أيّ مكان في الأرض.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾: ومن: شرطية، ومن يرد من: الإرادة؛ أي:

الفعل؛ أي: ينوي ويعزم على القيام بارتكاب الذّنب فيه أو القتل أو ارتكاب المنكر في الحرم، والباء للإلصاق والتّوكيد (العزم) بإلحاد: أي: الميل عن الحق مثل استحلال الحرام؛ أي: فعل الحرام متعمداً مثل القتل أو الشّرك أو ارتكاب المنكرات.

بظلم: بالخروج عن منهج الله تعالى، والعصيان والتمرد وظلم النّاس.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: جواب الشّرط لـ: من يرد، نذقه: من الذّوق: وهو الإحساس بالمطعوم والمشروب، الذّوق: يعني الإهانة والمذلة والألم الّذي يصل إلى كلّ عضو في الجسم.

[٢٦] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: إذ؛ أي: واذكر إذ بوّأنا، أو حين بوّأنا لإبراهيم مكان البيت: اللام في (لإبراهيم) لام الاختصاص، بوّأنا: من: باء؛ أي: رجع؛ أي: يرجع إلى المكان الّذي ينزل فيه؛ أي: يسكن فيه، ويقال: اتخذ مكان مباءةً؛ أي: مرجعاً للعبادة؛ أي: يبوء إليه المؤمنون؛ أي: يحجوا إليه كلّ عام.

مكان البيت؛ أي: البيت الحرام الكعبة، وجبريل هو الّذي حدد لإبراهيم حدود الحرم، فالحد الشمالي يبعد (٦كم) من الكعبة، والحد الجنوبي (١٢كم) من الكعبة، الجنوبي الغربي (١٦كم) والحد الغربي (١٥كم) عند الحديبية، والحد الشرقي (١٤كم)، ومساحة الحرم تبلغ (٦٠٠كم٢) في الوادي الّذي يبلغ طوله (٣٠كم) وعرضه (٢٠كم).

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾: أن هذه مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد، أو تفسيرية، لا: النّاهية، لا تشرك بي شيئاً: (شيئاً) جاءت بصيغة النّكرة؛ أي: لا تشرك بي كائناً من كان، أو لا تشرك بي شيئاً من الشّرك لا قليلاً ولا كثيراً، والخطاب موجّهٌ إلى إبراهيم وكلّ من اتبع ملة إبراهيم.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾: طهّر بيتي: من الأصنام أو الأوثان، أو أيّ شرك،

وطهّره من النّجاسة للطائفين الّذين يطوفون حول البيت من أهل مكة وغيرهم من القادمين من خارج مكة، سواء كان طواف القدوم أو الإفاضة أو الوداع.

والقائمين: أي: المقيمين أو المعتكفين (جمع معتكف) من أهل مكة وغيرهم.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: جمع: راكع، وجمع: ساجد؛ أي: المصلين، ولم يقل: الركع السجد، وإنما: الركوع السجود؛ أي: السجود الحقيقي، والذي يتضمن الخشوع، بينما السجد تعني: السجود الظاهري فقط.

التّطهير يشمل التّطهير الحسي والمعنوي، وطهّر بيتي: الطّهارة الحسية؛ أي: من الأوساخ والأقذار، والطّهارة المعنوية من الأصنام والشّرك، حيث كانت قبيلة جرهم وغيرهم يضعون الأصنام عنده ويعبدونها من دون الله تعالىٰ.

[٢٧] ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾:

﴿وَأَذِّن﴾: الخطاب إلىٰ إبراهيم عليه السلام، والأذان في اللغة: الإعلام، وشرعاً: النّداء إلىٰ الصّلاة.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾: بعد بناء البيت ورفع قواعده جاءه جبريل عليه السلام فأمره أن يؤذّن في النّاس كما قال ابن عباس. في: ظرفية.

﴿بِٱلْحَجِّ﴾: الباء: للإلصاق، زمن الحج.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: الرّاجل: هو الماشي علىٰ قدميه، رجالاً: مشاة؛ أي: راجلين يمشون علىٰ أقدامهم.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: ضامر: البعير أو الجمل المهزول الّذي أتعبه السّفر، وقيل: الضّامر: قليل الشّحم، وقيل: كان العرب يضمروا الخيل؛ لتكون أقوىٰ وأنشط وأسرع في المشي؛ أي: يأتون راكبين علىٰ

إبلهم الضّامرة الهزيلة أو دوابهم. يأتين: (تعود على الدّواب)، من كلّ فجٍّ عميق: الفجّ: هو الطّريق في الجبل، عميق: ولم يقل بعيد، عميق؛ لأنّ الأرض كروية الشّكل وسطحها منحنٍ، وكلما ابتعدت عن مكة ينحني سطح الأرض؛ (لأنّ الأرض ليست مستوية)، ويعمق وينحدر سطحها، وهذا الإعجاز العلمي الّذي يدل على كروية الأرض.

[٢٨] ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾:

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾: اللام للتوكيد، يشهدوا: يحضروا، منافع لهم: دينية فالحج والعمرة من طواف وسعي، والوقوف بعرفات والنّحر والتّكبير، وحلق وتقصير، ومنافع دنيوية مثل التّجارة والشّراء والهدايا، والتّعارف، وزيارة الأماكن التّاريخية.

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾: بالتّلبية والتّكبير والدّعاء والصّلاة، أيّام معلومات: أيّام الحج؛ وهي العشر من ذي الحجة ويوم عرفة ويوم النّحر وأيّام التّشريق.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: أي: يذكروا اسم الله عند الذّبح بالقول: باسم الله والله أكبر، والشّكر والحمد والتّكبير، وبهيمة الأنعام: تعني: كل ما يصطاد ويؤكل يعتبر من بهيمة الأنعام، ولم يحرم شرعاً؛ أما الأنعام فهي: الإبل، والبقر والغنم والماعز، وغيرها مما يباح أكله.

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾: من لحومها؛ لأنّ أهل الجاهلية كانوا يتحرّجون في الأكل من لحوم الهدايا والأضاحي.

﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾: الشّديد الفقر، أو الّذي أصابه فقر شديد،

وقيل: البائس الّذي تظهر عليه علامات الفقر ولم تعد تخفى، والفقير: الّذي يخفي فقره ولا يعلم النّاس بحاله، أو لا يملك شيئاً أو يمد يده للناس.

[٢٩] ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾:

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري، ليقضوا: اللام لام الأمر، ليقضوا تفثهم: من القضاء؛ أي: يزيلوا تفثهم، والتّفث: هو الأوساخ والأدران الّتي تعلق بالجسم من الغبار والعرق بالحمامات، ويغيروا ملابسهم بعد انتهاء مدة الإحرام، وحلق الشعر وتقليم الأظافر.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾: اللام لام الأمر، إن كان عليهم نذر (أي: ينحروا ما نذروا لله من هدايا وضحايا)، أو غيره. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧٠) لمعرفة معنى النذر.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾: اللام لام الأمر، أصلها: ليتطوفوا بالبيت العتيق: الكعبة، والعتيق يطلق على كلّ شيء يطول مكثه ويبقى أكثر من أمثاله، والعتيق: القديم جداً، ويعني كذلك: الغالي والنفيس، والشيء الجميل، أو المعتوق من سيطرة الغير؛ لأنّ الله حفظه كما حدث عام الفيل.

وليطوفوا: طواف الإفاضة أو القدوم أو الوداع، طواف العمرة أو الحج.

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾:

﴿ ذَٰلِكَ ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، (ذلك): ما ذكر من أعمال الحج بأنّها أوامر واضحة.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: جمع حرمة، والحرمة: كلُّ أمرٍ لله يحرم

تركــه وكلُّ نهيٍ يحرم فعله أو القيام به، أو ما وجــب القيام به وحرم التّفريط به، وتعظيمها: يعني لا يكــون لذاتها، وإنما تعظيمها تعظيم لله ســبحانه؛ لأنّها من حرمات الله وأوامره وتطبيقها على أتم وجه وبحب وإخلاص.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: فهو: للتوكيــد، أي: التّعظيم خيرٌ له ثواباً عند ربه في الآخرة.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي: أحــلّ أكلهــا بعد الذّبــح إلا ما تلي عليكم وهــي ﴿ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة:٣].

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾: الفاء: للتوكيــد، اجتنبوا: الاجتناب أشــد وأقوى من التّحريم، الرّجس: القذر حساً أو شرعاً أو عقلاً، من الأوثان: (من) ابتدائية اســتغراقية تســتغرق كلّ وثن من تمثال، ويدخل فيها الشّيطان والطّاغوت والأصنام؛ أي: اجتنبوا عبادتها أو دعاءها، وتجنب ذكر غير اسم الله على الأنعام عند الذبح أو ذبحها على النُّصُب وغيرها من أعمال الشّرك. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٥٩) للبيان المفصل في معنى الرجس والرجز والفرق بينهما.

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾: من الازورار: بمعنى الميل، وهو كلّ قول مائل عن الحق؛ أي: القول الكذب الباطل الخبيث. وزوّر الشّــيء؛ أي: سوّاه وحسّنه بحيث يظهر ســويّاً حســناً، أو أنّه حقّ وصدق، كالقول: إنّ لله ولداً أو شــريكاً، وكقولهم: إنّ الله حرّم البحيرة والسّــائبة والوصيلــة والحام، مثلاً. كما ورد في سورة المائدة آية (١٠٣) ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

❖❖❖

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

نصف الحزب ٣٤

سورة الحج [الآيات ٣١ - ٣٨]

[٣١] ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾:

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: جمع حنيف، مأخوذة من: حنف القدم؛ يعني: تقوّسها وانحناءها؛ أي: مائلين عن الباطل والاعوجاج مستقيمين على ملة إبراهيم، مخلصين له الدّين بالتّوحيد وعبادة الله وحده، مائلين عن عبادة الأصنام والشّرك. ارجع إلى الآية (١٣٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾: بالله من شيء، من ولد أو شريك أو ندٍّ أو مثيل.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾: من شرطية، يشرك بالله: بأن يجعل له شريكاً أو نداً أو ولداً.

﴿فَكَأَنَّمَا﴾: كأنّ: للتشبيه، مؤلفة من كاف التّشبيه وإن، فصارت كلمة واحدة، والتشبيه بكأن أبلغ من التّشبيه بالكاف فقط.

﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: سقط من السّماء بسرعة ومن ارتفاع بعيد، فتمزقت أوصاله وصارت الطّير تخطفها قبل أن تصل إلى الأرض.

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: أو: تعني: إنّ لم تخطفه الطير تهوي به الريح، تهوي من: هوى؛ أي: سقط إلى أسفل، تقذفه الرّيح وترمي به إلى أسفل في مكان سحيق بعيد القعر أو عميق، حتّى تتكسر عظامه وتسحق من شدة الصّدمة،

فيصبح جثة هامدة لا حياة فيها، فهذا هو حال المشرك الّذي لم يتب فقد وقع في الهلاك. وكلمة ريح في القرآن تأتي في سياق الشر، والرياح تأتي في سياق الخير.

[٣٢] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، (ذلك) تستعمل بعد إتمام المعنى والبدء أو الخوض في معنى آخر.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: الشّعائر: جمع شعيرة وهي العلامة، والإشعار هو الإعلام، من شعائر الله: من شعائر دين الله، والشّعائر: هي معالمه الظّاهرة للحواس؛ أي: العلامات؛ أي: مواضع النّسك أو العبادة؛ أي: المعالم المكانية مثل الصّفا والمروة والبُدن من شعائر الله، والشّعائر تطلق على أعمال الحج أيضاً مثل الطّواف والسّعي ورمي الجمرات والوقوف بعرفة والتّكبير والتّعظيم: يعني: إجلالها واحترامها والقيام بها بحبٍّ وإخلاص وأدائها بشكل كامل تام، فهذه العلامات المعالم المكانية أو أعمال الحج (الشّعائر) عظيمة عند الله تعالى وأوصانا بتعظيمها لنيل الثّواب التّام، مثال على ذلك: البُدن من شعائر الله تعظيم هذه الشّعيرة يعني اختيار أحسن البُدن وأكثرها وزناً ولحماً، وسليمة من أيّ عيب أو مرض.

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾: أي: تعظيمها من العبادات القلبية.

وأضاف التقوى إلى القلوب؛ أي: تعظيم هذه الشّعائر واحترامها طاعة؛ أي: تقوى؛ أي: عبادة من العبادات القلبية الخاصة بالقلوب؛ أي: تقوم بها القلوب.

[٣٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾:

﴿ لَكُمْ ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم أنتم خاصة.

﴿فِيهَا ﴾: في الظّرفية تعود إلىٰ الشّعائر مثل البُدن.

﴿مَنَافِعُ ﴾: من شرب لبنها وركوبها والحمل عليها وصوفها ووبرها.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: إلىٰ زمن معين هو نحرها في يوم العيد أو أيام التّشريق.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾: حيث تنحر، ومحل الذّبح هو منىٰ، والآية تقول: البيت العتيق؛ أي: إذا نحرت في الأماكن المخصصة لها في منىٰ أو غيرها، فكأنما وصلت إلىٰ البيت العتيق والثّواب واحد، والمهم المحافظة علىٰ الأمور الصّحية وعدم تأذّي الحجّاج بروائحها أو فضلاتها.

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾: الأمة:

﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: المنسك: الموضع أو المكان الّذي يُتعبّد الله فيه، أو ما يتقرب به إليه من عمل صالح، فالنّسك هي العبادات أو التّكاليف التّعبدية، ومناسك الحج: تعني الأماكن الّتي تؤدّىٰ فيها الشّعائر مثل عرفات ومزدلفة ومنىٰ، ومكة، كما قال إبراهيم عليه السلام ربنا أرنا مناسكنا: أي: علّمنا كيف نعبدك وأين نعبدك. ارجع إلىٰ الآية (٦٧) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين مَنْسَك بفتح السين مَنْسِك بكسر السين.

﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾: اللام للتعليل، اسم الله وحده عند نحرها أو ذبحها مثل القول: باسم الله والله أكبر.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾: الرّزق؛ يعني: أوجدها وذلّلها وملكها أو سخرها لكم.

﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: من لبيان الجنس، بهيمة الأنعام: ارجع إلى الآية (٢٨) من السّورة نفسها.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: الفاء للتوكيد، إلهكم إله واحد: أي: هو المشرع لكم، ولكلّ أمة ما يناسبها ويصلحها من الشرائع والأحكام.

إلهكم إله واحد: ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: أي: أخلصوا له بالتّوحيد، وقدّم له للحصر، ابتغوا وجهه ولا تشركوا به شيئاً؛ أي: وحّدوه.

لنقارن هذه الآية من سورة الحج: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾، مع الآية (٥٤) من سورة الزّمر: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: وله أسلموا: قدّم الجار والمجرور؛ لتفيد الحصر؛ لأنّ المقام مقام توحيد.

وأسلموا له: أخّر الجار والمجرور، المقام مقام استغفار وليس مقام توحيد وعدم القنوط من رحمة الله ووعد وعيد وتهديد بالعذاب.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: من الخبت؛ والخبت في اللغة: المكان المنخفض من الأرض. المخبتين؛ أي: المتواضعين؛ جمع مخبِت: المطيع المخلص الخاشع المتواضع الذي بلغ ذروة التواضع، والخبت: الاطمئنان، بشّر المخبتين: لم يذكر

نوع البشارة، وهي رضوان الله وجنّته، وغيرها من النّعيم، بشّر من البشارة، ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة. ومن صفات المخبتين ما ورد في الآية التالية.

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح. ذكر الله؛ أي: ذُكرت عظمته وقدرته ووعده ووعيده شعروا بالوجل، والوجل: هو أشد درجات الخشية والخوف، الّذي يؤدي إلىٰ اضطراب القلب بازدياد عدد دقّاته وقشعريرة في الجلد أو البكاء؛ فالخوف: توقع أمر مكروه، والخشية: أشد من الخوف؛ خوف يشوبه رهبة وتعظيم، والوجل: أشد من الخوف والخشية.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾: جملة اسمية تدل علىٰ الثبات. فالصّبر عندهم صفة ثابتة.

﴿عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾: في الضّراء والمحن والشّدائد والابتلاء.

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾: بأركانها وشروطها وأوقاتها وخشوعها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣) من سورة البقرة للبيان؛ أي: من بعض ما رزقناهم ينفقون.

[٣٦] ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾: جمع بَدَنة، وهي الجمل أو النّاقة أو ما يساويها من البقرة

(البقرة تقوم مقام البدن في الحكم)، والغنم لا تسمى بدنة، وسمّاها بَدَنة إشارة إلى ضرورة أن تكون بدينة؛ أي: سمينة.

﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُمْ﴾؛ أي: صيّرناها لكم، سخّرناها لكم، اللام لام الاختصاص.

﴿مِن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: من ابتدائية بعضية، من شعائر الله؛ أي: البُدن شعيرة من شعائر الله، وشعائر الله: العبادات الّتي يتقرب بها إلى الله مثل الإحرام شعيرة، والتّكبير شعيرة، والطّواف شعيرة، والسّعي وذبح البدن أيضاً شعيرة.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: في الدّنيا بالانتفاع من لبنها أو ركوبها أو حمل الأثقال أو أكل لحومها، ومنافع في الآخرة بنحرها وذكر اسم الله عليها وإطعام البائس الفقير والقانع المعتر. وما في ذلك من ثوابٍ وتقربٍ إلى الله يوم القيامة.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾: عند نحرها؛ أي: قولوا: باسم الله والله أكبر، صوافّ: وهي واقفة قائمة، صفّت: ربطت رجليها وإحدى يديها، فهي على ثلاث قوائم قبل نحرها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إذا شرطية تفيد الحتمية، وجبت جنوبها من: وجب الشّيء؛ يعني: سقط سقوطاً قوياً على الأرض، أو وجب الجدار: سقط؛ أي: وقعت أو سقطت على الأرض وفارقت الحياة بعد الذبح.

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ أي: الأكل منها أمر مباح.

﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: القانع: المحتاج الّذي لا يسأل النّاس، قانع

بما عنده رغم كونه فقيراً، المعترّ: المحتاج الّذي يسأل ويقف بالطّرقات يسأل الصّدقات.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: كذلك؛ أي: مثل ما سخرناها لكم للانتفاع منها في الركوب والأكل والانتفاع بها.

كذلك سخرناها لكم لعلكم: لعل للتعليل، تشكرون المنعم على تسخيرها بالطّاعة والاستقامة والذّكر والشّكر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد في معنى الشكر.

[٣٧] ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿لَن﴾: لنفي القريب والبعيد.

﴿يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: الله سبحانه غني عن لحوم هذه البُدن وعن نحرها، فلا يصل إليه شيءٌ منها وإنما يناله؛ أي: يصله تقواكم وطاعتكم لما أمركم به وإخلاصكم وتوحيدكم وشكركم إياه. والتّقوى تعني: امتثال وطاعة أوامره وتجنب نواهيه.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ كذلك: تعني: أيضاً؛ أي: وسخرها لكم أيضاً لتكبّروا الله، اللام لام التّعليل، تكبّروا الله تعالى في الأعياد بالقول: الله أكبر الله أكبر، وبعد النّحر، على ما هداكم: كما علّمكم وأرشدكم ودلّكم على ما فيه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بشّر من البشارة، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة

البقرة، المحسنين: جمع محسن، وهو الّذي يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فالله يراه، والذي تعدّىٰ إحسانه إلىٰ غيره ولم يقتصر علىٰ نفسه. ولمعرفة معنىٰ الإحسان ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة.

لنقارن الآيتين السّابقتين (٣٦-٣٧):

في الآية (٣٦): قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

في الآية (٣٧): قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

سخرناها لكم؛ لأنّ الفائدة عمّت الكلّ؛ لقوله تعالىٰ: فكلوا منها وأطعموا القانع والمعترّ.

سخرها: لأنّ الآية تتحدث عن المنعم الّذي سخّر البُدن لتتّقوه وتكبّروا الله علىٰ ما هداكم.

[٣٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الّذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام كما حدث في الحديبية، وذكر المشاعر والمناسك والحج، يأذن الله في الآيات التالية بقتال الكفار الّذين يصدون النّاس عن الحج، والدفاع عن المقدسات والضعفاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: إنّ: للتوكيد، يدافع: صيغة مبالغة من: يدفع، قد تكون مرة واحدة وينتهي الأمر، أمّا (يدافع) تعني باستمرار وتكرار، يدافع عن الّذين آمنوا بقوة واستمرار، سواء في معركة أو إذا أصابهم ظلم وقهر

من عدوهم، يدافع عنهم ضد أعدائهم وخصومهم، وهو سبحانه أقوىٰ وأعظم قوة من كلّ عدو لدينه وأوليائه، وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين وتطمين لهم، ولكي يدافع الله عن المؤمنين لا بدّ للمؤمنين من إعداد كلّ ما يستطيعون من قوة ورباط الخيل والتّوكل علىٰ الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾: إنّ للتوكيد، كلّ خوّان: صيغة مبالغة: كثير الخيانة مراراً وتكراراً، والخيانة عظيمة ليست خيانة بسيطة، كفور: صيغة مبالغة: كثير الكفر، أصبح الكفر شغله الشّاغل.

الفرق بين خوّان كما في الآية من سورة الحج، وخائن كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، الخائن: تصدر منه الخيانة مرة واحدة أو خيانة في أمر غير عظيم، أمّا الخوّان: كثير الخيانة، أو يخون خيانة عظيمة أو في أمر هامٍّ جداً أو خيانة متكررة.

❖ ❖ ❖

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

سورة الحج [الآيات ٣٩ - ٤٦]

[٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾:

قال كثير من المفسرين: إنّ هذه هي أوّل آية نزلت في إباحة القتال (الجهاد) ونزلت في المدينة بعد أن أُخرج الرّسول ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم.

ما هو الفرق بين الجهاد والقتال؟ الجهاد: يشمل قتال الأعداء، ويشمل: جهاد النفس، والشيطان، وجهاد المنافقين.

والجهاد: يكون بالقوة، والحرب، والمال، والنفس، واللسان، والبيان، والحجة، والقلب، وتحمل الأذى، والصبر.

فالجهاد: أوسع من القتال، فالقتال: الجهاد بالسيف، أو القوة، ويعني: الدفاع، وقتال الكفار والمشركين، والجهاد كله بكل أنواعه هو في سبيل الله، ومنه جهاد في الله وفيما أمر أو قدر، وأعظم الجهاد جهاد النفس، وطاعة الله، وسياق الآيات يوضح لنا نوع هذا الجهاد.

والقتال: هو الدفاع عن الدين، والمال، والعرض، والنفس أمام أي عدو كان.

وكما قيل: نزلت هذه الآية بعد نزول أكثر من سبعين آية تنهى المؤمنين عن

الجهاد والقتـــال وتحثهم على الصّبر. وقال جماعة آخرون: إنّ أوّل آية نزلت في القتال هي: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقـرة:١٩٠]، وهناك من قال: إنّ أوّل آية هي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:١١١]، وقد بيّن بعض المفســـرين أنّ تشـــريع القتال والجهاد كان بالتّدرج كما حـــدث مثلاً في تحريم الخمر، حيث القتال والجهاد أمرٌ شاقٌّ على النّفوس، وقيل: مرّت فرضية الجهاد بمراحل نذكر منها:

١ - هناك الكثير من الآيـــات تحثّ على الصّبر وعدم القتال والعفو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٧٧].

٢ - ثمّ جاءت آيـــات مثـــل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥].

٣ - ثمّ الإذن بالقتال بغير إيجاب الفرض ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج:٣٩].

٤ - ثمّ الإيجاب؛ أي: أوجب القتال وأصبح فرضاً ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [البقرة:١٩٠].

﴿أُذِنَ﴾: رُخص أو أُبيح.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُقَٰتَلُونَ﴾: وهم: النّبي ﷺ وأصحابه (ويستثنى منهم الأعمى والأعرج والمريض)، أُذن لهم أن يدافعوا عن أنفسهم.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾: الباء: للتعليل أو السّـــببية، أنّهم ظُلمـــوا من قبل الكفار

والمشركين من أهل مكة، حيث استمروا في إيذاء المؤمنين والتّصدي لهم بالاضطهاد والسوء.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾: (إنّ) واللام في كلمة (لقدير) تفيدان التّوكيد؛ أي: سبحانه قادر على نصر المؤمنين المستضعفين، وقدير: صيغة مبالغة؛ أي: كثير القدرة أو عظيم القدرة، لا يعجزه شيء في السّموات ولا في الأرض وهو القوي العزيز.

[٤٠] ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾:

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾: أي: المؤمنين محمّد ﷺ وأصحابه وغيرهم من المؤمنين الّذين يجيئون بعدهم.

﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم ﴾: من مكة أو غيرها من الديار، أخرجهم عدوهم.

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾: الباء: للإلصاق، بغير حق؛ أي: لم يكن لهم ذنب أو سبب حقيقي يستدعي إخراجهم، أو موجب لإخراجهم، وإنما أُخرجوا بالعدوان والظلم والبغي.

﴿إِلَّآ ﴾: أداة حصر، أي: ما أُخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم: ربنا الله؛ أي: إيمانهم بالله أو دينهم وإسلامهم.

﴿أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾: أن: للتوكيد، يقولوا ربنا الله (وحده لا شريك له)، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدّين.

ومن هنا جاء الإذن بالقتال، وقد أوضحت الآيات الحكمة من مشروعية القتال وأسبابه، ومنها: إخراج المؤمنين من ديارهم وسلب ممتلكاتهم، وإيذاؤهم وطردهم من أوطانهم بسبب دينهم وإسلامهم والدّفاع عن مقدساتهم ودور العبادة، وكذلك حماية المستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان، وكذلك عدم تمكن المؤمنين من ممارسة شرائع دينهم والعبادة.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ لولا: حرف امتناع لوجود (الدّفع)؛ أي: ولولا الدّفع لهدّمت صوامع، فما هو الدّفع: الدّفع: هو الدّفاع أو القتال في سبيل الله تعالىٰ.

ومعناه: لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون في الأرض وأفسدوا فيها وأهلكوا الحرث والنسل، وهدّمت دور العبادة من صوامع وبِيَع وصلوات ومساجد، أو: لولا أنّ الله يدفع الكافر بالمؤمن والعاصي بالطّائع، ويدفع الباطل بالحق، لفسدت الأرض ومن عليها ولهدّمت.

﴿صَوَٰمِعُ﴾: معابد وأديرة الرّهبان.

﴿وَبِيَعٌ﴾: كنائس النّصارىٰ.

﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: كنائس اليهود (مشتقة من الصّلاة).

﴿وَمَسَٰجِدُ﴾: أي: بيوت الله المخصصة للعبادة. والمسجد: هو دار عبادة المسلمين، والذي تقام فيه الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة المفروضة وغيرها، ويطلق عليه اسم جامع، والاسم مسجد مشتق من السجود، والجامع مشتق من صلاة الجمعة، أو لكونه يجمع الناس.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: فيها: في هذه الأماكن الأربعة، يُذكر اسم الله كثيراً بالصّلاة والدّعاء والخطب والدّروس، وهذا التّرتيب قد يكون من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ بالدّرجة، أو الأقل إلىٰ الأكثر عُمّاراً وعُبّاداً.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾: الواو استئنافية، لينصرن: اللام لام التّوكيد، ينصرن: فيها نون التّوكيد، ينصرن بالغلبة والنّصر وكسب المعركة، أو بالشّهادة والقتل في سبيل الله ونيل الحسنىٰ، ولينصرن الله من ينصر دينه ورسله والمؤمنين والمظلومين والضّعفاء، والّذين يعملون علىٰ إعلاء كلمة الله؛ لتكون هي العليا وكلمة الّذين كفروا هي السفلىٰ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: إنّ للتوكيد، لقوي: اللام للتوكيد، قوي: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّموات ولا يفوته شيء، عزيز: له عزة القهر والغلبة والقوة، لا يُقهر ولا يُغلب، وله عزةُ الامتناع لا يحتاج إلىٰ أحد من عباده، ولا يناله أحد بأي مكروه، أو سوء، وله عزة العظمة.

لنقارن آية البقرة (٢٥١) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

مع هذه الآية (٤٠) من سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

نجد آية البقرة جاءت تعقيباً علىٰ فرضية الجهاد علىٰ بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ونجد آية الحج جاءت تعقيباً للإذن للمؤمنين بالجهاد في سبيل الله؛ أي: فرض لمنع الفساد في الأرض وتحقيق الأمن، ومنع هدم أماكن الصّلاة والعبادة الّتي هي من أسباب منع الفساد في الأرض وتحقيق الأمن.

[٤١] ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن ﴾: إن: تفيد الاحتمال، شرطية.

﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: التمكين: يعني: القدرة على ممارسة شعائر دينهم بدون خوف أو اضطهاد من الآخرين، والقدرة على إعلاء كلمة الله والشعور بالأمن وتوفر سبل العيش والحرية.

﴿ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: إقامة الصّلاة على الوجه الأكمل، وإقامتها بأركانها وشروطها وأوقاتها، والدّوام عليها والخشوع.

﴿ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: الواجبة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٣) لبيان معنى الزكاة.

﴿ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾: ما أمر به الشّرع.

﴿ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾: ما نهى عنه الشّرع. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٠٤) لمزيد من البيان عن المعروف والمنكر.

﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾: ولله وحده لا لغيره، عاقبة الأمور: انتبه إلى قوله: (ولله)، ولم يقل وإلى الله، (لله) أي: الحكم النّهائي لله في كلّ الأمور إما إلى

الجنة وإمّا إلىٰ النّار، (ولله) كأنّ الأمور وصلت إليه تعالىٰ وانتهت. (الآية جاءت في سياق الآخرة)، أمّا قوله: (وإلىٰ الله عاقبة الأمور) لا زالت في طريقها (الآية في سياق الدّنيا).

[٤٢] ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾:

﴿ وَإِن ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿ يُكَذِّبُوكَ ﴾: الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ وجاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدد وتكرار وتكذيب قومه له، وإن يكذبوك في العلن وأمام النّاس، ارجع إلىٰ الآية (٣٣) من سورة الأنعام، والآية (١٨٤) من سورة آل عمران للمقارنة والبيان بين يكذبوك وكذبوك.

﴿ فَقَدْ ﴾: الفاء جواب الشّرط، قد: للتحقيق والتّوكيد.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾: أي: مشركو مكة وكفارها، كذبت قبلهم، ولم يقل من قبلهم؛ لأنّ (قبلهم) تعني الزّمن القريب أو البعيد، قوم نوح وعاد وثمود.

﴿ قَوْمُ نُوحٍ ﴾: كذبوا نبيهم نوح عليه السلام وقالوا: ﴿ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر:٩].

﴿ وَعَادٌ ﴾: كذبوا نبيهم هود عليه السلام وقالوا له: ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ [هود:٥٣].

﴿ وَثَمُودُ ﴾: كذبوا نبيهم صالح عليه السلام، وقالوا: ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود:٦٢].

[٤٣] ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾:

قوم إبراهيم: كذبوا إبراهيم عليه السلام ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٦].

وقوم لوط: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل:٥٦].

[٤٤] ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾:

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ﴾: كذبوا نبيهم شعيباً وقالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [هود:٨٨].

﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾: أي: قوم فرعون كذبوا موسى.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، أمليت للكافرين: من هذه الأمم؛ أي: أمهلتهم وأخّرت عنهم العذاب حتّى تمادوا في الكفر والطّغيان والعصيان.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي في الزّمن، أخذتهم بالعذاب، والأخذ يعني: بشدة وقوة.

﴿فَكَيْفَ ﴾: استفهام فيها معنى التّقرير والتّعجب.

﴿ كَانَ نَكِيرِ ﴾: أي: كيف كان عاقبة إنكارهم وتكذيبهم لرسلهم، أخذناهم أخذ عزيز مقتدر، وأهلكناهم بذنوبهم فلا ناصر لهم. ولهم في الآخرة

عذاب أليم. ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (٣٢) لمقارنة فكيف كان نكير، وكيف كان عقاب.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾:

﴿فَكَأَيِّن﴾: الفاء: استئنافية، كأيّن: مركبة من (كاف) التّشبيه و(أي) الاستغراقية، تفيد التّكثير (مثل كم الخبرية)، وتفيد الاستفهام والتّفخيم. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٤٦) لمزيد من البيان.

﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: من الابتدائية، قرية: تعني أهل القرية، وهي أصغر من المدينة، قرية: نكرة؛ تعني: أيّ قرية.

﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾: انظر: هذه الآية تشير إلىٰ أمرين: الأول: استعمال فكأين (فيها؛ أي: التي تشير إلىٰ الكثرة). الثاني: أهلكناها وهي ظالمة بدون ذكر أي إمهال؛ أي: انظر إلىٰ كثرة القرىٰ التي أهلكناها بدون تأخير أو إمهال؛ أهلكناها بسبب ظلم أهلها وكفرهم وتكذيبهم، وارتكابهم المعاصي والشّرك والطّغيان، أهلكناها: من الهلاك؛ يعني: الموت أو زوال السلطان أو إهلاك الحرث والنسل، فالهلاك قد يصيب الإنسان والحيوان والزرع والقرىٰ. وليس بالضرورة يعني العقاب. ارجع إلىٰ الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ﴾: بعد إهلاك وقتل أفرادها، فهي: (هي) ضمير يفيد التّوكيد، بقيت غير مسكونة من بعدهم إلىٰ أن سقطت سقوف أبنيتها ثمّ تلتها الجدران، خاوية: ساقطة أو خاوية من السّكان، علىٰ عروشها: سقوفها وجدرانها.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: بئر مهجورة متروكة معطلة بسبب موت أهلها، مما أدىٰ إلىٰ غور مائها وذهابه، ولا زالت آثار البئر قائمة.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: أصل الشّيد: الجِصّ، قصر مجصّص، ومعطّل: غير مسكون خالٍ من ساكنيه، ولم يذكر في هذه الآية أنّه أملىٰ لهذه القرىٰ؛ لأنّه قال تعالىٰ في الآية السّابقة: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أفلم: الهمزة للاستفهام والتّعجب والتّوبيخ، والفاء للتوكيد بمعنىٰ الأمر؛ أي: لِمَ لا يسير كفار مكة الّذين كذّبوا رسول الله ﷺ. يسيروا في الأرض: أي يسافروا في الأرض إلىٰ ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم هود وغيرها؛ للسياحة والاعتبار ليجدوا ديارهم خالية وآبارهم معطلة ومنازلهم خاوية علىٰ عروشها.

فيدركون بعقولهم أنّ تكذيبهم لنبيّهم قد يسبب لهم هلاكهم كما حدث لهذه الأقوام، ويسمعون بآذانهم أخبار من سبقهم من الأمم.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: القلوب قيل: هي العقول؛ لأنّ التفكير يكون بالعقل ولولا القلب لتعطل العقل؛ لأنّه يضخ الدّم للعقل، وكذلك هناك اتصال بين المخ والقلب بواسطة اللنف والمجال الكهربائي والأعصاب وغيره، وعضلة القلب فيها خلايا تسمىٰ كارديوميوسايت في البطينة والأذينة وفيها مستقبلات تسمىٰ ادرينورجك، وخلايا عصبية لها شأن في الذاكرة والعاطفة

يطلق عليها أحياناً: الفؤاد أو القلب، وهذا ما يفسر قوله تعالىٰ: (لهم قلوب لا يفقهون بها)، أو كقوله تعالىٰ: (فتكون لهم قلوب يعقلون بها)، أو قوله: (قد شغفها حباً) [يوسف:٣٠]، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص:١٠].

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي: لم تعمَ أبصارهم آنذاك فقد كانت تبصر وترىٰ، وما أصابهم هو عمىٰ البصيرة عمىٰ القلب.

﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾: لكن: حرف استدراك.

تعمىٰ: من عمىٰ البصيرة. والعمىٰ: عادة هو فقدان البصر العادي، وقد وردت كلمة العمىٰ بمعنىٰ: فقدان البصيرة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩]، والعمىٰ يشمل العَمَه: وهو عمىٰ البصيرة، والتردد، والحيرة الذي يصيب القلب والعقل، وهو أشد من عمىٰ البصر.

القلوب الّتي في الصدور كما بيّنّا سابقاً.

❖❖❖

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

سورة الحج [الآيات ٤٧ - ٥٥]

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: كان منكرو البعث من كفار مكة يطلبون من النّبي ﷺ تعجيل العذاب الّذي يعدهم به؛ طغياناً وعناداً وعدم تصديق بما ينذرهم به كقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢]، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك:٢٥].

فجاء الرّد عليهم في كثير من الآيات منها هذه الآية (٤٧) من سورة الحج، والآية (٥٣) من سورة العنكبوت: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، والآية (٣٣) من سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: (لن) لنفي القريب والبعيد، (يخلف الله وعده)؛ أي لا محالة سيحل بكم العذاب عاجلاً أم آجلاً.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: أي: اليوم ليس (٢٤) ساعة، وإنما هو (١٠٠٠) سنة أرضية.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾:

جاءت هذه الآية لتؤكد الإمهال والإملاء وإن طال الزّمن، وأنّ الهلاك قادم لا محالة.

﴿وَكَأَيِّن﴾: الواو عاطفة. ارجع إلىٰ الآية (٤٥) للبيان.

ولنقارن الآية (٤٥) ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾، والآية (٤٨) ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾. في الآية (٤٥) ذكر كثرة القرىٰ المهلكة بظلم بدون ذكر الإمهال أو التأخير. في الآية (٤٨) ذكر كثرة القرىٰ المهلكة بظلم مع ذكر الإمهال رغم أن أهلها يستعجلونك بالعذاب.

الآية (٤٥) سبقها قوله: (فأمليت للكافرين) فلم يذكر الإملاء في تلك الآية، وذكر الهلاك الّذي يكون عادة بعد الإملاء، أمّا الآية (٤٨) سبقها قوله: (ويستعجلونك بالعذاب) فذكر (أمليت لها) (أي: لم أعجل عليهم العقوبة رغم استعجالهم بالعذاب) ثمّ الهلاك، فكلا القريتين وصفت بظلم أهلها، إحداهما أعطيت فترة الإملاء؛ أي: الإمهال، ثمّ كلاهما أهلكت في النهاية فالنتيجة واحدة.

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٤٥) للبيان، أخذتها: أهلكتها. والأخذ يوحي بالعنف والشدة وعدم القدرة علىٰ الإفلات.

﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾: النّهاية التي ستكون الوقوف بين يدي الله سبحانه للحساب.

[٤٩] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ، يا أيها: يا النّداء، والهاء للتنبيه، النّاس: الثّقلين الإنس والجن، البشرية عامة.

﴿إِنَّمَا﴾: وهذه الآية تدل علىٰ أنّ رسول الله ﷺ رسولٌ إلىٰ النّاس عامة وإلىٰ المسلمين خاصة، (إنما) كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل يفيد التّوكيد والحصر.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم: للمؤمن والكافر والإنس والجن للذكر والأنثى.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: نذير من الإنذار: وهو الإعلام مع التّحذير من العقاب والهلاك، مبين؛ أي: لكلّ واحد لكلّ عبد، وإنذاري واضح وكامل وبيّن شامل ولا يحتاج إلى من يُبيّنه (يوضحه).

وانتبه إلى قوله تعالى في نهاية الأمر: (نذير مبين) وأحياناً لا يذكر ذلك فيقول تعالى: (إن أنا إلا نذير) بدون (مبين) فالآية الأولى تأتي في سياق الدّعوة إلى الله والتّبليغ، والثّانية تأتي في سياق الوحي عادة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢].

وفي هذه الآية لم يقل إنما أنا لكم بشير ونذير؛ لأنّ الآية جاءت في سياق منكري العذاب، فهؤلاء ليس لهم بشارة، ولذلك اقتصر على القول: نذير.

وقوله: إنما أنا لكم نذير مبين: أي إنما عليَّ البلاغ المبين فقط، ولست مسؤولاً عن هدايتكم وحسابكم، وما أنا عليكم بوكيل.

[٥٠] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: للتفصيل، الّذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ءَامَنُواْ﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض والنّوافل، وعملوا الصّالحات تشمل الأقوال والأفعال التي تضم شعب الإيمان.

﴿لَهُم﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: لما سلف من ذنوبهم وسيئاتهم، والمغفرة تعني: ستر الذنب بإيجاب التوبة، ثم المحو والعفو والثّواب لما فعلوه من حسنات.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: كثير مبارك حلال، ويعني الجنة وغيرها، والرّزق يشمل المال والصّحة والعلم، والأهل والجاه والعمل والأخلاق وغيرها.

[٥١] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿سَعَوْا﴾: من السّعي: وهو السّير الدّؤوب بجد واهتمام.

﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: لإبطالها وتكذيبها، وقولهم: أنّها شعر وسحر وأساطير الأولين وإفك. وآياتنا تشمل الآيات القرآنية أو المعجزات أو الآيات الكونية.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: أي: للأنبياء والرّسل والمؤمنين، ويصدون النّاس عن دينهم وإظهار الحق، والمجادلة بالباطل وعدم السّماع لآيات الله والإعراض عنها، ويظنون أنّهم يعجزون ربهم. ومعاجزين: جمع معاجز: اسم فاعل من الفعل عَاجَزَ على وزن مفاعل، وعَاجَزَ: غير عجز؛ أي: لم يقدر عليه. عاجز: تعني: تحداه أو غالبه، والمعاجزة تحتاج إلى اثنين؛ أي: يظنون أنهم يعجزوننا؛ أي: يسبقونا فلا نقدر عليهم أو يفوتوننا بالهرب.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: أولئك: اسم إشارة يفيد البعد في المنزلة، أصحاب الجحيم (أصحاب) مشتقة من: الصّحبة، والصّاحب؛ أي: الملازم، الجحيم: اسم من أسماء النّار مشتقة من: الجحوم؛ أي: الاضطراب والتأجج فلا تخمد أبداً، وقيل: هي دركة من دركات النّار. فهم لا يفارقون جهنم ولا جهنم تفارقهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو استئنافية، ما النّافية.

﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: ولم يقل بعثنا، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان والتّفصيل في معنى أرسلنا.

﴿مِن قَبۡلِكَ﴾: من استغراقية.

﴿مِن رَّسُولٖ﴾: من ابتدائية، رسول: الرّسول: من بُعث بشرع جديد، وكلّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسولاً.

﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾: تكرار لا: يفيد التّوكيد وفصل كلٍّ من الرّسول، من النّبي، أو كلاهما معاً.

والنّبي: من بُعث لتقرير شرع من قبله من الأنبياء والرّسل والعمل به، ولم يأت بشرع جديد. ارجع إلى سورة النّساء آية (١٦٤) لمزيد من البيان عن الرّسول والنّبي.

﴿إِلَّآ إِذَا﴾: إلا أداة حصر. إذا: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾: تمنى: لها معنيين: الأول: بمعنى: قرأ وتلا من القراءة والتّلاوة؛ أي: يمكن للشيطان أن يتدخل في فهم الآيات والتّأثر بها ويضع الوساوس في عقول النّاس؛ ليصدّهم عن اتباع ما يقرأه ويتلوه النّبي ويوسوس لهم أنّه سحر، أو (تمنى) من التّمني المعروف، وهذا هو المعنى الثاني؛ كالقول: ليت كان كذا وليت لم يكن، وقد يقع على الماضي والمستقبل؛ فهو معنى في النفس، ويعني: المحبة، ولكن المحبة لا تقع إلا على المستقبل؛ أي: أحب الشّيء وتمنّاه، وهو تمنّيه إسلام كلّ فرد من أمته، فكلّ رسول أو نبي

يتمنّى أن يؤمن كلّ أفراد قومه أو أمته، ويتمنّى أن يصدقوه ويؤمنوا بما جاء به، فيأتي الشّيطان فيوسوس في صدور بعض النّاس أو أكثر النّاس، ويزين لهم ويعمل على إغرائهم، ليصدّهم عن اتباع النّبي وعن الإيمان والدّخول في دين الله، أو يمنع نفوذ القرآن إلى قلوب النّاس ويضع العراقيل والعقبات في دعوة الرّسل والأنبياء؛ حتّى لا يتم للنبي أو الرّسول ما يتمنّاه من إيمان أفراد أمته؛ أي: يقف حائلاً بين الرّسول أو النّبي وما يتمنّاه.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ النسخ: هو الإزالة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٠٦) لمزيد من البيان. يمحو الله سبحانه ويزيل كلّ ما يلقي الشّيطان في كتاب الله من تبديل وتحريف أو باطل، فلا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا خلفه، وينسخ الله؛ أي: يزيل من قلوب المؤمنين الشّك والرّيبة، ويثبت الله سبحانه آياته في قلوب الّذين آمنوا، فتصبح وساوس الشّيطان أو ما يلقيه الشّيطان إليهم لا قيمة له ولا وزن.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري، يُحكم الله آياته: أي: يجعلها محكمة غير منسوخة، فلا يصيبها تبديل ولا تحريف.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بأفعال الشّيطان وأحواله وأقواله، وعليم بأحوال النّاس وأقوالهم وأفعالهم وبما أوحى إلى رسله، ويعلم ظواهر الأمور وبواطنها، حكيم: من الحكمة والحكم، فهو سبحانه أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء في خلقه وشرعه وأفعاله وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لبيان معنى حكيم.

[٥٣] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿لِّيَجْعَلَ﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قال تعالىٰ في الآية السّابقة: فينسخ الله ما يلقي الشّيطان. والنّسخ هو: الإزالة، كما بيّنّا في الآية السّابقة.

وفي هذه الآية يقول: (ليجعل ما يُلقي الشّيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم)، فيكون المعنىٰ: فينسخ الله ما يلقي الشّيطان؛ أي: من قلوب الّذين آمنوا؛ لأنّهم أصلاً لا يتبعون خطوات الشّيطان ولا وساوسه ولا إغواءه، فالله سبحانه يساعد هؤلاء علىٰ إلغاء كلّ ما يلقي الشّيطان في قلوبهم.

أمّا بالنّسبة للذين في قلوبهم مرض؛ أي: المنافقين والقاسية قلوبهم، فهؤلاء يجعل؛ أي: يترك الله سبحانه ما يلقي الشّيطان في قلوبهم فتنة لهم، وليكون عليهم حجة، وهذه الفتنة ليبين لهم المؤمن من المنافق والصّادق من الكاذب، فالفتنة قد تكون خيراً إذا فازوا بالاختبار وشراً لهم إذا استمروا في غيّهم وضلالهم، للذين في قلوبهم مرض: أي المنافقين، والقاسية قلوبهم: من الأعراب أو كفار اليهود والنّصارىٰ وغيرهم من النّاس.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: إنّ للتوكيد، الظالمين: المشركين أو الكافرين، لفي: اللام تفيد التّوكيد أيضاً، شقاق بعيد: في عداوة وخلاف دائم وعناد وعصيان مستمر لله ورسوله، وبُعد عن الحق والصّواب، من الصّعب الرجوع عنه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٣٥) لبيان معنىٰ الظالمين.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

هذه هي العلة الثّانية لماذا لم ينسخ الله كلّ ما يلقيه الشّيطان؟ العلة الأولىٰ: كانت لفتنة الّذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، والعلة الثّانية: وليعلم الّذين أوتوا العلم أنّه الحق من ربك فيؤمنوا به

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: اللام للتوكيد، الّذين أوتوا العلم: هم المؤمنون وهم أهل القرآن والتوحيد.

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: لأنّه سبحانه نسخ كلّ ما ألقىٰ الشّيطان ولم يسمح لأيِّ مخلوق أو كائن مهما كان أن يتدخل في كتابه العزيز، فلا يجدون فيه تحريفاً ولا زيغاً ولا تبديلاً، فيعلمون بذلك أنّه الحق من ربهم؛ أي القرآن والحق هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل أبداً منذ نُزّل علىٰ قلب رسوله محمّد ﷺ.

﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾: أي: بالله وبكتابه، أي: يزداد إيمانهم بالله وبكتابه العزيز.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تخبت: تطمئن قلوبهم له أو تلين وتسكن وتخشع.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إنّ للتوكيد، واللام في كلمة (لهاد) لزيادة التّوكيد، هاد الّذين آمنوا: دالٌّ ومعينٌ، إلىٰ صراط مستقيم: هو الإسلام دين الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمّد:١٧].

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو استئنافية، لا النّافية.

﴿يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: المِرية: هي الجدال والشّك بعد ظهور الحق.

لا يزال: أي سيبقى ويستمر الّذين كفروا يجادلون في القرآن وآياته، والملحدون في مرية في وجود الخالق من بعد ما تبيّن أنّه الحق من ربك، ولا يؤمنون به، وفي مِرية منه؛ أي: من القرآن أو الخالق أو الرسول حتّى تأتيهم السّاعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: حتّى: حرف نهاية الغاية، تأتيهم السّاعة بغتة: فجأة بدون سابقة إنذار، السّاعة ساعة تهدّم النّظام الكوني الحالي، أو ساعة موتهم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: كيوم بدر أو يوم القيامة، وسمّي بهذا الاسم (يوم عقيم)؛ لأنّه لا رحمة فيه ولا خير ولا فرج للكافرين والمشركين، أو لكونه لا يأتي يوم بعده أو ليس له ليلة.

ويوم عقيم كيوم بدر (غزوة بدر) ووصف بالعقيم؛ لأنّ كثيراً من النّاس يُقتلون فيه فتصبح أمهات هؤلاء الّذين يُقتلون كأنهنّ عقيمات لم يلدن (لأن أولادهن قُتلوا وماتوا).

❖❖❖

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

سورة الحج [الآيات ٥٦ - ٦٤]

[٥٦] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾:

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: الملك: الحكم يومئذ (يوم القيامة) لله وحده، فهو الحاكم والمالك، وهو مالك الملك في الدّنيا والآخرة سبحانه.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين النّاس وبني الأمم وبين الرّسل وأممهم، وبين الظّالم والمظلوم، ولا يحتاج إلىٰ بينة ولا شهود؛ لأنّه سبحانه علىٰ كلّ شيء شهيد.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: الفاء للتفصيل، الّذين آمنوا وعموا الصّالحات: ارجع إلىٰ الآية (٥٠) من السّورة نفسها. في جنات النّعيم: جنات الفردوس وعدن والمأوىٰ. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٩) لبيان معنىٰ جنات النعيم.

[٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جمعوا بين الكفر والتّكذيب ولم يؤمنوا أو

يصدقوا بآياتنا القرآنية أو الكونية، أو المعجزات الّتي أرسلت إلىٰ رسلهم، الباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد عن رحمة الله تعالىٰ.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: عذاب أمام الخلق فيه الذّل والإهانة.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: تركوا ديارهم وأموالهم في سبيل الله؛ أي: ابتغاء مرضاة الله كهؤلاء الّذين هاجروا من مكة إلىٰ المدينة.

﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ﴾: ثمّ للترتيب الذّكري العددي، قتلوا في سبيل الله أو ماتوا علىٰ فُرشهم دون جهاد؛ لأنّهم هاجروا في سبيل الله.

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: ليرزقنهم: اللام والنّون للتوكيد وزيادة التّوكيد، ليرزقنهم الله عوضاً عمّا فاتهم وما تركوه خلفهم من مال وأهل، رزقاً حسناً: الرّزق الحسن هو الرّزق الدّائم الّذي لا ينقطع، وقيل: هو الجنة، وقيل: الرّزق الحسن: هو ليدخلهم مدخلاً يرضونه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: إنّ للتوكيد، لهو: اللام للتوكيد

أيضاً، خير الرّازقيـــن: جمع رازق كون العبد يوصف بأنّه رزاق هو من فضل الله على عبده ورحمته وكرمه، فهو ســبحانه يصفه بما يصف به ذاته، ولكنه سبحانه هو الرزاق الحقيقي والدائم؛ فهو خير من يرزق وهم يرزقون من رزقه فســبحانه ما أكرمه.

[٥٩] ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾:

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم ﴾: الــلام للتوكيد، والنّون في (يدخلنهــم) لزيادة التّوكيد، والضّمير (هم) يعود على الّذين هاجروا في سبيل الله، ثمّ قتلوا أو ماتوا.

﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾: أي: الجنة، وأيُّ مُدخــل أفضل من ذاك المُدخل، يرضونــه: الرّضا هو القناعة وما تبغي النّفــس، والمدخل: يمكن أن يكون؛ أي: المكان، فيدخلــون مدخلاً، أو يمكن أن يكون مصــدراً؛ أي: ليدخلنهم إدخالاً يرضونه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَعَلِيمٌ﴾: اللام للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة من: عالم؛ أي: كثير العلم بكلّ أحوال خلقه وكونه، عليم بما يســتحق كلّ إنسان من ثواب وعقاب. وعليم بمن هاجر ومن جاهد في سبيله، وعليم بنياتهم وأحوالهم، ومن مات ومن قتل.

﴿حَلِيمٌ﴾: لأنّه لا يعجل لــه العقوبة أو العذاب لعبــاده؛ لعلهم يتوبون إليه ويســتغفرونه فيغفر لهم ذنوبهم ويتجاوز عن ســيئاته. وحليم بمن لم يهاجر ويجاهد في سبيله.

[٦٠] ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ ما وعده الله سبحانه لمن هاجر في سبيله وقتل في سبيل الله أو مات، وتستعمل بعد إتمام المعنىٰ والبدء أو الخوض في معنىٰ آخر.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ﴾: من ابتدائية، عاقب بمثل ما عوقب به؛ أي: قاتل المشركين كما قاتلوه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ:٤٠].

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: أي: ظُلم أو أُجبر علىٰ الهجرة مثلاً، أو انتقموا منه؛ لأنّه قاتلهم، لينصرنه الله.

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: اللام: للتوكيد، والنّون في ينصرنه: لزيادة التّوكيد، والنصر يختص بالمونة علىٰ الأعداء، أو يكون بالحجة والدليل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: إنّ: للتوكيد، لعفو: اللام: للتوكيد؛ العفو: عدم العقوبة علىٰ الذّنب، غفور: صيغة مبالغة من: غفر؛ أي: كثير الغفران، ويعني: ستر الذّنب والعفو عنه، فلا يعاقب عليه ويثيب المغفور له علىٰ حسناته.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾: ذلك: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد تستعمل بعد إتمام المعنىٰ والبدء والخوض في معنىٰ جديد أو آخر؛ أي: للبدء بآية جديدة.

أي: ذلك نصر الله سبحانه لعباده المظلومين وهو آية من آيات قدرته وعظمته.

أيضاً كونه هو الّذي يولج الليل في النّهار ويولج النّهار في الليل، الولوج: الدّخول أو التداخل. من الناحية العلمية الولوج يعني: كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشّمس، والذي يؤدي إلى تبادل الليل والنهار الضروريين لاستقامة الحياة على هذه الأرض. ومن النّاحية اللغوية يعني: تداخل الليل في النّهار والنّهار في الليل بحيث إذا طال أحدهما نقص الآخر، كما يحدث في فصلي الصيف والشتاء.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: وأنّ للتوكيد، سميع: للأقوال والأصوات لا يخفى عليه شيء من قول أو نجوى أو سر أو أخفى من السّر، بصير: بالأفعال ويرى الأشياء ظاهرها وباطنها.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى القدرة على إيلاج الليل في النّهار والنّهار في الليل، والبدء والخوض في معنى جديد بعد إتمام المعنى السّابق.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الباء باء التّوكيد أو السّببية والإلصاق، (هو) تفيد الحصر والتّوكيد، الحق: واجب الوجود وكلّ شيء ينسب إليه حقٌّ، فالمولج الليل في النّهار والنّهار في الليل هو الحق، الإله الحق الثّابت الّذي لا يتغير أو

يتبدل، وبما أنّ الله هو الحق والحق هو الّذي يعلو ولا يُعلىٰ عليه، فهو العلي الكبير.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾: أنّ: للتوكيد، ما: لغير العاقل، يدعون من دونه: يعبدون من دون الله سبحانه، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿الْبَاطِلُ﴾: هو الزّائل، ما لا وجود له حقيقة؛ ويعني: الشّرك، والباطل يطلق علىٰ الكذب ويطلق علىٰ الإحباط كقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ ويطلق علىٰ الظّلم، ارجع إلىٰ سورة الأنبياء الآية (١٨).

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: وأن للتوكيد، (هو) للتوكيد والحصر، العلي: علوّ الجلال والكمال والإطلاق، العلي سلطانه وقدرته وإحاطته بكلّ شيء، علوّ الذّات والصّفات والأسماء، الكبير: العظيم الشّأن الكبير في عظمته وكبريائه، فهو أكبر وأعلىٰ وأعظم من كلّ شيء، ارجع إلىٰ سورة الرّعد الآية (٩) للبيان.

ولنقارن هذه الآية (٦٢) وهي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، مع الآية (٣٠) من سورة لقمان وهي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

نجد أنّ الاختلاف فقط بإضافة كلمة (هو) في سورة الحج للتوكيد؛ لأنّ السّياق في سورة الحج في الهجرة والقتل والموت والتّكذيب بالآيات وصراع أهل الباطل، أمّا السّياق في سورة لقمان فهو في اتباع ما أنزل الله تعالىٰ أو اتباع

الشّيطان، سياق جدال لإظهار الحق من الباطل، فهو أقل شدة وقوة؛ ولذلك أكد في سورة الحج بإضافة (هو) ولم يؤكد في سورة لقمان.

[٦٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير.

﴿تَرَ﴾: رؤية بصرية ورؤية علمية؛ أي: ألم تعلم.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أن: للتوكيد. من السماء: كل ما علا الإنسان يُعد سماء، فالسحب تسمىٰ سماء؛ أي: من السُّحب الركامية. هذه الآية تشير إلىٰ دوران الماء حول الأرض، والذي يتشكل من بخار الماء من البحار والمحيطات واليابسة بمقدار (٦٠٠،٠٠٠ كم٣) سنوياً، والذي تحمله الرياح ويشكل السُّحب الطباقية، والّتي تتراكم لتشكل السُّحب الركامية الّتي تنزل المطر بعد التّلقيح برياح أخرىٰ.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، الأرض مخضرّة؛ أي: ذات خضرة بعد أن كانت هامدة يابسة، ثمّ اهتزت وربت بالماء وأنبتت من كلّ زوج بهيج، قال (فتصبحُ) بالضم بدلاً من فتصبحَ بالفتح؛ لأنّه سبقها استفهام بألم، فبذلك أثبت الاخضرار، أو عطف المضارع المستقبل (تصبح) علىٰ الماضي (أنزل) لحكاية الحال؛ أي: لاستحضار تلك الصورة الجميلة (الأرض مخضرة) والدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ، وربما تدل علىٰ استمرار اخضرار الأرض لزمن طويل؛ يعني: أصبحت فبذلك أثبت الاخضرار، فالتربة تحوي ملايين الكائنات

الخامدة أو الراكـدة، وبمجرد نزول المطر تحيا هذه البـذور وتنمو بامتصاص الغذاء الّذي أذابه الماء، فتمتصه بجذورها وتخرج السويقة ثمّ الأوراق الّتي فيها مادة اليخضور. ارجع إلى الآية (٥) من السّـورة نفسها، وسورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: إنّ للتوكيد.

لطيـف: اللطيف؛ يعني: يعلم أدق الأشـياء والأمـور والمخلوقات الّتي يصعب رؤيتها بأيِّ وسـيلة ومهما لطفـت؛ أي: صغرت ودقّـت يعلم أماكنها وأحوالها وأسـرارها أينما كانت ووجدت، وهو سبحانه لا تدركه الأبصار؛ لأنّه لطيف يصل علمه إلى كلّ خفي أو ظاهر. لطيف بعباده يبرّهم ويحسن إليهم.

لطيف: لها معانٍ عدَّة منها: أنّه يعلم أدقّ وألطف المخلوقات أو الأشـياء والأمور مهما دقّت وصغرت، والّتي يصعـب رؤيتها بالعين وتناهت في الصغر يعلم أين توجد وكيف يجدها، ويعلم أسرارها وأحوالها وأماكنها.

خبير: يعلم بواطـن الأمور وظواهرها، وذوات الصّـدور، خبير بمصالح العباد وبالمقادير.

[٦٤] ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾:

﴿لَّهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: له وحده سبحانه ما في السّموات وما في الأرض.

﴿مَا﴾: لغير العاقل والعاقل.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في ظرفية، السّموات السّبع؛ أي: السّموات نفسها وما تضم من مخلوقات من ملائكة مقربين وغير مقربين، ما في السّموات من كواكب ونجوم وأفلاك ومجرات وما فيها من شموس وأقمار، وما في الأرض؛ أي: الأرض وما تضم من كنوز وبحار وجبال وأشجار وحدائق وإنس وجنّ ورياح وسُحب، وتكرار كلمة (ما في) لأنّ هناك أشياء أو مخلوقات في السّموات لا توجد على الأرض وبالعكس.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: إنّ للتوكيد، واللام في (لهو) لزيادة التّوكيد، وللواو هنا دلالة كبرى فهي تفيد التّكثير من غناه، ومعنى ذلك: ولو ذهب ملك السّموات وملك الأرض سيبقى هو الغني المطلق لا أغنى منه.

الغني: عن كلّ ما سواه، ولا يحتاج إلى شيء، ويغني من يشاء من غناه.

الحميد: من الحمد، المحمود بحق في كلّ الأحوال في الغنى والفقر، المحمود لذاته ولصفاته ولأفعاله، الحميد وله الحمد على خلقه وشرعه وقدره وقضائه، يحمده كلّ من في السّموات والأرض؛ لأنّه هو المستحق للحمد لفضله وإحسانه وكرمه وعطائه.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ ۖ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

سورة الحج [الآيات ٦٥ - ٧٢]

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة للاستفهام والتّقرير، ترَ: الرّؤية هنا رؤية قلبية وعلمية وبصرية؛ أي: ألم ينتهِ علمك أو تفكر.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أنّ: للتوكيد، (سخر لكم) أيها النّاس سخر؛ أي: ذلّل لكم، وهيّأ لكم الأرض للعيش عليها، وذلك بخلق الجبال وعوامل التّعرية وشقّ الفِجاج والسُّبل. ما: تشمل كلّ شيء ما في الأرض في ظاهرها وفي باطنها، من ثمار وزروع وطاقة ومعادن وبترول وكنوز؛ للانتفاع بها وللدلالة على رحمته بكم وقدرته وعظمته.

﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: السّفن والفلك (جمع أو مفرد)؛ أي: هو سبحانه الّذي جعل لماء البحر صفات كيميائية وطبيعية تشكّل ما يسمى: ظاهرة التوتر السطحي، الّتي تمثل شدة تماسك جزيئات الماء مع بعضها البعض؛ لتساعد على حمل هذه الفلك العملاقة القادرة على حمل ملايين الأطنان، تجري في البحر لنقل الرّكاب والبضائع، تجري بتسخيره وتسييره من بلد إلى آخر، فتتم التّجارات، وتبادل الحوائج والمنافع ويحصل التّعاون كما قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء:٦٦].

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: يُبقي السّماء بما فيها من

كواكب ونجوم وشموس وأقمار مترابطة بنظام الجاذبية والقوىٰ النووية بنظام دقيق كلٌّ يجري في مداره الخاص الثّابت، ولو شاء الله لأذن للسماء أن تسقط علىٰ الأرض فيهلك كلّ من في الأرض، ولكن من رحمته ورأفته بالنّاس يبقي قوانين الجاذبية قائمة بدون أي تغيير. فلا تصطدم الكواكب ببعضها وتسقط علىٰ الأرض فتدمرها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾: إنّ للتوكيد، بالنّاس: الباء للإلصاق، ولولا رحمته لما شعرتم بالأمن والاستقرار.

﴿لَرَءُوفٌ﴾: اللام للتأكيد، رؤوف: الرّأفة من الرّحمة، ورؤوف بالنّاس: لا يحمّلهم ما لا يطيقون. ارجع إلىٰ سورة النّحل آية (٤٧) لمزيد من البيان.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لأنّه يمسك السّموات أن تقع علىٰ الأرض، ولأنّه يُزجي الفلك في البحر، ولأنه سخّر لكم ما في السّموات والأرض جميعاً منه. بالمؤمنين رؤوف رحيم.

[٦٦] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: هو: ضمير منفصل للحصر والقصر.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾: في الأرحام بنفخ الرّوح، ثمّ يخرجكم طفلاً.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انتهاء آجالكم، (ثمّ) تفيد التّرتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند البعث للحساب والجزاء، أليس ذلك بكافٍ لتؤمنوا به وحده؟

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾: إنّ واللام في (كفور) تفيدان التّوكيد، لكفور:

جاحـد لنعم ربه، كفور: صيغة مبالغة من: كافـر: كثير الكفر؛ كفر إيمان وعقيدة وكفر لنعمه، والكفر يعني: السّـتر. ارجع إلىٰ سـورة الأعـراف آية (٥١) وكما بيّن في سـورة النّحل آية (٨٣) ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

[٦٧] ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾: جماعة من النّاس تجمعهم عقيدة ما بغضّ النّظر عن الحيز الجغرافي والعدد.

﴿جَعَلْنَا﴾: صيّرنا.

﴿مَنسَكًا﴾: المنسك: كلّ ما يتقرّب به إلىٰ الله من شريعة ومنهاجاً للعبادة، وشاع استعمال المناسك في أعمال الحج، منسكاً: من مَنْسَك: بفتح السّين بمعنىٰ: الأفعال كالطّواف والسّـعي والذّبح والرّمي، مَنْسِك: بكسر السّين: المكان الّذي تقام عندها الأفعال مثل: الكعبة وعرفات ومنىٰ والصّفا والمروة والحجرات.

والمناسـك: هي أعمال الحج الّتي تؤدّىٰ فـي أمكنة محددة معينة وأزمان محددة.

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: هـم: للتوكيد، ناسـكوهُ: يتعبدون بـه أو يتقربون به إلىٰ الله تعالىٰ.

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: الفاء: للتوكيد، لا النّاهية، والنّون في (ينازعنك) للتوكيد، والخطاب موجّه إلىٰ رسول الله ﷺ.

﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾: في الدّين أو الأحكام؛ أي: فلا ينازعنّك، والنزاع: هو الخصام والجدال؛ أي لا ينازعنّك المشـركون في أمر الذبائح حين قالوا: كيف تأكلون ما

قتلتم ولا تأكلون ما قتل اللـــه؛ أي: الميتة؟! فلا تنازعهم ولا ينازعونك ولا تتبع أهواءهم.

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: دين ربك وعبادته وتوحيده والإخلاص له.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: لعلـــى: اللام للتوكيد، على هدىً مســـتقيم: دين الحق؛ أي: الإسلام، الدّين القيّم السّـــوي الموصل إلى الغاية بأقصر السّبل وأيسرها، (على) تفيد العلوّ والثّبات.

[٦٨] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والنّدرة.

﴿جَٰدَلُوكَ﴾: مـــن الجدال: هو الحوار الّذي يحـــدث بين طرفين، أو عدة أطراف، ويكون لإظهار حُجة، أو لدفع شـــبهة أو إثبات حق، والجدال أشـــد من الحوار حدّةً ومخاصمةً؛ أي: جادلوك بعدما تبيّن لهم الحق في أمر الذّبائح أو أمر من أمور الدّين، وبعد أن حاولت تجنّبهم ومنازعتهم وأبوا إلا أن يجادلوك عندها فقل لهم: الله أعلم بما تعملون.

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ﴾: أي: ردّهم إلى الله سبحانه.

﴿أَعْلَمُ﴾: صيغـــة مبالغة ولـــم يقل عالم بل: أعلـــم؛ أي: يعلم كلّ نواياكم وأعمالكم.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: البـــاء للإلصاق والحجة، ما: اســـم موصول بمعنى الّذي وأوسع شـــمولاً من الذي، أو مصدرية: أعلم بأعمالكم، تعملون: تضم الأقوال والأفعال، وفي الآية نوع من الوعيد.

[٦٩] ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾:

لاحظ قوله تعالىٰ: يحكم بينكم، ولم يقل يحكم بيننا وبينكم. هذا يدل علىٰ أنّ الجدال أو الخلاف القائم بينهم وبين رسول الله ﷺ سيتوقف؛ لأنّه علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل، ولأنّه أمر رسوله بالإعراض عنهم وردّهم إلىٰ الاحتكام إلىٰ الله وحده سبحانه، كما في الآية السّابقة، وتدل علىٰ أنّ الخلاف بينهم سيستمر حتّىٰ يحكم الله بينهم يوم القيامة في الأمور الّتي اختلفوا فيها؛ لأنّهم اتبعوا الهوىٰ والباطل، ولو اتبعوا ما أنزل الله لما حدث الاختلاف.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي يقضي بينكم (الحكم هنا يعني القضاء) وليس الفصل؛ لأنّ الحكم يستعمل بين أفراد الأمة الواحدة، كما هو الحال في هذه الآية، والفصل يكون بين الأمم المختلفة أو بين الأنبياء والأمم، والفصل: يعني الحكم بأن يذهب فريق إلىٰ الجنة وفريق إلىٰ السّعير. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿فِيمَا كُنتُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمور الدّين، وهذا أدب ومنهاج يعلّمه الله سبحانه لعباده كيف يردّوا علىٰ من يجادلهم في أمور دينهم، وما ينبغي من جداله إلا إضاعة الوقت وعدم الاستماع إلىٰ الحق، والسّمعة والرّياء بعدم مناظرته والابتعاد عنه والقول له: الله أعلم بما تعمل.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: استفهام يراد به التّقرير، أسلوب من أساليب البيان. الله سبحانه هو المتكلم وهو يخبر بذلك، ولكن الله

يريد أن يكـــون الخبر من المخاطب وليس منه، ويكون إقـــراراً من العبد ليكون حُجة على العبد.

الهدف مـــن ذكر هذه الآية هنا: أنّها تحمل الوعد والوعيد، الوعيد بالشّـــر للذي يجادل في أمور الدّين والآيات بعدما تبيّن له الحق، وهذا يســـمى المِراء، والوعد بالخير للذي هو على هدى مستقيم، وما دام الله سبحانه سيحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون، فاطمئنوا إلى حكمه ســـبحانه؛ لأنّه ســـبحانه يعلم ما يجري ويحدث في السّـــماء والأرض ولا يحتاج إلى شهود ولا أيّ أدلة، والحاكم يجب أن يكون على علم، فهو سبحانه يعلم ما في السّماء والأرض وكلّ صغيرة وكبيرة، حتّى الورقة حين تسقط يعلمها ويعلم مستقرها ومستودعها، وهو أعلم: صيغة مبالغة على وزن (أفعل) لا أعلم منه سبحانه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾: إنّ: للتوكيد، ذلك: اســـم إشارة يشير إلى ما تعملون وتجادلـــون وتختلفون فيه، في كتاب: أي مدوّن فـــي كتاب أعمالكم وفي اللوح المحفوظ، معلوم لله سبحانه أزلاً من قبل أن تُخلقوا ومن قبل أن تفعلوه، ومجيء الأشياء يكون حسب ما كتبه الله سبحانه سابقاً في اللوح المحفوظ، فالذي كتب الشّيء قبل أن يكون ثمّ جاء الشّيء موافقاً لما كتب، أكبر دليل على علمه سبحانه وإحاطته بكلّ شـــيء، وكتابة أعمالكم من قبل الملائكة؛ لتكون حجة عليكم يوم القيامة، ولكي تقرأ كتابك بنفســـك كما قـــال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: إن: للتوكيد. ذلك: اســـم إشارة يشير إلى الكتابة والحفظ، والإحاطة وعلمه، كلّ ذلك على الله يســـير، وليس هناك شيء صعب ولكن في تقديركم صعب وبالنّســـبة له يسير، وإنما يذكر ذلك ليقرّبه إلى عقولنا، فالكل على الله يسير.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر (لكلّ أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) أي: منهجاً واضحاً كيف يعبدون الله وحده ويتقرّبون إليه، ألا تعبدوا إلا الله وحده، استمرّ بعضهم يعبدون غير الله، وجاء بصيغة المضارع يعبدون؛ لتجدّد عبادتهم واستمرارهم على الشّرك بدلاً من القول: وعبدوا من دون الله.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ﴾: غير الله؛ أي: الأصنام والأوثان وغير ذلك.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الّذي، و(ما) أوسع شمولاً من (الذي). ويعبدون الّذي لم ينزل به أيُّ دليل أو برهان في الكتاب أو الوحي، أو يجبرهم على ذلك بسلطان القوة والقسر.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي: وما ليس لهم به من علم، أو اجتهاد مستنبط من نص قاطع أو ظني أو علم استدلال، وتكرار (ما) لتأكيد النّفي وفصل العلم عن السلطان أو كلاهما.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: ولم يقل: وما للظالمين من أنصار؛ ما للنفي، للظالمين: لام الاختصاص، والاستحقاق، للظالمين: للمشركين، جمع ظالم: والظالم هو كلّ من يخرج عن منهج الله هو ظالم لنفسه. من ابتدائية استغراقية، نصير: أي: ناصر أو معين: من يشفع لهم أو يدفع عنهم العذاب أو يكون عليهم وكيلاً. من نصير: من: استغراقية، نصير: صيغة مبالغة أقوى من ناصر، وتعني: الظالمين بالشرك وأنواعه. وما للظالمين من أنصار: تعني: الظالمين بأمور غير الشرك. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧٠) للبيان.

انظر إلى قوله في سورة الحج الآية (٧١): ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾، وقوله في سورة الزّخرف الآية (٢٠): ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

الآية في سورة الحج: جاءت في سياق عبادة الأصنام الأوثان، والذين عبدوها عندهم شيء من العلم ولكنه علم قليل.

الآية في سورة الزّخرف: جاءت في عبادة الملائكة؛ أي: في سياق هؤلاء من عبدوا الملائكة وقالوا: إنّها إناث ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ﴾ [الزخرف:٢٠]. هؤلاء ليس عندهم أدنى أو أقل علم، فهم أغبياء جداً يحتاجون إلى مقدار كبير من العلم، فقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ آكد وأقوى من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ولذلك قال: (إن هم إلا يخرصون)؛ لأنّ هؤلاء أوّلاً أشركوا بالله، وثانياً افتروا على الله الكذب بالقول: لو شاء الله ما عبدناهم، وثالثاً: زعموا أنّهم يعلمون الغيب بالقول: إنّ الملائكة إناث.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: وإذا: الواو عاطفة، إذا: ظرف زماني متضمن معنى الشّرط، ويفيد الحتمية أو كثرة الوقوع. تتلى عليهم آياتنا بينات: إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم من رسول الله أو الصّحابة. (ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة سبأ): ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ۚ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. عليهم؛ أي: الّذين يجادلون في آيات الله.

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾: تظهر الكراهية على وجوههم (بالغضب أو الانفعال أو العبوس)، المنكر: هنا يعني الإنكار: إنكار ما يسمعون؛ أي: عدم تصديقه واتباعه.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾: يكادون: من: كاد وهو من أفعال المقاربة (لمقاربة حصول الفعل)؛ أي: قارب الحصول ولم يحصل، يَسطون من: السّطو: وهو الفتك والبطش؛ أي: يبسطون إليهم أيديهم بالسّوء من شدة الغيظ والعنف، وأصل السّطو: القهر؛ أي: يكادون يبطشون ويفتكون بقتل هؤلاء الّذين يتلون آيات القرآن عليهم لهدايتهم وصلاحهم.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ، الفاء: للتوكيد، الهمزة استفهامية وإنكار، أفأنبئكم: من النّبأ: هو الخبر العظيم، بشرٍّ: من الّذي تكرهون سماعه مثوبةً عند الله: مَن لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطّاغوت، (من ذلكم) ولم يقل من ذلك، من: ابتدائية (ذلكم) أعظم وآكد من (ذلك)، تستعمل للأمر العظيم أو العدد الكبير من الأمور.

قل لهم يا محمّد ﷺ: هل أنبئكم بشرٍّ مما تكرهون سماعه (من آيات الله).

النّار: نار جهنم.

﴿وَعَدَهَا﴾: الوعد: إذا أطلق يحمل معنى الخير، وإذا قُيّد يمكن أن يُحمل معنى الشر أو الخير، وهنا قُيّد فهو يحمل معنى الشر، وفيه معنى التهكّم والاستهزاء بهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بآيات الله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر.

﴿وَبِئْسَ﴾: فعل ذم؛ أي: قَبُح أو ساء.

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: النّهاية والمرجع والمآل.

❖❖❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ سجدة
رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ۖ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

سورة الحج [الآيات ٧٣ -٧٨]

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء إلى كافة النّاس الجنّ والإنس، والهاء للتنبيه، وياء النّداء: نداء تحدٍّ.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: وضرب المثل يكون لإيضاح أمراً غير مفهوم أو غامض، والضّرب فيه معنى التهييج والتّأثير في نفس السّامع؛ لكي يصل ما يقوله ضارب المثل إلى أعماق نفس المستمع لعله يتأثر ويفكّر ويتدبّر فيما يقوله ضارب المثل.

ضُرب: بصيغة المجهول؛ لأنّ المهم هو المثل. ارجع إلى سورة النّحل آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى المثل.

﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾: أي: أنصتوا إليه وافهموه جيداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: إنّ للتوكيد، الّذين تدعون: تعبدون، من دون الله: من غير الله أو سوى الله، مثل الأصنام أو الأوثان، أو الأولياء أو عيسى أو عزير أو الملائكة أو الطاغوت، من: نزّلت منزل العقلاء؛ وتعني الأصنام الّتي عبدوها وغيرها.

﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب أو البعيد؛ أي: لن يخلقوا ذباباً في المستقبل القريب أو البعيد، ذباباً: اسم جنس واحدته: ذبابة، يقع على الذّكر والأنثى، ولو: شرطية، اجتمعوا له: ولو تعاون واجتمع لهذه المهمة العلماء وغير العلماء ومن في الأرض، أو تضافرت جهودهم وكان

بعضهم لبعض ظهيراً. هذا التّحدي استعمل كمثل وأصبحت الآية كمثل يراد به تحدي قدرة علماء الأرض قاطبة على خلق ذبابٍ مهما تقدموا في العلم أو اكتشفوا واخترعوا.

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾: وإن: شرطية تفيد الاحتمال والشّك، يسلبهم الذّباب شيئاً بعد أن تحدّاهم بخلق ذبابٍ، وعلم سبحانه أنّهم لن يقدروا على ذلك، تحدّاهم بأقل من الخلق؛ وهو إعادة ما سلبهم الذّباب من طعام لا يستنقذوه منه: لا النّافية لكلّ الأزمنة، أي: لا يستطيع أحد أيضاً أن يُعيد ما أخذه الذّباب من طعام؛ لأنّ الله سبحانه أعطى القدرة لهذه الذبابة أن تفرز مادة من فمها مجرد أن تمتص أو تسلب أيَّ شيء هذه المادة المفرزة، لها القدرة على تحويل المادة المسلوبة إلى مادة أخرى تناسب معدة الذبابة قبل وصولها إلى معدتها ولم تعد نفس المادة الّتي سلبتها، ويستحيل إعادتها إلى أصلها، ومن هنا كان التحدي بأقل من الخلق.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: إشارة إلى الإنسان غير القادر على استرجاع ما يسلبه الذباب.

﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: هي المادة الّتي سلبتها الذبابة: ضعُفت؛ لأنّها لم تبقَ على حالها الأصلية وتحولت إلى مادة ضعيفة، حيث أصبحت أقل تركيزاً وأسهل هضماً للذبابة، ولو كان الإنسان قادر على استرجاع ما سلبته الذباب لاسترجع شيئاً آخر غير المطلوب.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: ما: النّافية، قدروا الله حقّ قدره: ما عرفوا قدر الله تعالى، ما عظّموه وذكروه حقَّ ذكره، وعبدوه حقَّ عبادته، ولو عرفوا وعلموا عظمته وقدره ما عبد هؤلاء الّذين لا يستطيعون أن يخلقوا ذباباً ولا يستطيعون أن يستنقذوا ما يسلبهم الذّباب، وكذلك آلهتهم العاجزة أيضاً أن تخلق

ذباباً ولا تستطيع إرجاع ما يسلبه الذّباب منهم، فالله سبحانه غني عنهم وعن آلهتهم؛ لأنّه سبحانه هو القوي العزيز.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: إنّ للتوكيد، لقويٌّ: اللام للتوكيد، قويّ: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء من خلق أو تدبير أو يفوته شيء، العزيز: الّذي لا يُغلب ولا يُقهر، والممتنع لا يناله أحد بسوء، فهو الإله الحق واجب الوجود الّذي يستحق أن يُعبد وحده ولا يُعصىٰ؛ لأنّه هو القوي العزيز وغيره الضعيف العاجز.

[٧٥] ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾:

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي﴾: أي: يختار، وتقديم الفاعل علىٰ الفعل بدلاً من قوله يصطفي الله، قال: (الله يصطفي) يفيد الاختصاص؛ أي: هذا الفعل خاص بالله وحده وليس أنتم تختارون. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد في معنىٰ الاصطفاء والاختيار.

﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: من: اسم جنس؛ أي: من جنس الملائكة رسلاً، لتبليغ الوحي وغيره، مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: من جنس النّاس؛ أي: الأنبياء والرسل.

وتقديم (من الملائكة) (ومن النّاس) تفيد الحصر؛ أي: حصراً من الملائكة أو حصراً من النّاس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: إنّ: للتوكيد، سميع: لما يُقال، والسّمع متعلق بالأصوات والأقوال، بما في ذلك في السر والنجوىٰ والعلن والخفاء.

﴿بَصِيرٌ﴾: متعلق بالأفعال؛ أي: بما يفعلُه خلقهُ، وبصير بما يجري في سمواته وأرضه لا تخفىٰ عليه خافية.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: الرسل من الملائكة والنّاس الّذين اصطفاهم، يعلم أحوال الرسل والملائكة والرّسل من الناس، ما بين أيديهم: أي ما سيفعلونه ويقومون به، وقد تعني: ما قدّموه.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما فعلوه في الماضي، وما خلفهم قد تعني: ما هو قادم.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: تقديم (إلى الله) يفيد الحصر؛ أي: حصراً إلى الله ترجع الأمور؛ للفصل فيها وإصدار الحكم والحساب.

[٧٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد بتكليف جديد للذين آمنوا، استعمل فيها ياء النّداء، والهاء للتنبيه.

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي: صلُّوا؛ لأنّ ذكر الرّكوع والسّجود كناية عن الصّلاة.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: من العبادة، ارجع إلى الآية (١٠٦) من سورة الأنبياء أو سورة النّحل آية (٧٤).

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة.

في هذه الآية تدرّج من الأقل إلى الأكثر، الرّكوع ثمّ السّجود ثمّ العبادة ثمّ فعل الخيرات، وفي هذه الآية ترى عطف العام ـ وهو فعل الخيرات ـ على الخاص العبادة ومنها الصّلاة؛ للأهمية.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾:

﴿وَجَٰهِدُوا۟﴾: الجهاد نوعان:

١ - في الله: ويشمل جهاد النفس، والشيطان، والهوىٰ، والظلم.

٢ - وفي سبيل الله: ويعني: القتال قتال الأعداء.

﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في: للتعليل، في الله: خالصاً لوجهه؛ أي: من أجل رضاه ومعرفته حق المعرفة.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾: أي: جهاد النفس وكبحها عن المعاصي والوقوع فيه؛ جهاد الطاعة، طاعة أوامر الله واتباع الأخلاق الحميدة، ويشمل الجهاد لمعرفة الله، والعلم بأوامره وأحكامه أقصىٰ ما استطعتم وكما أمركم وبيّن لكم، وتشريفاً لهذه الطّاعة، ولا ننسىٰ جهاد النّفس والهوىٰ هو الجهاد الأكبر.

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: (هو) ضمير فصل يفيد التّوكيد، يعود علىٰ الله.

اجتباكم: اصطفاكم لدين الإسلام واتباع ملة إبراهيم.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: الحرج: يعني الضيق والمشقة في أيّ تكليف لا تقدرون عليه، (من) استغراقية تستغرق أيّ حرج مهما كان. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٨٦) للبيان.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾: شريعة إبراهيم عليه السلام، وهل إبراهيم هو أبَ هذه الأمة، نحن نعلم أنّ إبراهيم هو أبو إسماعيل، وإسماعيل عليه السلام هو جد الرّسول، فيمكن القول: إنّ إبراهيم هو أبو هذه الأمة، وكما نعلم أنّ إبراهيم هو أبو الأنبياء الّذين جاؤوا بعده.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾: (هو) ضمير فصل للتوكيد تعود علىٰ الله

سبحانه، هو الّذي سـمّانا المسلمين من قبل في الكتب السّماوية السّابقة، أو في الأمم السّابقة، أو من قبل نزول هذا القرآن.

﴿وَفِي هَٰذَا﴾: (في) ظرفية، (هذا) الهاء للتنبيه، (ذا) اسم إشارة للقرب؛ أي: وفي هذا القرآن سـمّاكم المسـلمين أيضاً ـ كما قلنا ـ هو يعود إلى الله سبحانه وليـس إبراهيم؛ لأنّ الأفعال السّـابقة المذكورة في هذه الآيـة كلّها راجعة لله تعالى؛ لقوله: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج)، أمّا من قال: إنّ الضّمير يرجع إلى إبراهيم: قول ضعيف، رجّح ذلك بحجّة أنّ الضّمير يرجع إلى أقرب مذكور؛ أي: إبراهيم.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: ليكون الرّسول محمد ﷺ شهيداً عليكم: اللام لام التّعليل، شـهيداً عليكم: ولم يقل شاهداً عليكم، الشّهيد: صيغة مبالغة مقارنة بالشّاهد، ولذلك سمّى ربنا نفسه بالشّهيد. الشّاهد: يرى الشّيء أو الحادثة فيشهد بما يراه ويسـمعه فقط، ولكن لا يعرف الملابسات والأسباب أو غيرها، أمّا الشّـهيد: هو أكثر علماً من الشّاهد؛ يعلم خفايا الحادثة وكلّ صغيرة أو كبيرة. شهيداً عليكم؛ أي: على أمته شهيداً في الآخرة؛ أي: أنّه بلّغهم شرع الله، أو يشهد على أعمالهم.

﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: شـهداء للأنبياء على أممهم يوم القيامة أنّهم قد بلّغوا رسالات ربهم، فيقول الله للأنبياء أو يقال لهم: من يشهد لكم؟ بعد أن تكذّبهم أممهم، فيقولـوا: محمّد وأمته. فتقول الأمم: كيـف عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله سبحانه لنا في كتابه وعلى لسان نبيه محمّد ﷺ فإذا أخبرنا الله سبحانه في القرآن بشيء، يكون أفضل مما لو رأيناه بأمّ أعيننا أو رأيناه بعين اليقين.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: وليس شـهداء للناس، (على) تعنـي الفوقية على أعمالهم الّتي سيُحاسبون عليها سـواء كانت أعمالاً صالحة أو سيئة، وأمّا شهداء للناس؛ أي: تشهدوا لخير النّاس فقط، وهذا غير صحيح.

كما روىٰ أبو سعيد الخدري عن النّبي ﷺ قال: يجيء النّبي يوم القيامة ومعه الرّجل، ويجيء النّبي ومعه الرجلان، ويجيء النّبي ومعه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلغتهم؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ قال: محمد وأمته، فيشهدوا أن الرسل قد بلغوا... إلىٰ نهاية الحديث الّذي أخرجه البخاري والإمام أحمد والتّرمذي والنسائي وابن ماجه.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: يعود سبحانه إلىٰ ذكر الصّلاة مرة أخرىٰ، ففي الآية السّابقة قال: (يا أيها الّذين آمنوا اركعوا واسجدوا) كناية عن الصّلاة، فأقيموا الصّلاة بأركانها وشروطها وسننها، وخشوعها وأوقاتها والدّوام والمحافظة عليها؛ لأنّها الفريضة الملازمة للمؤمن، وعماد الدّين، وفيها تكرار الولاء لله سبحانه في اليوم خمس مرات، وبها يستمر ذكر الله.

﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾: وذكر الزّكاة مع الصّلاة؛ لأنّها من أهم العبادات. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الزكاة.

﴿وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ﴾: بالله: الباء للإلصاق والاستمرار، التجِؤوا إليه في جميع أموركم وحوائجكم، وتمسّكوا بدينه وشرعه وبكتابه وسنّة رسوله ﷺ.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: هو: للحصر والتوكيد؛ هو الرّب المتولّي أموركم والمدبّر شؤونكم وناصركم، وما دام هو مولاكم: فنِعم المولىٰ ونِعم النّصير، الفاء: للتوكيد.

نِعم المولىٰ ونِعم النّصير: تكرار فعل المدح (نعمَ) مرّتين؛ ليكون كلٌّ منهما منفصلاً عن الآخر؛ أي: له كمال الأمرين أو الصّفتين: الولاية والنّصر.

❖❖❖

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون [الآيات ١ - ١٧]

ترتيبها في القرآن السّورة (٢٣)، وترتيبها في النّزول السّورة (٧٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

قبل البدء في تفسير سورة المؤمنون لا بد من النظر إلى الترابط الوثيق بين نهاية سورة الحج ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج:٧٧]؛ ففيه تكليف وطلب من المؤمنين، وحث لهم، ونداء بالقول: يا أيها الذين آمنوا..... لعلكم تفلحون، ثم ابتدأ هذه السورة بوصفهم بالمؤمنين؛ أي: صفة الإيمان عندهم ثابتة (جملة اسمية)، والذين آمنوا جملة فعلية تدل على التجدد، وكأنه سبحانه طلب منهم الإيمان، وفعل الخير في نهاية سورة الحج؛ فهم قد استجابوا لربهم؛ فهم يقومون بالصلاة والزكاة، والابتعاد عن اللغو، وحفظ الفرج، وتأدية الأمانة، والمحافظة على الصلاة؛ فأصبحوا من المفلحين. انظر إلى قوله تعالى: لعلكم تفلحون في نهاية سورة الحج، وبداية سورة المؤمنون بالقول: قد أفلح المؤمنون، وختم سورة المؤمنون بالقول: إنه لا يفلح الكافرون؛ فإذا كانوا يرجون الفلاح في آية الحج فقد أكد لهم الفلاح في سورة المؤمنون بالقول: قد؛ أي: تحقق لهم الفلاح، وحصل لهم ما كانوا يرجوه، ثم انظر إلى نهاية سورة المؤمنون حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق أي: التّوكيد لفلاح المؤمنين.

﴿أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: المؤمنون الذين آمنوا الإيمان الخالص لله والذي ينطوي على توحيد الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات؛ أي: لا فلاح من دون الإيمان. الفلاح: النّجاة من النّار والفوز بالجنة والبقاء السّرمدي في النّعيم، والفلاح يعني: إدراك البغية أو المطلوب، أفلح: بصيغة الماضي يفيد الثّبوت والتّحقق، المؤمنون: جمع مؤمن: هو المصدق بالله وبما أنزل الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يقل: الّذين آمنوا، المؤمنون جملة اسمية؛ أي: الّذين أصبح الإيمان صفة ثابتة لهم بينما الّذين آمنوا: جملة فعلية تدل على تجدُّد وتكرار إيمانهم، ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لبيان معنى الفلاح، ثمّ يذكر سبع صفات لهم ـ وهذا ما يسمَّى تفصيل بعد إجمال ـ وجاءت هذه الصّفات كصفات ثابتة لا تتغيَّر عندهم كقوله: خاشعون، فاعلون، حافظون....

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول: يفيد المدح والتعظيم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾: بدأ بالخشوع في الصلاة التي هي عماد الدين، وأهم ركن من أركان الإسلام، فهي تجمع في معناها وقيامها كل أركان الإسلام. في: ظرفية زمانية ومكانية تعني: الزمن ومكان صلاتهم، خاشعون: الخشوع هو التّذلل والتّواضع والخوف والسّكون وترك العبث، والخشوع يكون في القلب (تفرُّغ القلب) والجوارح مثل: البصر والسّمع وبقية الحواس وسكون الجسم، وخاشعون جمع خاشع وتعني: جملة اسمية تفيد أنّ الخشوع عندهم صفة ثابتة ولم يقل: يخشعون. وقدم الصلاة على الخشوع للاهتمام؛ لأن الصلاة بدون خشوع يقلل من أجرها؛ أي: ثوابها.

وفي آيات أخرىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ سورة المعارج الآية (٢٣)، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ سورة المعارج الآية (٣٤)؛ أي: يحافظون علىٰ مواقيتها وعلىٰ وضوئها وأركانها وسننها وآدابها. علىٰ: تعني: الإقبال عليها بجد ونشاط (علىٰ: تفيد الاستعلاء والجهد).

[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾: تكرار والّذين هم في كثير من الآيات يفيد التّعظيم والمدح لما يقومون به من الأعمال الصّالحة.

﴿عَنِ ٱللَّغْوِ﴾: اللّغو: هو كل باطل من كلام أو فعل أو ما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام، وقيل: اللّغو قد يعني الشّرك أو الباطل (كما قال ابن عبّاس) والكذب والشتم وقيل: اللعب واللهو الّذي يُشغل عن واجب.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: من الإعراض وهو تجنب الشّيء، أيْ: يتجنبون اللّغو وتجنب اللّغو أصبح صفة ثابتة لهم؛ لأن معرضون جملة اسمية تدل علىٰ الثبوت؛ أي: الترك التام، وتقديم اللغو عن الأعراض بدلاً من القول والذين هم معرضون عن القول تدل علىٰ الاهتمام.

[٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾: العطف بالواو في صفة من هذه الصفات المذكورة في الآيات الخمسة للدلالة علىٰ الاهتمام بكل صفة من الصفات. ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿لِلزَّكَوٰةِ﴾: اللام: للاختصاص؛ الزكاة تعني: زكاة المال وتطهير المال يكون بالصّدقة، وتعني: زكاة النّفس، أيْ: تطهيرها من الشّرك والدنس والمعاصي

لقوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]. وتقديم الزكاة على فاعلون للقصر؛ أي: لا يفعلون إلا الأعمال الصالحة والزكاة أولها.

﴿فَٰعِلُونَ﴾: مؤدون. وفاعلون جملة اسمية تدل على الثّبوت والاستمرار. وفاعلون: أشمل وأعم من مؤدون؛ لتشمل كلا المعنيين أداء الزكاة والتزكية (تطهير النفس من الشرك). ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٣) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٣) و(٤) من نفس السورة.

﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، الفرج: هو سوءَة الرّجل والمرأة.

﴿حَٰفِظُونَ﴾:، أيْ: حفظ الفرج من الزّنى وما حرمه الله تعالى؛ أي: حافظون لها بالعفاف والتحصن قاصرون (الزواج) من الفاحشة. حافظون: جملة اسمية تفيد الثّبوت والاستمرار. واختار كلمة حافظون فيه بلاغة وبراعة في البيان فهي تشير إلى العفاف، وتشير إلى أنهم يحفظون أنفسهم من الآفات والأمراض الوخيمة الناتجة عن الزنى مثل الأمراض الزهرية والالتهابات الداخلية والعدوى والسرطانات.

[٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: غير ممسكين من قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧]؛ لأنّ الله سبحانه أحل لهم ذلك بعقد الزّواج.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: وهذا لم يعد موجوداً الآن وهو حكم قائم، وإنما

ليس له تطبيق الآن في زمننا، ولا يمكن لأحد أن يلغي أو يعطل حكم من أحكام الله.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: من اتبع سبل الحلال وما أمر الله تعالىٰ ورسوله، ولم يعتدي علىٰ أعراض الناس، فلا لوم عليه ولا حرج. ملومين من الناس، أو من نفسه، واللوم هو خطاب يُعبر فيه عن عدم الرضا عن عمل لم يكن متوقعاً من الملوم من قول أو فعل.

[٧] ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾:

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾: فمن شرطية، ابتغىٰ: طلب.

﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: ذلك اسم إشارة يشير إلىٰ الزّواج، أو ما ملكت اليمين.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْعَادُونَ﴾: المتجاوزون لحدود الله ما أحل الله لهم، أو ما حرم الله؛ أي: المتعدون. وقوله هم العادون؛ أي: المتناهون في العداوة، أو في طليعة المعتدون للدلالة علىٰ المبالغة في الاعتداء فهم يعتدون علىٰ أنفسهم وعلىٰ أزواجهم وعلىٰ أعراض الناس، ويسببون انتقال الأمراض المعدية مثل الإيدز والزهري والايبولا... وغيرها. والعادون: تعني هناك معتدي ومعتدىٰ عليه، فهذه الأفعال ضررها ليس مقصور علىٰ فرد وإنما يعم الأسرة وأعراض الناس والمجتمع، وفي الآية تحذير من تعدِّي ما أحل الله تعالىٰ، أو الاقتراب مما نهىٰ الله عنه.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾:

وكما أن عليه يصون ويحفظ فرجه عليه أن يحفظ الأمانة والعهد، فالأمانات والعهود والفروج مسؤول عنها.

﴿لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، الأمانات: جمع أمانة: أمانة للخلق وهي ما يكون لغيرك عندك من مال أو متاع أو حق أو وديعة وأمانة الخالق، وهي امتثال، أيْ: طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه، أيْ: تأدية التّكاليف الشّرعية، والأموال المودعة والنذور والعقود والأيمان وغيرها، والأمانة أعم وأشمل من العهد.

﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: العهد يضم الوعود والعقود والمواثيق والأيمان والنّذور. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٧). وقدم العام (الأمانة) علىٰ الخاص وهو العهد؛ لأن كل عهد أمانة.

﴿رَٰعُونَ﴾: من الرّعي:، أي: الحفظ والتّنفيذ، أيْ: تأدية الأمانات إلىٰ أهلها ويوفون بالعهد، وراعون هي صفة ثابتة لهم. وراعون: مشتقة من رعىٰ (أي: الرعي)، أو الرعية؛ أي: تولىٰ الأمر وتفقد رعيته أو غنمه بالحفظ والرزق والطعام والشراب.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾:

والصلاة هي أمانة، بل أعظم الأمانات.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣). في الآية (٢) قال تعالىٰ: خاشعون وفي هذه الآية يحافظون، وهذا ليس تكراراً؛ لأنّ الخشوع غير المحافظة علىٰ الصّلاة.

﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾: الصلاة: اسم مصدر من فعل صلىٰ، وفي سورة المعارج آية (٣٤) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فما هو الفرق؟ الصلوات أعم من

الصلاة، الصلوات الخمس مقارنة بالصلاة، وكلا الآيتين تتم الأخرىٰ، فالواجب المحافظة علىٰ الصلاة سواء كانت واحدة أو خمس صلوات.

﴿يُحَافِظُونَ﴾:، أيْ: يؤدونها في أوقاتها ويحافظون تشمل الصّلوات الخمس والسّنن الرّاتبة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة وصلاة الوتر والتّهجد والضّحىٰ، وتعني: عدم تأخير الصّلوات لآخر أوقاتها، بل المبادرة إليها في أوّل أوقاتها. وانظر كيف بدأ بالصلاة بالخشوع فيها، وختم بالصلاة والمحافظة عليها.

[١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ويشير إلىٰ هؤلاء الّذين جمعوا الصّفات السّبع السّابقة.

﴿هُمُ﴾: ضمير للتوكيد والقصر. الوارثون حقاً للفردوس، أو هم الوارثون الحقيقيون وليس غيرهم.

﴿الْوَارِثُونَ﴾: جمع وارث، وفي قوله الوارثون دلالة أنهم يستحقون الجنة كما أن للورثة حق مؤكد في الميراث، وماذا سيكون ميراثهم الجنة يرثونها برحمة من الله فضل ووصفهم بالوارثين؛ لأنّ الإرث هبة والجنة هبة ورحمة من الله تعالىٰ وليس بعملهم.

[١١] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: الفردوس: أعلىٰ الجنات درجة، فوقها عرش الرّحمن ومنها تنبع أنهار الجنة. ارجع إلىٰ سورة الكهف آية (١٠٧) للبيان.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿خَالِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء من وقت يبدأ حين دخولهم الجنة، باقون علىٰ حالتهم من دون تحول أو تغيُّر، خالدون من دون موت وخالدون في النّعيم.

[١٢] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾: الخلق: الإيجاد والتّقدير، الإنسان: اسم جنس والإنسان كلمة مشتقة من الإنس: الألفة والمحبة، ومن كونه يُرىٰ، أيْ: ظاهر غير مختفٍ بخلاف الجن.

﴿مِن﴾ ابتدائية.

﴿سُلَٰلَةٍ﴾: السلالة: قيل: هي أجود ما في الشّيء، أو ما استل من الطّين ومن المعادن وهي (١٦) عنصراً وغيرها.

﴿مِّن طِينٍ ﴾: من لبيان الجنس، طين: تراب + ماء، من سلالة من طين:، أيْ: من أجود عناصر التّربة والماء، وقد ثبت علمياً أنّ العناصر المكونة للإنسان هي قسم من العناصر المكونة للتربة هي (١٦) عنصراً من أصل (١١٣) عنصراً من العناصر أو المعادن الّتي تشكل التّربة واكتشفها العلم، منها: الصّوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والنّحاس والماغنزيوم، وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ سورة فاطر الآية (١١) إذن الأصل هو التّراب الّذي أضيف إليه الماء فأصبح طيناً، والآية تشير إلىٰ أنّ الجنين أو الإنسان يستمد طعامه من التّربة فالجنين يستمد طعامه من دم الأم المتشكل من غذائها، وغذاؤها مستمد من النباتات والحيوانات (اللحوم والألبان) الّتي تستمد غذاءَها من التّربة أيضاً. وقد تعني الآية كذلك خلق آدم من تراب.

[١٣] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: لتباين الصّفات أو للترتيب الذّكري (العددي).

﴿جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾: هاء الضمير تعود علىٰ الجنين، والنّطفة مني الرّجل

(الحيوان المنوي) ومني المرأة (البويضة). والجعل يكون بعد الخلق، أيْ: مرحلة بعد الخلق.

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: في ظرفية، قرار مكين:، أي: الرّحم، مكين: حصين أمين أو منيع بعظام الحوض وجدار البطن وجدار الرّحم المكون من الأغشية الثّلاث والعضلات المحيطة.

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: ثم: للترتيب العددي؛ أي: أولاً ثانياً ثالثاً، وهكذا بعد مرحلة النّطفة، والّتي تستغرق أسبوعاً تتحول النّطفة إلىٰ علقة تعلق في جدار الرّحم، وتستغرق في تشكلها الأسبوعين الثّاني والثّالث، وتتحول إلىٰ مضغة.

﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: الفاء تدل علىٰ المباشرة والتّرتيب، المضغة: تتبع العلقة، وهي تنقسم إلىٰ مضغة مخلّقة تستمر لتشكل الجنين وغير مخلّقة تشكل الخلايا الجذعية المتوزعة في جسم الإنسان، تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الرّابع، وتستمر إلىٰ (٤٠) يوماً، تبدأ بعدها مرحلة العظام، وسُمِّيت بالمضغة؛ لأنّ شكلها يشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان.

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾:، أي: العظام تبدأ بالتّشكل في بداية الأسبوع السّابع.

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾: أيْ: تتشكل العضلات الّتي تغطي العظام.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾:، أيْ: بعد نفخ الرّوح فيه والإنشاء: إيجاد الشّيء وفيه معنىٰ النّمو والتّطور، وعلىٰ غير مثال سابق بحيث يتشكل ويأخذ شكل الجنين، ويتطور تدريجياً إلىٰ أن يتم نموه في حوالي الشّهر السّادس، ويصبح قابلاً للحياة. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٥) لمزيد من البيان.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: يجب الانتباه إلى معنى خالقين: من الخلق وهو التّقدير، فالله سبحانه يقدِّر ويخلق من العدم وعلى غير مثال سابق وهو سبحانه الخالق الحقيقي، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

في هذه الآية أعطى سبحانه بعض عباده من العلماء صفة الخلق فإنّهم يخلقون من مواد أو أشياء أوجدها الله لهم ولكونهم قادرون على التّقدير والتّسوية والحساب أشركهم في الوصف، كما أشركهم في الرّزق فقال: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤] وفي الحكم فقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨]، والوارثين ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩].

والاستنساخ ليس خلقاً، وإنما هو اكتشاف لبعض أسرار الخلق.

[١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: إنكم: للتوكيد، توكيد (الموت)، بعد ذلك: بعد تمام الخلق أو النّشأة الأولى أو بعد انتهاء آجالكم.

﴿لَمَيِّتُونَ﴾: اللام للتوكيد، ميتون: لأنّ النّاس لا ينكرون الموت ولكن يغفلون عنه. وقد اكتشف العلم أنّ إحدى المورثات أو الجينات في الإنسان تحمل أجل الإنسان، وأكد على الموت بإن واللام رغم أنكم خلقتم على أحسن هيئة وتقويم في الخلق والنشأة.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾: ولم يقل: لتبعثون، لم يؤكد على البعث كما أكد

على الموت مع أنّ البعث هو الّذي ينكره النّاس وليس الموت؛ لأن الموت يغفل عنه كثير من النّاس أكّده، أمّا البعث فله أدلته. أمّا كيف يتم البعث؟ فارجع إلى سورة الروم الآية (١٩). وفي سورة الزمر آية (٣٠-٣١) قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: البعث (تبعثون) أولاً كما في سورة المؤمنون ثم (تختصمون) عند ربكم ثانياً فآية الزمر تتمة لآية المؤمنون.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾: ارجع إلى الآية (١٢).

﴿فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبع طرائق: كثير من المفسرين يفسر سبع طرائق بسبع سموات بعضها فوق بعض والتّفسير العلمي يفسر لنا الطّرائق: الفواصل بين كلّ سماء وسماء، أو ممرات ما بين كلّ سماء وسماء، وسبع طرائق تختلف عن سبع سموات طباقاً، كما في سورة الملك آية (٣) وسورة نوح الآية (١٥).

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: ما: النّافية، غافلين عن رعايتهم، وتوفير لهم سبل العيش، وعن حفظهم من الأشعة الضّارة مثل الأشعة فوق البنفسجية بطبقة الأوزون أو نحفظهم من حرارة الشّمس وغيرها بنطق الحماية. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٢٢)، أو سقوط النّيازك على كوكب الأرض، غافلين، أيْ: ناسينهم بغير رزق (بإنزال المطر) أو مهملين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في الغفلة.

❖❖❖

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

سورة المؤمنون [الآيات ١٨ - ٢٧]

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أنزلنا بصيغة الجمع للتعظيم، من السّماء: من السّحب الركامية ماءً: ماء المطر، والسّماء لغة تعريفها: كلّ ما علاك فالسّحب يمكن أن تسمّىٰ سماء، والآية تتحدث عن دورة الماء حول الأرض، وليس عن منشأ الماء.

﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بحساب دقيق بحيث تكون كمية الماء المتبخرة من البحار والمحيطات واليابسة تقارب كمية المطر المنزل من السّحب، فقد قدر العلماء أنّ كمية الماء الّتي أخرجها الله من الأرض كانت حوالي (١،٤٠٠ مليون كم٣) يتبخَّر منها كلّ سنة حوالي (٦٠٠،٠٠٠ كم٣) منها (٥٠٠،٠٠٠ كم٣) من البحار والمحيطات و (١٠٠،٠٠٠ كم٣) من اليابسة، ثمّ يعيد منها علىٰ اليابسة (١٦٥،٠٠٠كم٣) بزيادة (٦٥،٠٠٠كم٣) تؤخذ من مياه البحار والمحيطات ويعيد علىٰ البحار والمحيطات (٤٣٥،٠٠٠كم٣) تلعب دوراً مهماً علىٰ سطح اليابسة كعوامل التعرية وتكوين التّربة وتركيز المعادن وتلطيف الجو المناخ وتغذية التّربة بكميات معلومة مقدرة الكمية يعلمها الله سبحانه، وأين تنزل علىٰ سطح الأرض بقدر قد يكون ضئيل قد يسبب القحط أو معتدل أو كبير يسبب الفيضانات وهلاك الحرث والنّسل وماء المطر يتشكل من البخار الصّاعد من الأرض فتحمله الرّياح حيث يشاء الله.

وهذه السحب المشكّلة من بخار الماء غير قادرة علىٰ إنزال المطر، فلا بُدَّ

من رياح أخرىٰ تلقحها وهي رياح تحمل هباءات الغبار الّتي تلقح ذرات البخار، فتصبح عالية الكثافة فينزل المطر.

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أيْ: حفظناه في الأرض واستقر في صخور الأرض ذات المسام والنفوذية، فهذه المسام والنفوذية بين ذرات الصخر هي القادرة علىٰ خزن هذا الماء، وهناك الكثير من الصخور غير المسامية أو النفوذية غير قادرة علىٰ خزن أيِّ ماء، وهذا الماء قد يخزن لمئات السنين أو آلاف السنين في الأرض الخالية من البحار والمحيطات والبحيرات.

وقد تختلف كمية هطوله في أرض أكثر من أرض أخرىٰ، ولكن النسبة والكمية نفسها إذا جمعنا ما ينزل من المطر هنا وهناك.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾: لقادرون اللام للتوكيد، أيْ: قادرون علىٰ أن نجعله يغور في أعماق الأرض أو قادرون علىٰ عدم إعادته إلىٰ الأرض بعدم تلقيح سحب بخار الماء، أو بتجفيف الماء برفع درجة الحرارة أو بهزة أرضية أو ثورة بركان أو بتغير التفاعلات الكيماوية للأرض، وفي هذا تنبيه لشكر الله علىٰ هذه النّعمة.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿فَأَنشَأْنَا﴾: الفاء: للتوكيد، أنشأنا لكم: الإنشاء هو إيجاد الشّيء بعد أن لم يكن، والإنشاء فيه معنىٰ النّمو والتّطور.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿بِهِۦ﴾: الهاء تعود علىٰ ماء المطر.

﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾: بساتين من أشجار النّخيل وأعناب.

الفرق بين النّخل والنّخيل: النّخل: اسم جنس ويشمل النّخيل بأنواعه المختلفة، وخص هذين النّوعين النّخيل والأعناب لكثرة منافعهما وهما أكثر فواكه انتشاراً في أرض الحجاز ويمثلان بقية الفواكه.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: لكم خاصة، فيها، أيْ: في تلك الجنات.

﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾: جمع فاكهة وفاكهة اسم جنس، وفاكهة تشمل فواكه، وفاكهة: أعم من فواكه وأوسع معنىٰ وأكثر.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: فهي ليست محددة للأكل فقط إضافة الواو لتدل علىٰ أنّهم يأكلون من هذه الفواكه، ويصنعون منها الحلويات والشّرابات والعصير، وهذه الآية جاءت في سياق الحياة الدّنيا، أمّا في سياق الآخرة وفي الجنة فيستعمل كلمة فاكهة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٣]، وهي أعم وأشمل وتشمل كلّ الفواكه، وقال منها تأكلون: من دون إضافة الواو؛ لأنّ فاكهة الجنة فقط للأكل، وليس هناك حاجة لعمل الحلويات أو الشراب من الفاكهة، كما نفعل في الدنيا؛ لأنّها تأتي جاهزة لا نحتاج إلىٰ صنعها وتحويلها من نوع إلىٰ نوع آخر، كما هو الحال في الدّنيا.

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾:

﴿وَشَجَرَةً﴾: الواو عاطفة وشجرة معطوفة علىٰ جنات، عطف الخاص علىٰ العام لإظهار الأهمية والتّوكيد، وتقدير الكلام فأنشأنا لكم به (الماء) جنات من نخيل وأعناب وأنشأنا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزّيتون، وهي شجرة مباركة.

﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾: سيناء: اسم المكان الّذي فيه (الطّور)، والطّور أصغر من الجبل، حيث كلم الله سبحانه موسىٰ عليه السلام.

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾: الدّهن: زيت الزيتون، والباء للإلصاق والمصاحبة تنبت بالدّهن: تنبت بثمر الزّيتون والذي يتحول إلى زيت الزّيتون (الدهن).

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾: الصّبغ هو زيت الزّيتون سمي صبغ؛ لأنّه لونه أخضر وزيت الزّيتون الّذي يؤكل مع كثير من الأطعمة.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ﴾: إنّ للتوكيد، لكم اللام لام الاختصاص.

﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الأنعام ثمانية أزواج الإبل والبقر والغنم والماعز.

﴿لَعِبۡرَةٗ﴾: آية أو دلالة تستدلون من خلالها إلى قدرة الله سبحانه وعظمته، وتعبرون بها من الجهل إلى العلم، ومن الشك إلى اليقين على عظمة الخالق، وكما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [الغاشية:١٧]، ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل:٦٦]. ارجع إلى سورة النحل آية (٦٦) لمزيد من البيان في معنى عبرة.

﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: بطون الإناث إناث الأنعام، نسقيكم الحليب. ارجع إلى سورة النّحل آية (٦٦) للمقارنة والبيان، وبين مما في بطونها والقول مما في بطونه.

﴿وَلَكُمۡ﴾: تكرار لكم للتوكيد.

﴿فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ﴾: مثل حمل أثقالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ [النحل:٧]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل:٨٠].

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: الواو تفيد الجمع إنّكم منهـا تأكلون لحماً ولبناً خالصاً، وتأكلون من أشياء أخرىٰ من غير الأنعام.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾:

﴿وَعَلَيْهَا﴾: علىٰ: تفيد الاستعلاء والركوب علىٰ الأنعام وليس كلّ الأنعام تركبون، ويراد بالأنعام هنا الإبل.

﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: تطلق علىٰ المفرد أو الجمع، وتعني السفن.

﴿تُحْمَلُونَ﴾: تركبون وتحمل أثقالكم.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: الإرسـال ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سـورة البقرة للبيان والفرق بين الإرسال والبعث. نوحاً: من سلالة إدريس، وإدريس من سلالة شيث بن آدم، ولد نوح بعد وفاة آدم بـ(١٢٦) سنة كما ذكر ابن جرير وغيره.

﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: دعـاء إلىٰ وحدانية الخالق كما دعا غيره الرسـل وتجنب الشـرك. ارجع إلىٰ سورة نوح، وارجع إلىٰ سورة الأعراف الآية (٥٩).

﴿يَٰقَوْمِ﴾: نداء فيه تودد وعطف.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ علىٰ عدم التّقوىٰ والتّعجب من تركها، ألا: أداة تنبيه وحضٍّ وتحمل معنىٰ الأمر علىٰ التّقوىٰ.

﴿تَتَّقُونَ﴾: أيْ: تطيعوا أوامر ربكم وتتجنّبوا نواهيه أو تخافون ربكم القهار الجبار وتتّقونه، وهذه الكلمة قالها كلّ الرّسل لأقوامهم.

[٢٤] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، الملأ: سادة وأشراف القوم مشتقة من كونهم يملؤون العيون أو العيون تنظر إليهم وتراهم؛ لأنّهم يمثلون قبائلهم أو عشائرهم. ولو نظرنا إلىٰ كيف كتبت الملؤا في هذه الآية (٢٤)، وإلىٰ كيف كتبت الملأ في الآية (٣٣) من نفس السورة لوجدنا هناك اختلافاً، ولو نظرنا في القرآن لوجدنا أن الملؤا كتبت بهذا الشكل في سورة النمل في ثلاث آيات، وسورة المؤمنون في آية واحد هي (٢٤)، وأما باقي الآيات في القرآن كتبت الملأ بهذا الشكل، والسؤال ما هو الفرق بينهما؟ إذا نظرنا إلىٰ سياق الآيات نستنتج أن الملؤا المكتوبة بالواو: جاءت في سياق بطانة الملك، أو حاشيته، أو النبي وخاصته، أما الملأ بالألف: جاءت في سياق رؤساء العشائر، أو ممثلي الشعب مثل مجلس الشعب، أو البرلمان كما نسميه الآن.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: يعني: كان بينهم بعض المؤمنين حين قالوا هذا القول، مقارنة بقوله تعالىٰ: قال الملأ من قومه الّذين كفروا: يعني: سادة القوم لم يكن بينهم أيُّ مؤمن حين قالوا هذا القول.

﴿مَا هَٰذَآ﴾: ما: النّافية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب.

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: إلا: أداة حصر، بشر مثلكم: أيْ: كونه بشراً فهم يريدون رسولاً ملكاً من الملائكة أو من غير جنسهم.

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: يطلب أو يبغي لنفسه الفضل والشّرف والسّيادة ليكون له أتباع، أن: للتعليل والتّوكيد.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: لو شرطية.

﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾: اللام للتوكيد، أنزل ملائكة من السّماء بدلاً منه.

﴿مَّا﴾: النّافية.

﴿سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: لم يخبرنا أحد من آبائنا أو أجدادنا، بهذا: الباء للإلصاق والاستمرار، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلىٰ الّذي يدعو إليه نوح وهو التّوحيد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، هذه أمور لم نسمعها من قبل.

﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في ظرفية، آبائنا الأولين: أيْ: هم مقلدون آباءَهم ومقتدون بهم، ولم يسمعوا بالتّوحيد.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية، أيْ: ما.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: إلا: حصر، رجل به جنة: جنة: مصدر من جنَّ، أيْ: به جنون لا يعلم ما يقول أصيب بخبل عقلي.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾: التّربص: الانتظار الطويل والحذر.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: حتّىٰ حرف نهاية الغاية، أي: انتظروه حتّىٰ يشفىٰ أو يُفيق من جنونه أو انتظروا أجله حتّىٰ يموت.

[٢٦] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: قال نوح: رب، أيْ: دعا ولم يقل: يا رب لا يحتاج إلىٰ ياء نداء الّتي تدل علىٰ البعد، ولم يقل: يا الله: لأنّ الرّب هو المتولي الأمور ومدبِّرها وليس السّياق في شأن العبادة.

﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾: الباء: للإلصاق، أو السّببية وما مصدرية، أي: انصرني:، أيْ: أهلكهم، بما كذبون: بسبب تكذيبهم لي، وعدم إيمانهم.

وحذف الياء (ياء المتكلم) من كذبون؛ لأن هناك من أمن له وصدقه، ولو كذبه كل قومه لقال كذبوني.

[٢٧] ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾:

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، أوحينا: الوحي هو الإعلام بخفاء، وله طرق مختلفة ارجع إلىٰ سورة النّساء الآية (١٦٣) إليه: إلىٰ نوح عليه السلام.

﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾: أن تعليلية تفسيرية، اصنع الفلك: ابنِ الفلك: السّفينة.

﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، بأعيننا: بمراقبتنا، ووحينا: بما نوحيه إليه من التّعاليم كيف تصنعها، ولمعرفة معنىٰ الوحي ارجع إلىٰ سورة النّساء آية (١٦٣).

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتأكيد، إذا ظرفية زمانية للمستقبل وفيها معنىٰ الشّرط.

﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بإنزال العذاب (الطّوفان) والمجيء فيه معنىٰ الصّعوبة والمشقة.

﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: قيل: التنور بيت النّار الّذي يوضع فيه الخبز العجين ليصبح خبزاً ناضجاً، فحين ترىٰ ذلك التنور يفور بالماء فهذه علامة علىٰ بدء الطوفان، فاسلك فيها من كلّ زوجين اثنين، هذا هو تفسير المفسرين القدامىٰ والله سبحانه قادر علىٰ ذلك، ولكن تفسير فار التنور حسب معطيات العلم الحديث يشير إلىٰ ثورة بركان يصاحبه هزة أرضية عنيفة حدث معها ما يشبه

السونامي حيث ترتفع المياه إلىٰ عشرات الأمتار؛ مما يؤدِّي إلىٰ الطوفان ورفع السّفينة الّتي أصبحت تجري في موج كالجبال.

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أدخل فيها أو احمل فيها في الفلك، واستعمل كلمة اسلك الّتي تحمل معنىٰ السّهولة؛ لأنّ الأمر لم يحدث بعد، تعاليم للمستقبل أو توصيات، وقد رأيناه استعمل ﴿احْمِلْ فِيهَا﴾ في سورة الأعراف الآية (٤٠) حين حدث الطّوفان.

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: من: ابتدائية كلّ زوجين؛ الزوج: هو واحد يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، والاثنان زوجان؛ أي: الرجل زوج، والمرأة زوج، وكلاهما اثنان؛ أيْ: ذكر وأنثىٰ من كلّ صنف سواء أكان إنسان أم حيوان أم نبات يمكن حمله والاستفادة منه، ولا تعني كلّ أصناف الحيوانات والنباتات، فقد كان طول السّفينة حوالي (١٥٠ متر) وعرضها (٣٠متر)، وكلمة اثنين توكيد.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: الزّوجة والأولاد (الثّلاثة نوح وسام وحام وزوجاتهم)، وأهلك يمكن أن تعني أهل الإيمان وليست أهلية نسب ودم، أيْ: أتباعك.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: إلا أداة استثناء، سبق عليه القول: الهلاك والعذاب مثل ابنه كنعان وامرأة نوح.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: لا النّاهية، تخاطبني: تطلب مني إنجاء الّذين ظلموا أو تكلمني بشأن الظّالمين الّذين حق عليهم القول أو تشفع لهم أو تأخذك بهم رأفة إنّهم مغرقون.

❖ ❖ ❖

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

سورة المؤمنون [الآيات ٢٨ - ٤٢]

[٢٨] ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء عاطفة، إذا ظرف زماني للمستقبل متضمن معنى الشّرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: استويت من استوى أيْ: علا واستقر أيْ: حين تعلو وتستقر على ظهر الفلك، وعلى تعني العلو والتّمكن والقدرة على قيادة الفلك، ولم يقل: أنت والّذين معك في الفلك وإنما قال: ومن معك: من ابتدائية، ومن معك تدل على القلة مقارنة بقوله: والّذين معك الّتي تدل على الكثرة.

﴿وَمَن مَّعَكَ﴾: قيل: كان عددهم (٧٠-٨٠)، وقيل: (٢٠-٣٠)، والله أعلم.

﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، قل الحمد لله: أيْ: إياك أن تنسى المنعم وتغترَّ بالفلك، أو بنجاتك. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) في معنى الحمد لله.

والسّؤال هنا: لِمَ لَمْ يخاطب الله سبحانه نوح ومن معه بالقول: فإذا استويتم بدلاً من استويت أنت ومن معك فقل، بدلاً من فقولوا الحمد لله؛ لأنّ المخاطب هو رب العالمين، والمقام مقام كبرياء وجلال والمخاطبة لا يترقى إليها إلا نبي أو رسول، ولذلك خاطب نوح وحده، فهو نبيهم، وفيه إشعار لنوح بفضل النّبوة، وعلى نوح أن يبلغهم الدعاء بالحمد.

﴿ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا﴾: الّذي اسم موصول فيه معنىٰ التوحيد؛ لأنه (يختص بالمفرد المذكر). نجانا: للتّعظيم. نجانا: ولم يقل أنجانا؛ لأنّ نجانا فيها معنىٰ الزّمن الطويل أيْ: نجانا بعد زمن طويل وانتظار دام أكثر من (٩٥٠ سنة).

﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين، الظّلم هنا هو الشّرك، والمكذبين بما أنزل الله تعالىٰ علىٰ نوح عليه السلام. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٣٥) لبيان معنىٰ الظالمين.

[٢٩] ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾:

﴿وَقُل رَّبِّ﴾: ولّم يقل: وقل: يا رب: حذف ياء النداء للبعد؛ لأنّه يعلم أنّ الله سبحانه سميع قريب.

﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَٰرَكًا﴾: مُنزلاً: بضم الميم وفتح الزّاي مصدر لفعل أنزل أيْ: أنزلني إنزالاً مباركاً سواء عند النّزول في السّفينة (الفلك) أو عند النّزول منها بعد الوصول إلىٰ اليابسة في كلا الحالين قل: أنزلني إنزالاً مباركاً، ويجوز أن يكون مُنزلاً اسم مكان أي: أنزلني في منزل فيه الخيرات والبركة والأمن والراحة فهو يحمل كلا المعنيين، أيْ: أنزلني إنزالاً مباركاً وفي منزل مبارك.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: أنت للتوكيد، خير المنزلين: أيْ: إن كان هناك من البشر من يكرم ضيفه، وينزله مُنزلاً مُريحاً طيباً يبقىٰ الله سبحانه هو خير (أحسن) المنزلين علىٰ الإطلاق في الدّنيا والآخرة.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إنّ للتوكيد، في ذلك: أيْ: ما تقدَّم من الآيات بخصوص نوح.

﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اللام للتوكيد، آيات: كثيرة وعبر ودلائل وحجج واضحة علىٰ

صدق دعوة الأنبياء ونوح وعلى قدرة وعظمة الله تعالى ووحدانيته، وتدل على أنّه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد ويطاع.

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: إن: للتوكيد، اللام في لمبتلين للتوكيد، مبتلين: من الابتلاء بالخير والشّر فتنة لقوم نوح أو غيرهم لنقيم عليه الحُجَّة.

والابتلاء قد يصيب الكل: الكفرة والمشركين وأهل الصلاح والإيمان، والظلمة وغيرهم.

ونتيجة الابتلاء إمّا أن تكون الانتقام من الكفرة أو التكفير عن سيئات المبتلين أو رفع درجاتهم وثوابهم.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي، أنشأنا من بعدهم: من بعد قوم نوح عليه السلام.

﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾: هم قوم عاد، القرن: قوم أو جماعة أو أمة مجتمعة في زمن واحد والقرن (١٠٠ عام)، والإنشاء: هو إيجاد الشّيء بسبب أو بغير سبب، وفيه معنى التطوير والنمو.

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: ولم يقل: رسولاً إليهم: أي: كان الرّسول هو هود، منهم أيْ: من القوم وأخوهم ونشأ فيهم ولم يكن من غيرهم وهاجر إليهم.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أن مصدرية تفيد التّعليل والتّوكيد، اعبدوا الله وحده ولا

تشركوا به شيئاً. ارجع إلى سورة النّحل آية (٧٣)، والأنبياء آية (١٠٦)؛ لبيان معنى العبادة.

﴿مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: ما النّافية، لكم: اللام لام الاختصاص، من إله: من استغراقية تستغرق كلّ إله.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السّورة للبيان.

[٣٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾: أشراف قومه، أو ممثلي القوم، سادة القوم، ولم يكن بينهم مؤمن آنذاك، ولو كان فيهم مؤمن لتغيرت الآية إلى: وقال الملأ الذين كفروا من قومه، وهم الّذين اتصفوا بثلاث صفات:

١ - كفروا بالله وجحدوا بوحدانيته.

٢ - وكذبوا بيوم القيامة والبعث والجزاء. انظر كيف شبه الآخرة بشخص سوف يلاقى ويشاهد لإدخال الهلع والروع في قلوب الذين كفروا وكذبوا بالله واليوم الآخر.

٣ - أترفناهم في الحياة الدّنيا حتّى بطروا وجحدوا بنعم الله ولم يشكروا المنعم.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: وسّعنا عليهم نعم الدّنيا حتّى بطروا وفسدوا، هؤلاء الملأ أسوأ وأقبح من الملأ من قوم نوح. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنى الترف، والمترف.

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: ما النّافية، هذا اسم إشارة يفيد القرب وتشير إلى هود عليه السلام، والهاء للتنبيه واللام للبعد، إلا: أداة حصر، أيْ: هو حصراً، بشر مثلكم.

﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: فكيف ترضون برجل منكم ليس له أي سمة أو فضل أو جاه، حتّىٰ يأمركم وينهاكم ويعدكم بالخروج من القبور والبعث ويطلب منكم طاعته.

[٣٤] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾:

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: عاطفة، واللام للتوكيد، وإن شرطية تفيد الشّك والاحتمال، أطعتم: من الطاعة، وهي الانقياد واتباع الداعي إلىٰ ما يدعوا إليه.

﴿بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾: أيْ: هم ينفون عن نبيهم النّبوة، أي: الوحي.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾: إنّكم: إنّ: للتوكيد، إذاً: حرف جواب يفيد التّوكيد، لخاسرون: اللام للتوكيد، ثلاثة توكيدات علىٰ أنّهم خاسرون إذا أطعتم ذلك البشر، خاسرون: مكانتكم وسعة العيش والشّرف والنّعيم الّذي أنتم فيه.

[٣٥] ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾:

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾: الهمزة استفهام وتعجب، وفيه انتقال من التكذيب بهود عليه السلام إلىٰ التكذيب بما أرسل أيضاً. أيعدكم: من الوعد، والوعد هنا بالبعث فهو وعد مقيد.

﴿أَنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل.

﴿مِتُّمْ﴾: بكسر الميم تدل علىٰ الموت العادي، وأما مُتم بضم الميم تعني قتلتم في سبيل الله أو متم في سبيل الله كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [آل عمران:١٥٨]، من خصائص القرآن يستعمل الكسرة وهي أخف الحركات

للموت العادي ويستعمل الضّمة وهي أثقل الحركات لحالات الموت الثّقيلة مثل الموت في سبيل الله وهو الأعلى درجة.

﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: وكنتم: في قبوركم تراباً وعظاماً، و(تراباً) تسبق عظاماً؛ لأنّ الإنسان بعد موته يتحول إلى تراب أولاً، ثمّ إلى عظام وحين تتكسر العظام تصبح رفاتاً (عظاماً مكسرة).

﴿أَنَّكُمْ﴾: تكرار أنّكم: لتوكيد استبعاد الخروج من الأجداث والبعث.

﴿مُّخْرَجُونَ﴾: أيْ: هم استنكروا واستبعدوا أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن صاروا تراباً وعظاماً. ومُخرجون: قسراً رغم عنكم وبغير إرادتكم.

[٣٦] ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾:

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: أيْ: بَعُدَ بَعُدَ هذا الأمر؛ أي: صحة ما توعدون به من الخروج من القبور، وهيهات الثّانية تأكيد للأولى، ولا تقال: هيهات لوحدها وإنما دائماً مكررة، أيْ: هيهات هيهات إخراجكم.

هيهات: اسم يدل على معنى فعل بَعُدَ، ومنهم من قال:هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ. وهيهات هيهات: لم تذكر في القرآن إلا في هذه الآية.

﴿لِمَا﴾: اللام للتوكيد، ما حرف مصدري أو اسم موصول.

﴿تُوعَدُونَ﴾: من الإخراج من القبور والنشر والبعث والحساب.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾:

﴿إِنْ هِيَ﴾: إن حرف نفي بمعنى ما وإن أقوى في النّفي من ما، هي: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: السّؤال هنا كيف نفهم قولهم

نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين؛ لأنّ قولهم: نحيا، قد يُفهِم أنّهم يؤمنون بالبعث، ولكن قولهم بعدها: وما نحن بمبعوثين هو ينفي ذلك، وإنما المقصود بذلك عندما نحن نموت ونحيا يعني: يموت البعض ويخلق (يولد) غيرهم في نفس الوقت.

ولنقارن هذه الآية ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ مع الآية (٢٩) من سورة الأنعام ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

الآية (٣٧) من سورة المؤمنون: جاءت في سياق الحياة الدّنيا، أيْ: ينكرون البعث وهم على قيد الحياة، أي: الآية جاءت في سياق الحياة الدّنيا.

أما الآية (٢٩) من سورة الأنعام: جاءت في سياق الآخرة (لذلك حذفوا نموت ونحيا)؛ لأنّ هذا لم يعد له وجود.

والدّليل على ذلك أنّه سبقها قوله: ولو ترى إذا وقفوا على النّار، فهم في الآخرة.

أمّا الفرق بين: إن هي إلا حياتنا الدّنيا، وما هي إلا حياتنا الدّنيا: النّفي في قوله: إن هي أشد من النّفي من قوله: ما هي، أي: التّكذيب وإنكار البعث أشد وأقوى حين يقولون: (إن هي) مقارنة بقولهم: (ما هي)؛ لأنّ هناك من النّاس من ينكر أو يكذب بشدة وتوكيد، وهناك من ينكر أو يكذب من دون توكيد أو مبالغة.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنْ هُوَ﴾: إن نافية، هو ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: رجل: أي: هود، افترى على الله كذباً الافتراء

هو الكذب المتعمَّد المختلق، كذباً: نكرة، أيْ: كلّ أنواع الكذب مثل ما لكم من إله غيره وإنكم مبعوثون من بعد الموت، والتنكير في اللغة يفيد الشمول والعموم.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: نحن للتوكيد.

﴿لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾: البـاء للإلصاق والمصاحبة، مؤمنين: مصدقين، وقدَّم له الجار والمجرور ليفيد له حصراً، وقد نؤمن لغيره؛ أي: نصدق غيره.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾:

ارجع إلـى الآية (٢٦) للبيان، هكذا تأتي النّهاية واحدة لكلّ الرّسـل رب انصرني بما كذبون.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ﴾:

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾: قال الحق: عما قليل: عما مركبة من (عن + ما)، عن تعني البعد ما للتوكيد، أيْ: عن قريب أو بعد زمن قريب.

﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ﴾: الـلام لام التّوكيد والنّون فـي يصبحن لزيادة التّوكيد، يصبحن: قد تعني وقت الصّباح سـيحل بهم العذاب ويأخذهم على حين غفلة وعدم اسـتعداد على خلاف إذا جاءهم العذاب أثناء النّهار، نادمين: على كفرهم وعدم إيمانهم بالبعث، أو تعني: قريباً يصيرون نادمين في أي وقت؛ أيْ: يشعرون بالنّدم على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: الفاء للترتيـب والتّعقيب، الصّيحـة: هي تردُّدات صوتية تفوق قدرة الأذن على تحمُّلها وتتجاوز (٧٠-١٠٠) ديسبل بالثانية، وما إن تصـل إلى (١٢٠-١٤٠) تؤثر في الجهاز العصبـي والأذن الداخلية والقلب

وتؤدّي إلى صعق الإنسان، تلك الصيحة الّتي تركتهم كأعجاز النّخل المنقعر كقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر:٢٠].

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للتوكيد، الحق: اسم الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير ولا يتبدل.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾: بعد هلاكهم، شبههم بغثاء السّيل وهو ما يجمعه النّهر أو الوادي من فروع الأشجار اليابسة والجافة والورق، أيْ: زبد السّيل.

﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هلاكاً وبعداً من رحمتنا للقوم الظّالمين، اللام لام الاختصاص، الظّالمين: المشركين، وهم قوم هود.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي في الزّمن.

﴿أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: ارجع إلى الآية (٣١)، من بعدهم: من بعد قوم هود.

﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾: بصيغة الجمع أمم أو أقوام متعدِّدة مثل قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

❖ ❖ ❖

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٤٣ - ٥٩]

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الشّيء، والأجل لا يتغير، ولا يتبدَّل لا يتقدَّم ولا يتأخَّر إلا إذا شاء الله تعالىٰ كما حدث لقوم يونس كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨]. من استغراقية، أيْ: تشمل كلّ الأمم.

﴿أَجَلَهَا﴾: الّذي ضرب لها، أيْ: لا تنقرض أو تزول أو تهلك قبل أن ينتهي أجلها أو يحلَّ أجلها.

﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: ولا يؤخَّر أجلها. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٤٩) لمزيد من البيان.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي.

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾: من الإرسال، ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة، ولم يقل: ثمّ بعثنا، ولا يرسل الرّسل عادة إلا بعد أن يعم الفساد والباطل والشّرك والمعاصي.

﴿تَتْرَا﴾: أصلها: وَتْرَىٰ؛ تعني: تعاقب + انقطاع في الزمن؛ من الوتر: وهو الفرد، والمواترة: وهي التتابع مع التراخي في الزمن؛ متتابعين واحداً إثرَ الآخر مع انقطاع في الزمن أي دهراً.

﴿كُلَّ مَا﴾: كل: لفظ يدل علىٰ التوكيد علىٰ العموم؛ أي: يفيد الاستغراق والإحاطة بجميع الرسل (أو الأفراد)، وما: المصدرية الظّرفية أداة شرط تفيد التّكرار. وفصل بين: كل وما، ولم يجمع بينهما بالقول، كلما إشارة إلىٰ الفاصل الزمني بين كل رسول ومن يأتي بعده.

﴿جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾: جاء أمة رسولها ليخرجها من الظّلمات إلىٰ النّور،وليبيِّن لهم ما أُنزل إليهم من ربهم، كذبوه: لم يصدِّقوه، واستمروا علىٰ حالهم في الضلال والعناد والتحدِّي. والأمة: تطلق علىٰ مجموعة من الناس بغض النظر عن العدد والحيز الجغرافي.

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، أتبعنا بعضهم بعضاً، أيْ: أهلكنا الواحد تلوَ الآخر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أحاديث جمع حديث، وأحاديث إذا أطلقت لا تقال إلا في سياق الشّر إلا إذا كان مقيداً، وأحاديث جمع أحدوثة، وهو ما يتحدَّث به النّاس ويكثرون الكلام عنه للتعجب، أو اللهو، أو العبرة، أو المثل، أيْ: أهلكناهم ولم يبق بين النّاس إلا أخبارهم يتلهون بها ويتحدثون عنها يقصُّونها علىٰ الغير، أيْ: لم يبق لهم أثر إلا قصصهم.

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: بُعداً لهم عن رحمة الله تعالىٰ أو هلاكاً لهم لعدم إيمانهم، وبُعداً: لها معنيان أولاً: هناك بُعداً بعده لقاء. ثانياً: هناك بُعداً ليس بعده لقاء؛ أي: بلا عودة. لقوم: اللام لام الاختصاص، قومٍ: هنا نكرة؛ لأنّه سبقها

قوله: قروناً آخرين، ولم يحدِّد من هؤلاء، بينما حينما قال في الآية (٤١) ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ القوم هنا معرفة محدَّدة بأل التّعريف وهم قوم هود، وقيل: قوم صالح، وفي هذه الآية تعني هلاكاً لأي قوم لا يؤمنون بالله تعالىٰ.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾: ثمّ للترتيب والتّراخي، أرسلنا: ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾: التّسع: العصا واليد والطّوفان والجراد والقمل والضّفادع والدّم والسّنين، ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: السّلطان: هو الحُجَّة القوية الّتي لا تُدحض، مثل العصا واليد.

﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّن واضح لكلّ فرد أنّها معجزة إلهية لا تحتاج إلىٰ برهان ودليل. وقيل: السّلطان المبين غالباً هي العصا؛ لأنّها كانت أقوىٰ الأدلة من حيث تحولها إلىٰ حية تلقف ما يأفكون، وقد يراد بالسّلطان كلُّ الآيات معاً.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾:

﴿فِرْعَوْنَ﴾: لقب لكلِّ من كان يحكم مصر مثل كسرىٰ لقب لمن كان يحكم الفرس وقيصر لمن كان يحكم الرّوم، ويجب الانتباه إلىٰ أن فرعون الذي ربىٰ موسىٰ هو رمسيس الثاني (وهو الفرعون الثالث)، وفرعون الخروج الذي أغرق هو ابن رمسيس الثاني، وقيل: اسمه (منفتاح)، وهو المقصود في هذه الآية. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿وَمَلَإِيْهِ﴾: وخص فرعون وملئه ولم يذكر قوم فرعون (القبط)؛ لأن دعوة موسىٰ وهارون كانت خاصة لفرعون وملئه وهم أشراف القوم أو من

يمثلون القوم ونسمِّيهم اليوم النّواب أو مجلس الشّعب أو رؤساء العشائر. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٧٥، ٨٨) لمزيد من البيان.

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، استكبروا؛ أي: أفرطوا في الكبرياء، وأظهروا تكبرهم وعظم شأنهم فوق ما يستحقون، وأبوا الطّاعة والاستجابة لموسىٰ وهارون، ولم يسمعوا لموسىٰ وهارون. والكبر هو إظهار عظم الشأن ورفع النفس فوق ما تستحق؛ أي: استكبروا كبرياءً شديداً.

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾: عالي: جمع عال؛ اسم فاعل من علا يعلو، أصله العالي؛ عالين علىٰ الخلق (بني إسرائيل) بالقدرة عليهم بالظّلم والبغي والاستبداد والقهر.

[٤٧] ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾:

﴿فَقَالُوٓاْ﴾: أيْ: فرعون وملئه، الفاء: تدل علىٰ المباشرة، فقالوا لبعضهم بعضاً.

﴿أَنُؤْمِنُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجبي: أنصدق أو نتبع.

﴿لِبَشَرَيْنِ﴾: اللام لام الاختصاص، بشرين: موسىٰ وهارون.

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: أيْ: بني إسرائيل.

﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، عابدون: خاضعون ومطيعون (لنا خدم وعبيد) أو كون بعضهم عبدوا فرعون قهراً ومن دون إرادتهم.

[٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: الفاء للمباشرة، كذبوهما: أيْ: موسىٰ وهارون أيْ: لم يؤمنوا بالآيات كلها، وبما جاء به موسىٰ وهارون.

﴿فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: الفاء للمباشرة والتّعقيب، المهلكين بالموت بالغرق.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ءَاتَيْنَا﴾: من الإيتاء ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التّوراة، ولم يذكر هارون هنا؛ لأنّ هارون كان وزيراً لموسىٰ.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل، والخطاب لبني إسرائيل يهتدون، أيْ: من أجل هدايتهم إلىٰ الغاية، وهي امتثال أوامر الله تعالىٰ وتجنب نواهيه وتطبيق ما جاء من الشرائع والأحكام في التّوراة.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾:

﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾: جمعهما في آية واحدة والآية هي البيِّنة والدّلالة أو المعجزة علىٰ عظمة وقدرة الخلق سبحانه أن يخلق ولداً من دون أب، فقد خلق سبحانه آدم من تراب من غير أب ولا أم، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر، وخلق النّاس من ذكر وأنثىٰ. وأخّر كلمة آية، وقدّم ابن مريم وأمه، أيْ: جعلناهم آية من الآيات الكثيرة الأخرىٰ. ارجع إلىٰ سورة مريم آية (٢١) للمقارنة.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾: من الإيواء: وجعلنا مأواهما أو منزلهما.

﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: الرّبوة: المكان المرتفع من الأرض. قيل: هي بيت المقدس، كما قال ابن عبّاس أو قيل: مصر أو أرض فلسطين (الرملة) والإيواء كان حين

فرَّت مريم بعيسىٰ خوفاً عليه من القتل، وكان الفرار لمدة (١٢ سنة) ثمّ رجعت بعد ذلك إلىٰ أهلها.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: فيها الكثير من الثّمار والـزّروع لا يحتاج صاحبها للرحيل لطلب العيش.

﴿وَمَعِينٍ﴾: أيْ: ظاهر مدرك بالعين ماء جار ظاهر علىٰ وجه الأرض.

معين: اسـم مفعول من عان فهو معيون (ظاهر للعين) أو مشـتق من معن بمعنىٰ جرىٰ وأسرع.

فيكون المعنىٰ: ماء ظاهر مدرك بالعين يجري سريعاً.

[٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الطّيبات: جمـع الطّيب، وهو كلّ حلال طاهـر، والطّيبات كلّ ما طـاب من المأكل. ارجع إلىٰ سـورة الأنفال آية (٦٩) لمزيد من البيان.

والنّداء إلىٰ جميع الرّسـل،أي: الأنبياء والرّسل، فكلّ من الرّسل خوطب في زمانه بنفس النّداء بالأكل من الحلال والطيب.

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾: والعمل الصّالح: ويشمل كلّ ما شرع الله من الفرائض والنّوافل والذّكر والطاعات إلىٰ درجة إماطة الأذىٰ عن الطّريق، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؛ فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما مصدرية أو اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: العمل يضم الأقوال والأفعال.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة لعالم عليم وعلامة أحاط علمه بكلّ من في السّموات والأرض وما فيهن، وكل زمان ومكان لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السّماء.

[٥٢] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾: إنّ للتوكيد، هذه: اسم إشارة،والهاء للتنبيه.

﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: الأمة معناها هنا الملة والدِّين، ولها معان أخرىٰ منها الجماعة والحين والزمان والرجل الجامع للخير الّذي يُقتدىٰ به، مثل إبراهيم عليه السلام، أيْ: ملتكم أو شريعتكم ملة واحدة، واحدة (ملة الإسلام أو الحنيفية السّمحة)، وإن اختلفت في المنهج،كما قال تعالىٰ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾: بامتثال أوامر الله وتجنب نواهيه، وارتقوا إلىٰ أعلىٰ درجات التّقوىٰ، ولم يقل لهم: وأنا ربكم فاعبدون؛ لأنّ الإيمان والعبادة أمر بديهي للرسل، ولكن فاتقون: أي: ارتقوا إلىٰ أعلىٰ درجات التّقوىٰ؛ لأنّكم الأسوة لغيركم من النّاس، وحين يخاطب سائر النّاس يقول: وأنا ربكم فاعبدون، وأنا ربكم: دليل علىٰ الوحدانية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

فما هو الفرق بين التّقوىٰ والعبادة؟

العبادة: فعل يحصل به التّقوىٰ، والعبادة فعل ما أمر به الشارع واجباً كان

أم مستحباً. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣)، والأنبياء آية (١٠٦) لبيان معنى العبادة.

التّقوى: هي الغاية من العبادة. فالتقوى = العبادة + كف النّفس عن كلّ حرام ومكروه، وإذا قيل: إنّ العبادة هي التّقوى فما ذلك إلا من قبيل المجاز، والغاية من التّقوى هي لقاء الله تعالى والقرب منه.

[٥٣] ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾:

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم ﴾: الفاء للتوكيد، تقطعوا أمرهم: دينهم، تقطعوا: انقسموا وتفرقوا إلى فرق، وأحزاب وطوائف.

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: أيْ: كلّ أمة تفرَّقت إلى فرق وطوائف مختلفة.

﴿زُبُرٗا﴾: جمع زُبْـرَه؛ أي: قِطعاً، قطعوا دينهم قِطعاً وزبراً جعلوا دينهم شرائع وتعاليم مختلفة (جمع زبور) أيْ: كالكتب المتعدِّدة.

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾: كلُّ فرق والحزب جماعة من النّاس تجمعهم آراءٌ أو مبادئُ أو عقائدُ واحدة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما بمعنى الّذي.

﴿لَدَيۡهِمۡ﴾: من الاعتقادات الباطلة، أو الاعتقادات أنّهم على حقٍّ وغيرهم ليس على حقٍّ.

﴿فَرِحُونَ﴾: أيْ: كل حزب يفرح بمبادئه وتصوراته إنه على الحق أو أفضل من غيرها، أو أكثر عدداً، وغيرها من الأسباب الوهمية وغير الحقيقية، وفرحون جملة اسمية تدل على الثّبوت، أيْ: سوف يستمرون على فرحهم، ولن يرجعوا إلى صوابهم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح ونوعه.

[٥٤] ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَذَرْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، والخطاب للنبي وغيره من المؤمنين، ذرهم: اتركهم ودعهم وشأنهم؛ أي: كفار مكة وغيرهم من الذين فرقوا دينهم.

﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: من الغمرة: مشتق من الماء الّذي يغمر قامة الرّجل حتّىٰ يمنع عنه التّنفس، فلا يبقىٰ له أمل في الحياة،وتعني ذرهم في جهلهم وكفرهم وضلالهم وغيهم وفسادهم ومعاصيهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿حِينٍ﴾: الحين مدَّة قد تطول أو تقصر غير محدَّدة، حتّىٰ حين يأتيهم العذاب أو يموتون بانقضاء آجالهم.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾:

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، الجواب محذوف، يحسبون: من الحساب وهو ظنُّهم الرّاجح المبني علىٰ الحساب والتّجربة والنّظر.

﴿أَنَّمَا﴾: للقصر.

﴿نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾: من المدِّ، ويكون بطريق الزيادة. وقيل: المد يكون في الشر، وأما الإمداد يكون في الخير أو القوة.

﴿مِن﴾: ابتدائية بعضية.

﴿مَّالٍ وَبَنِينَ﴾: بزيادة المال والبنين.

[٥٦] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾: نعجل لهم، اللام لام الاختصاص.

﴿فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: في ظرفية، الخيرات: الخير هو الشّيء الحلال الحسن النّافع ويشمل المال والصّحة والطّعام والشّراب والأمن والأولاد.

﴿بَل﴾: حرف إضراب إبطالي تبطل ما قبلها وتثبت ما بعدها.

﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾: لا النّافية، لا يشعرون أنّه استدراج لعذابهم والانتقام منهم،وتقدير الكلام: أيحسبون أنما عندهم من مال وبنين، ونسارع لهم في الخيرات هو خيراً لهم، بل هو شرٌّ لهم ليزدادوا إثماً.

[٥٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾:

بعد أن ذكر الّذين فرقوا دينهم وأصبحوا كلّ حزب بما لديهم فرحون، يذكر بالمقابل الّذين يخشون ربهم ولا يشركون به،ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجِلَة أولئك الّذين يسارعون في الخيرات حقاً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم﴾: إنّ: للتوكيد، الّذين اسم موصول يفيد المدح، هم: للتوكيد مرة أخرىٰ.

﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: من ابتدائية، خشية ربهم: الخشية تعني: الخوف المملوء بالمهابة والتّوقير والعلم بالله (صفاته وأسمائه).

﴿مُّشْفِقُونَ﴾: من الإشفاق: هو العناية المشوبة بالخوف والشّعور بالتّقصير بحقِّ الله، مقصرون بحقِّ الله، أو الظّن بأنّهم لم يؤدُّوا حق الله، أو خائفون أنّ الله لن يقبل منهم عملهم الصّالح.

[٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُم﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة، وتكرار والذين هم: للتوكيد والتعظيم.

﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: البـاء للإلصاق والمصاحبة، آيـات ربهم القرآنية والكونيـة والمعجزات والأدلـة والبراهين يصدِّقون بها، وتكـرار إنّ الّذين هم ثلاث مرات يفيد التّوكيد، ولكلّ آية معناها الخاص.

[٥٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ هُم﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

انتبـه: لماذا لم يأتِ الله سـبحانه بهذه الآية أولاً محذِّراً من الشّـرك قبل الإيمان، وجاءت بعد آية الإشفاق والخشية وآية الإيمان بآيات الله تعالىٰ؟

الجواب: لأنّه سبحانه لا يتحدَّث عن الشّرك الجلي والشّريك والولد والندِّ في هذه الآية إنما يتحدَّث عن الشّـرك الخفي وهو الرّياء الّذي لا يكاد يخلو منه مؤمنٌ، ولذلك جاءت متأخرة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم﴾: تفيد التّوكيد والمدح.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾: لا النّافية، يشركون: شـركاً خفياً، أيْ: لا يراؤون، ناهيك عن الشّـرك الجلي، فهذا غير وارد في حقِّهم، أو لا يتصور أن يكون من صفاتهم بعد الخشـية والإشفاق والإيمان، وهذا تحذير شديد فربما يكون هناك من يفعل ذلك، فيا حسرة عليهم.

❖❖❖

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٦٠ - ٧٤]

[٦٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح. ارجع إلى الآية (٥٩، ٥٨، ٥٧).

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾: ما أتوا: ما: مبهمة لتشمل كل أنواع العطاء والإيتاء والصدقات وغيرها ولا تحدد المقدار، وتشمل المال والطعام والعلم والنصيحة، والحقوق والأمانات والمساعدات يؤتون غيرهم، وجاءت بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: الوجل هو الخوف والقلق وعدم الاطمئنان يشارك به القلب بتسرع في ضربات القلب وقشعريرة في الجلد، قلوبهم وجلة ألا يقبل منهم عملهم الصّالح من صدقة أو صلاة أو صيام أو غيرها.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾: أنّهم للتوكيد، إلى ربهم: تقديم إلى للحصر؛ أيْ: فقط إلى ربهم راجعون أيْ: موقنون بالرّجوع إلى ربهم والوقوف بين يديه للحساب.

[٦١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد. يشير إلى الّذين ذكروا في الآيات الأربع السّابقة (٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠).

﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: ولم يقل: يسرعون، يسارعون مشتقة من يسارع

يعني: يرىٰ غيره يسرع فيحاول اللحاق به والتّفوق عليه، أيْ: فيها مبالغة لفعل يسرع، أمّا يسرعون من أسرع يُسرع بذاته من دون منافسة.

يسارعون في الخيرات: ولم يقل إلىٰ الخيرات، في ظرفية تعني كانوا سابقاً في سراع أو يسرعون في فعل الخيرات، والآن هم أشد سرعة أو ازداد فعلهم للخيرات من الزّمن السّابق.

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾: هم للتوكيد، لها: اللام لام الاختصاص، أي: السّباق لأجل فعل الخيرات، أيْ: في نيتهم أو قصدهم أن يسبقوا النّاس، سابقون؛ أي: هم أهل لهذا السباق والمشاركة فيه، والنّتيجة هم السّابقون لا غيرهم، أو إذا كان هناك متسابقون فهم في طليعة الفائزون.

[٦٢] ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

بعد ذكر يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون يبين الله في هذه الآية القانون الرّباني وهو:

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: الوسع: لغة يساوي القدرة + المخزون الاحتياطي، فالوسع، أي: القيام بكل الأوامر التّكليفية مع عمل النوافل كاملة، وفي حالات الضّيق والشّدة عندها يلتزم بالرّخص الشّرعية، فالله سبحانه يقبل عذر من بذل ما في وسعه في المسارعة في فعل الخيرات.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: لا النّافية، نكلف من التّكاليف الشّرعية من العبادات، إلا: أداة حصر، وسعها قدرتها + الاحتياطي، والوسع الحقيقي لا يقدره أو لا يعلمه إلا الله، مع العلم أن لكل إنسان وسع وطاقة تختلف عن الآخر.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾: أيْ: سجل أعمال العبد، الّذي كتبته الملائكة الحافظون

الكرام الكاتبون، ولم يقل: وعندنا، لدينا: تستعمل للمؤمنين فهم من المقربين، وقيل: لدينا كتاب قد يشمل القرآن أيضاً.

﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، والمصاحبة، الحق الأمر الثّابت الّذي لا يتغيَّر، أيْ: ينطق يوم القيامة دون زيادة أو نقصان على أعمالهم كقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ [الإسراء:١٤].

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: هم تفيد التّوكيد، لا يظلمون: بزيادة سيئة أو نقص حسنة، ولا يظلمون فتيلاً أو نقيراً أو مثقال حبة من خردل.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: قلوبهم تعود على الكفار: الّذين تقطعوا أمرهم بينهم كلّ حزب بما لديهم فرحون.

قلوبهم في غمرة في غفلة وجهالة، أو عدم يقظة. ارجع إلى الآية (٥٤) من نفس السّورة لمزيد من البيان. وقوله: قلوبهم في غمرة، ولم يقل: هم في غمرة، بل قلوبهم؛ لأن القلب هو يعمى، وهو مستودع الإيمان واليقين والعقاب، وهو الذي يسيطر على الجوارح كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦].

﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: من ابتدائية، هذا اسم إشارة للتقريب تعني من كتاب الحفظة أو كتاب أعمالهم،أو تعني القرآن الكريم في غمرة تمنعهم من الوصول إلى فهم القرآن وتدبُّر معانيه أو الاستعداد ليوم الحساب.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢].

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾: ولهم: اللام لام الاختصاص، أعمال من دون ذلك: أعمال غير الأعمال الّتي كتبها الحفظة لا بُدَّ أن يعملوها في المستقبل، سبق علمه سبحانه بها منذ الأزل.

أو الأعمال دون ذلك: أيْ: لهم أعمال غير تلك الأعمال الّتي عملوها يمهلهم الله لكي يعملوها من الأعمال السّيئة، فإذا عملوها جاء أمر ربك بالعذاب أو أعمال دون الشّرك والكفر من المعاصي والآثام، لا بُدَّ أن يعملوها قريباً.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَآ﴾: ظرفية زمانية فيها معنىٰ الشّرط.

﴿أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾: الأخذ يعني: القتل والانتقام بقوة وشدة بحيث لا يستطيع أحدهم أن يفلت من القتل والخزي والعذاب. مترفيهم جمع مترف بالعذاب: أولي النّعمة والتّرف والتبذير، التّرف: هو الغنىٰ والتنعم المذموم الّذي تجاوز التّبذير والإسراف. والسؤال: هل العذاب أخذهم وحدهم بدون أن يعم الناس عامة؟ طبعاً العذاب عم الكل، ولكن الله سبحانه وعد المؤمنين بالنجاة والنصر كما قال تعالىٰ في سورة غافر آية (٥١): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله تعالىٰ في سورة الروم آية (٤٧): ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذَا هُمْ﴾: إذا ظرف زماني يفيد الفجأة، هم للتوكيد.

﴿يَجْـَٔرُونَ﴾: يصرخون: يصيحون يطلبون الخلاص أو الاستغاثة.

ويجأر: يصرخ بصوت عال يسمعه كلّ من حوله طالباً من أحد أن ينقذه أو يدفع عنه المحنة.

[٦٥] ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّاهية.

﴿تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾: أيْ: لا تستغيثوا اليوم بنا من العذاب. اليوم: يوم القيامة.

﴿إِنَّكُم﴾: إن للتوكيد.

﴿مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: تعليل للنهي عن الجئر؛لأنّه لن ينفعكم، منا هنا تدل على أنّه إذا وجد أحد ينصركم فهو نحن حصراً، وهذا لن يحدث.

والأسباب لعدم نصركم والاستجابة لكم كثيرة منها:

[٦٦] ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتّوكيد.

﴿كَانَتْ ءَايَـٰتِى﴾: آيات القرآن وسماها آياتي لزيادتها تكريماً وتشريفاً.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أيْ: تقرأ عليكم. والتلاوة: تكون من القرآن، أو الكتب المنزلة، وهي أخص من القراءة ولها أجر، والتلاوة: لا تكون إلا لكلمتين أو أكثر، أو تعني: اتباع الشيء بالشيء، والقراءة: قد تكون من القرآن، أو غيره، وتكون من كلمة واحدة.

﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: العقب هو مؤخر القدم، أيْ: كنتم حين يُتلى عليكم القرآن تتولّون مدبرين لا تريدون الاستماع إليه، ولا الانتفاع به كالّذي يرجع القهقرى إلى الخلف ويغمض عينيه ولا يريد الهداية.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾:

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: مظهرين تكبرهم وعظم شأنهم فوق ما يستحقون؛ لأنّ

مؤهلات الكبر كالمال والجاه والسّلطان كلها من الله فهم لا يملكون تلك المؤهلات.

﴿بِهِۦ﴾: تعود للبيت الحرام، أي: العتيق، مستكبرين بسببه، أو تعود إلىٰ القرآن الكريم، أو الرّسول ﷺ.

مستكبرين بالقرآن: أيْ: مكذبين له، كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦].

﴿سَٰمِرًا﴾: بمعنىٰ: متسامرين أو حديث السّمر: حديث اللّيل حيث كانوا يجتمعون ليلاً من فعل سَمُر فلان يَسْمُر إذا تحدث ليلاً، والسّمر قيل: هو ضوء القمر،ثمّ أطلق علىٰ اللّيل، أيْ: يتحدثون حول الكعبة في ضوء القمر، وجعلوا البيت الحرام أو القرآن أو الرّسول ﷺ مادةَ سمرهم ويتسامرون بالحرم، بذكر الحرم وأنهم أهله، وولاته، فلا يخافون النّاس، ويستكبرون علىٰ سائر الأمم الأخرىٰ به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٣٤].

أو يتسامرون بالقرآن أنّه شعر أو سحر أو أساطير الأولين أو يتسامرون برسول الله ﷺ ويقولون: إنّه افترىٰ القرآن أو يعلِّمه بشر.

﴿تَهْجُرُونَ﴾: من هجر يهجر فهو هاجر: أيْ: هذىٰ من الهذيان وتكلم بكلام غير صحيح، أيْ: هو لغو وهذيان أو تهجرون الطواف بالبيت بسبب حديث السمر، وقد تشمل تهجرون ذكر الله وكتابه أيضاً بانشغالكم باللغو وحديث السمر.

[٦٨] ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وسبب توبيخهم لأنّهم:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: القول: القرآن، أو آية أو عدة آيات، والقول يشمل القرآن وغيره من القول، وسمي القول يعني: المقول بعينه، أو لأنهم خوطبوا به. يدبروا: أصلها يتدبروا: أبدلت التاء دالاً: لقرب المخرج وأدغمت مع الدّال الثّانية لما لم يتدبروا ويفهموا ما جاءهم في القرآن الكريم، وهو القول، ولو تدبَّروه وفهموا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به واهتدوا، والتّدبر: فهم المعنى والعمل به وتطبيقه. والفرق بين يتدبروا ويدبروا: يتدبروا تحتاج إلى تدبر؛ أي: زمن طويل وطول تأمل وتفكر تدبر عقلي وفكري مثلاً، أما يدبروا: تحتاج زمن قصير وتأمل قليل. ارجع إلى سورة محمد آية (٢٤) لمزيد من البيان.

﴿أَمْ﴾: المنقطعة بمعنى أم للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام، وقد تعني: بل جاءهم.

﴿جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: كقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [يس:٦] أيْ: لِمَ كان مجيء محمّد ﷺ غريباً عليهم أو لا يصدقونه فقد جاء لكلّ أمة رسولها.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة استفهام وتوبيخ، ام: للإضراب الانتقالي.

﴿لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: الّذي عاش بينهم طوال حياته ولم يعرفوا سيرته ونسبه ومسكنه قبل أن يبعث وسمَّوه الصّادق الأمين.

﴿فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: أم هم يعرفونه حقاً، ولكنهم يزعمون أو ينكرون أنّهم لا يعرفونه، وهذا توبيخ لهم. منكرون: جمع منكِر، والإنكار: هو أعم من الجحد، ويكون مع العلم، أو غير العلم بالشيء، أو النعمة، أو الرسول.

وقال: رسولهم، ولم يقل: أم لم يعرفوا الرّسول، نسب الرّسول إليهم؛ لأنّهم لا يمكن لهم إنكار ذلك.

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: جنة: مصدر من جنَّ على وزن فعلة، أم يقولون: به جنون كما قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]. ارجع إلى الآية (٢٥) من نفس السّورة لمزيد من البيان في جِنَّةٍ.

وكلمة يقولون بصيغة المضارع تدل على استمرار وتجدُّد قولهم: به جِنَّة.

﴿بَلْ﴾: حرف للإضراب الإبطالي، أيْ: يبطل معنى ما سبق، أيْ: ليس ﷺ به جنة، بل جاءهم بالحق.

﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن، وبالوحي والباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: كارهون: جمع كاره، أيْ: لا يريدون الحق؛ لأنّه يخالف شهواتهم وأهواءَهم، وكراهيتهم للحق هو أحد الأسباب الباطنة الّتي لا يعترفون بها، ولم يقل: الكل للحق كارهون، ولكن قال: أكثرهم، فهناك القليل الّذين يعلمون أنّه الحق وهم غير كارهين له.

وكارهون: جملة اسمية تدل على الثّبوت، كرههم للحق مستمر وثابت، لن يتغيَّر.

[٧١] ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَلَوِ﴾: لو الشّرطية.

﴿ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾: لـو نزل القرآن الكريم كمـا يتمنَّون ويحبون، كما قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

أو كما قالوا: اتخذ ولداً، أو له شريك في الملك أو استجاب لمطالبهم كما يحبون أو يريدون.

﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: جمـع هوىٰ، والهوىٰ: ما يدور في العقل، وما تريده النفس، وتميل إليه باطـلاً، أو بما ينبغي، ولا دليل عليه، والهوىٰ: يغلب عليه صفة الذّم، والهوىٰ: يكون إما بالأداء، أو الاعتقادات.

﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: خرجت عن نظامها الثّابت؛ لأنّ كلّ إله يريد أن يدبِّر ويُسير السّـموات والأرض كما يشاء، أو يحكم كما يشاء. لما استقامت الحياة علىٰ الأرض وحدث الهلاك والدّمار.

﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾: الملائكة والجـن والإنس، والحيوان والنّبات والجماد، كلٌّ حسب هواه وشهواته.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: بالقـرآن الّذي هو ذكرهم، والذّكر: هو الشـرف والفخـر، والذكر هو البيـان يبين لكم التّكاليف والأحـكام الّتي تحتاجون لها، والذكر: يعني يذكركم بالخالق.

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾: فهـم للتوكيد، عن ذكرهم معرضون: فهم عن كتابهم مبتعـدون ومهملون، كما قال تعالـىٰ: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان:٣٠].

معرضون: جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت والاستمرار في الإعراض.

[٧٢] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾: تطلب منهم أجراً ومالاً على تبليغ رسالتك والدّعوة إلى الله، والخراج هو العطاء، وسُمِّي الخراج؛ لأنّه هو الّذي يخرج منك رغماً عنك أمّا الخرج ما يخرج منك طواعية.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾: أيْ: ما يعطيك ربك ويرزقك في الدّنيا وما يعطيك في الآخرة خيرٌ؛ أي: أفضل وأعظم أجراً ما يعطيك النّاس.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: وهو ضمير فصل يفيد التّوكيد، خير الرازقين: خير وأفضل الرازقين.

هذا من فضل الله وكرمه أنّه أعطى بعض عباده صفة الرّزق رغم أنّه سبحانه هو وحده الرّزاق الحقيقي، ويرزق من يشاء بغير حساب، والرّزق لا يقتصر على المال والمتاع، وإنّما على العلم والصّحة أي: العافية والذّرية الصّالحة والأخلاق وغيرها.

وكونهم رازقين هي صفة زائلة عنهم تنتهي عند موتهم، ويبقى الله الحيُّ القيوم هو الرّزاق الدائم.

[٧٣] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ﴾: إنّك للتوكيد، واللام في لتدعوهم لزيادة التّوكيد، أي: النّاس أجمعين، تدعوهم: تدلهم وتبيِّن لهم الصّراط المستقيم، دين الإسلام.

والصّراط المستقيم هو السّبيل الّذي يوصلك إلى غايتك وهي الجنة ورضوان الله بأقصر زمن، ومن دون عائق وأقل جهد.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد، الّذين: اسم موصول يفيد الذم، لا: النّافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: لا يصدِّقون بالآخرة والبعث والحساب (باء الإلصاق).

﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: الطّريق القويم طريق الحق والهداية، أو الدين القيم.

﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: اللام لام التّوكيد، ناكبون جمع ناكب: اسم فاعل من نكب، أيْ: حاد أو عدل أو مال، ومشتقة من المنكب وهو جانب الكتف وتعني معرضون منحرفون؛ أيْ: معرضون عن السّير على الصراط؛ أيْ: تقبُّله والعمل به.

ناكبون: جملة اسمية تدل على الثّبوت، أي: الاستمرار على الإعراض عن السير على الصراط المستقيم.

❖❖❖

نصف الحزب ٣٥

وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٧٥ - ٨٩]

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾: قيل: معطوفة على حتّى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب.

وسبب نزول هذه الآية: كما قال ابن عبّاس: الضّر وهو الجوع والفقر الّذي نزل بأهل مكة حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال ﷺ: اللهم أعني على قريش بسنين كسني يوسف. رواه الواحدي في أسباب النّزول (١٧٩) وأصله في الصّحيحين أنّ رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم ذلك، فشكوا إليه الضّر، وأنّهم قد أكلوا القد والعظام، فنزلت هذه الآية والّتي بعدها، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

ولو رحمناهم: لو شرطية، رحمناهم: أيْ: أهل مكة وغيرهم، والرحمة تعريفها: جلب ما يَسرُّ ودفع ما يَضرُّ.

﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: كشفنا: رفعنا عنهم البلاء، من ضُرٍّ: والضُّر: اسم جامع لكل ما يسوء الإنسان في نفسه أو بدنه أو عرضه أو ماله. من: ابتدائية، ضُرٍّ: نكرة تشمل الجوع والفقر والخوف، والمرض، وما أصابهم نتيجة القحط والجدب. ارجع إلى سورة يونس آية (١٢) لمزيد من البيان.

﴿لَّلَجُّوا۟﴾: اللام للتعليل، للجوا: من اللجاج وهو التّمادي في فعل المزجور عنه، مشتقة من لُجَّة البحر، أيْ: تردُّد أمواجه وعودتها إلى الاصطدام بالشاطئ أو بالصخر المرة بعد الأخرى بلا انقطاع، ولجَّ في الأمر: واظبه ولازمه.

﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾: في مجاوزتهم الحد في الكفر والشّرك أو الضّلال.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من العمىٰ وهو عمىٰ البصيرة المؤدِّي إلىٰ التّردُّد في الأمر والحيرة وعدم الاهتداء إلىٰ الرّشد والصّواب والاستمرار في ذلك.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: أصبناهم وأنزلنا بهم العذاب بشدة، فلم ينجُ منهم أحد إلا أصابه الفقر والقحط، الباء للإلصاق والمصاحبة والاستمرار، العذاب: جاء بأل التّعريف، أي: العذاب الدّنيوي مثل سني القحط والفقر والجوع، أو قيل: القتل والأسر والهزائم، كما حصل في معركة بدر الكبرىٰ.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، ما: النّافية.

﴿ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾: استكان: بمعنىٰ خضع، والاستكانة: مشتقة من السكون؛ أي: الخضوع من استكان، أي: انتقل من كَوْن إلىٰ كوْن واستعمل كثيراً في الانتقال من كون الكبر إلىٰ كون الخضوع.

أيْ: فما خضعوا وانقادوا وأطاعوا ربهم بعد ما أصابهم العذاب ليكشف عنهم العذاب.

﴿لِرَبِّهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: تكرار (ما): لتوكيد النّفي، فما استكانوا وما يتضرعون وفصل كلّ منهما عن الآخر، أيْ: لم يتضرعوا ولم يستكينوا، لم يفعلوا أحدهما أو كلاهما معاً، يتضرعون: وهي الدّعاء والاستغاثة والذّلة أو ما تذلَّلوا لربهم بالدّعاء، ولم يقل: وما يضرعون، الفرق بينهما:

يضرعون: بالإدغام (التّاء في الطّاء) صيغة مبالغة وتعني الإكثار في الدّعاء والتّضرع والخبرة في كيفية التضرع.

يتضرعــون: أطول في البناء وتدل على طــول الزّمن الّذي أعطي لهم ولم يتضرعــوا ولو مرة واحدة، ويتضرعون جاءت بصيغــة المضارع، ولم يقل: وما تضرعوا، كما قال: وما اســتكانوا؛ ليــدل على دوامهم واســتمرارهم في عدم التّضــرع، أيْ: ليس من عادتهم التّضرع، وقولــه: يجأرون، لا تعني: يتضرعون. ارجع إلى الآية (٦٤) من نفس السّورة لمعرفة الفرق.

[٧٧] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴾:

﴿ حَتَّىٰٓ ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم﴾: علــى قريش أو مشــركي مكــة، وتقديم عليهــم (الجار والمجــرور) أيْ: خــاص بهم وليس علــى غيرهم. وعلى: تدل على المشــقة والصعوبة والاستعلاء، وتأتي في سياق العذاب أو الشر.

﴿بَابٗا﴾: مثلَ معركة بدر أو غيرها من الغزوات وأصابهم القتل والأسر، أو بابَ الجوع والقحط والضر، أو باباً من عذاب جهنم في الآخرة.

﴿ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾: نعت أو صفة للباب، عذاباً شديداً: يشمل القتل والأسر والقحط والفقر والجوع، ويشمل في الآخرة كلّ أنواع العذاب مثل الأليم والمقيم والمهين.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني يفيد الفجأة.

﴿هُمۡ﴾: للتوكيد.

﴿فِيهِ﴾: ظرفية.

﴿مُبْلِسُونَ﴾: جمع مبلس والإبلاس: شدة اليأس من النّجاة، أيْ: آيسون من النّجاة ومن كلّ خير، وساكتون من شدة الحيرة والعمى.

وقيل: الإبلاس والمبلس:

١ - المبلس: الآيس من رحمة الله.

٢ - المبلس: الآيس من كلّ خير.

٣ - المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه.

٤ - المبلس: الّذي يسكت عند انقطاع حُجَّته، أي: السّاكت، والمتحيِّر ماذا يفعل أو يقول.

٥ - وقيل: المبلس: المجهود المكروب، الحزين النّادم وقد يجمع الكل.

وأما الإبلاس قيل: الاكتئاب والحزن وشدة الحسرة.

وقيل: الإبلاس: الفضيحة.

[٧٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن بيَّن الله سبحانه إعراض المشركين عن تدبُّر القرآن والأدلة على وحدانيته أعقب ببيان بعض النّعم الّتي تدل على قدرته سبحانه فقال:

﴿أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: أنشأ: أوجد، وطور أدوات الحس هذه لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة؛ لتتفكروا بها وتستدلوا على ربكم خالقكم وتستفيدوا منها في دنياكم، وتعينكم على تحقيق غاياتكم الدّنيوية والأخروية.

وقدَّم السّمع على الأبصار؛ لأنّ السّمع يفوق البصر في الأهمية، ولأن السّمع ينشأ أو يُخلق قبل البصر، ولأنّ مدى السّمع أقل من مدى البصر.

وتقديم السّمع على البصر يكون في سياق الدّنيا، أمّا في سياق الآخرة فهو يقدِّم البصر على السّمع، كما في آيتي الكهف آية (٢٦)، والسّجدة آية (١٢)، أمّا لماذا جمع البصر وإفراد السّمع فارجع إلى سورة البقرة آية (٧).

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أيْ: قليلٌ منكم من يشكرون على نعمة السمع والبصر وغيرها من النعم؛ (أيْ: عدد الشّاكرين منكم قليل) أو الشّكر على نعمه الكثيرة كميته قليلة جداً، أو لا تشكرونه إلا نادراً. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشّكر.

﴿قَلِيلًا﴾: التّنكير يفيد التّقليل، (ما) لتأكيد قلة الشّكر.

[٧٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: تكرار وهو الّذي، الّذي يفيد التّوكيد والحصر والتّعظيم.

﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من ذرأ: أيْ: بثَّ أو فرَّق أو نشركم في الأرض: بالتّناسل والتّكاثر لعمارتها ووزَّعكم في أقطارها.

﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إليه: تقديم الجار والمجرور تفيد الحصر، أيْ: فقط إليه تحشرون.

الحشر هو السّوق من الأجداث والجمع يوم القيامة في أرض المحشر للحساب، وكذلك من مظاهر قدرته الإلهية الإحياء والإماتة واختلاف الليل والنّهار، فهذه كلها موجبة لعبادته وتوحيده والإيمان به.

[٨٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ﴾: تكرار وهو الّذي يفيد التّوكيد والحصر.

﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾: يُحيي: بنفخ الرّوح في الجنين بعد بدء تشكله، ويبقي من يشاء حياً حتّىٰ يبلغ أجله، ويميت: من بلغ أجله.

﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: له: لام الاختصاص لـه وحده يرجع تدبير دوران الأرض حول نفسها وحول الشّمس؛ مما ينتج عنه تبادل الليل والنّهار بالطول والقصر، الدال علىٰ عظمة الخالق وقدرته، وهذا الدوران الدقيق يحث علىٰ التفكُّر والوصول إلىٰ الحقيقة وإعمال العقل.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري علىٰ عدم التّعقل والتّعجُّب من ترك التّفكير، والفاء للتوكيد، ألا: أداة حضٍّ وتنبيه، وتحمل معنىٰ الأمر.

﴿تَعْقِلُونَ ﴾: من عقل الشّيء أيْ: عرفه بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه ووصل إلىٰ الحقيقة وهي الإيمان به أنّه هو الإله الحق واجب الوجود المستحق للعبادة وحده وأنّه علىٰ كلّ شيء قدير.

[٨١] ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾:

أيْ: لم يتعظ ويعقل مشركو وكفار قريش وغيرهم.

﴿ بَلْ قَالُوا۟ ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾: ما مصدرية أو اسم موصول بمعنىٰ الّذي وأوسع شمولاً من الذي. ما قال الأولون: وماذا قال الأولون جاء في الآية القادمة (٨٢)

والانتقال من قوله: أفلا تعقلون بصيغة المخاطب إلىٰ قوله: بل قالوا بصيغة الغائب لقلة الاهتمام بهم وبما قالوا.

[٨٢] ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا﴾: الهمزة هنا همزتين همزة استفهام إنكاري واستبعاد وهمزة إذ الشّرطية. قالوا: وهم في الدنيا.

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: مِتنا بكسر الميم، أيْ: موت عادي علىٰ فراش الموت، بينما مُتنا بضم الميم تدل علىٰ الموت في الجهاد في سبيل الله. ارجع إلىٰ سورة آل عمران (١٥٧-١٥٨) لبيان الفرق بين مِتم ومُتم.

﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾: التّراب فوق العظام أو تستحيل النّسج والعضلات إلىٰ تراب والعظام تتحول إلىٰ عظام نخرة، ثمّ إلىٰ رفاتٍ بعد الموت بزمن طويل.

﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد.

﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: اللام للتوكيد والاستبعاد والنّفي نفي البعث، من بعد الموت والخروج من القبور والحشر والحساب.

جملة اسمية تفيد الثّبوت والاستمرار في إنكار البعث.

[٨٣] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾: الموعود، أي: البعث بعد الموت، وآباؤنا: أيْ: أجدادنا.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل مجيء محمّد ﷺ، أو من الأنبياء السّابقين.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾: إن للتوكيد، هذا اسم إشارة والهاء للتنبيه ذا: للتقريب، أي: البعث.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة أو أكذوبة من الأباطيل والأكاذيب الّتي جاء بها الأولون.

لنقارن الآية (٨٢-٨٣) من سورة المؤمنون وهما: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

مع الآية (٦٧-٦٨) من سورة النّمل وهما: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

في آية (المؤمنون) قدَّم (نحن وآباؤنا) على كلمة (هذا) أي: (البعث) فهو قدَّم المؤكد نحن وعطف عليه الآباء، ثمّ أخَّر الموعود الّذي ليس مؤكداً وهو البعث، آباؤهم في هذه الآية معروفون.

في آية النّمل قدَّم هذا (البعث) لأنّه أهم من آبائهم غير المعروفين مَنْ هم، أو قدَّم هذا؛ لأنّه يشير إلى البعث بعد كونهم تراباً الّذي هو أدعى إلى العجب والبُعد من كونهم تراباً وعظاماً.

ثم طلب الله سبحانه وتعالى من نبيه أن يسأل منكري البعث ثلاثة أسئلة؛ ليقيم عليهم الحُجَّة، وأن يأتي الجواب منهم.

[٨٤] ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

السؤال الأول: ﴿ قُل لِّمَنِ ﴾: لمن اللام لام الاختصاص والملكية، قل، يا محمّد ﷺ أو اسأل أهل مكة المكذبين بالبعث والحساب والجزاء.

﴿ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾: من مالك الأرض ومن فيها من خالقها، وخالق ما فيها (من نباتات وثمرات ومعادن وخيرات وكنوز وحيوانات وأشجار وبحار وجبال).

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشّك، إن كنتم: أهل علم ولستم من الجاهلين.

[٨٥] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾:

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾: السّين: للتوكيد، وللقرب سيقولون: لله، اللام لام الملكية والاختصاص، وبما أنّهم قالوا: لله، فهم لا ينكرون ذلك.

﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾: أفلا الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجُّب، ألا: أداة تنبيه وحضٍّ وتحمل معنى الأمر، تذكرون: ما دامت الأرض ومن فيها لله،فلماذا لا تذكرون ذلك، وتؤمنون به وتؤمنون بيوم البعث والحساب.

وحين يسأل: قل لمن الأرض ومن فيها؟ الجواب: أن تقول: لله؛ لأنّ الخطاب لكلّ من يسمع السّؤال، ولكنّه قال: سيقولون: لأنّه أراد الجواب من أهل مكة المكذِّبين بالبعث والحساب والجزاء بإقرارهم على أنفسهم ولتكون الحُجَّة عليهم؛ لأنه لا يسأل الذين يؤمنون بالله تعالى وبالبعث فهؤلاء جوابهم معلوم، وكان هذا السؤال الأول، ويكفيه التذكر أو النظر لإدراك الجواب، والسؤال الثاني ورد في الآية (٨٦) أصعب أو أعقد من الأول وفيه تحذير وتهديد، وجاء الجواب أفلا تتقون، وجاء السؤال الثالث في الآية (٨٧) فيه تحذير وتهديد أشد وأشد فكان الجواب فأنى تسحرون.

[٨٦] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾:

﴿ قُلْ ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿مَن ﴾: استفهام تقريري.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: أيْ: خالق السّموات السّبع وخالق العرش العظيم، وأعظم ما خلق سبحانه هو العرش، ثمّ السّموات السّبع والأرض، ثمّ خلق الإنسان، وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨]. ارجع إلىٰ سورة التوبة آية (١٢٩) لمزيد من البيان عن رب العرش العظيم، وسورة طه آية (٥)، وسورة هود آية (٧).

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾:

السّؤال في هذه الآية قل من رب السّموات السّبع؟ الجواب عادة: سيقولون الله، ولكنهم عدلوا عن ذلك وقالوا: لله؟ وهذا جائز في اللغة فحين تسأل من صاحب هذه الدار؟ تعني: لمن هي.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾: أي: تطيعون أوامر الله تعالىٰ وتجتنبون نواهيه وتجعلون بينكم وبين سخطه وغضبه أو ناره حاجزاً.

[٨٨] ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾: تضم ملكوت السّموات والأرض، والملكوت هو المَلِك الّذي لا تراه وتحسه وتشاهده من ملك الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٧٥) لمزيد من البيان.

فالله سبحانه بيده: أيْ: في قبضته ملكوت كلّ شيء؛ مما يدل علىٰ القدرة والتّمكن والتّصرف فيها كيف يشاء، فهو سبحانه مالك المُلْك فيها معنىٰ المِلْك،

أي: الملكية والمُلْك، أي: الحكم فهو سبحانه له السّموات السّبع والأرض، وما في السّموات، وما في الأرض، وما بينهما.

وله المُلك: أيْ: هو الحاكم لهنَّ وما فيهنَّ والمدبر ومالك لهنَّ وما فيهنَّ.

وكلمة شيء نكرة تعني: كلّ شيء مهما كان نوعه وحجمه وشكله وجنسه.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: أيْ: يتكفل بحماية من يلجأ إليه ويطلب منه العون والغوث، ولا يحتاج سبحانه إلىٰ حماية أحد أو الغوث والمساعدة والنّصرة من أحد مهما كان؛ لأنّه سبحانه هو القوي العزيز، ولا يستطيع أحد أن يحميك أو يجيرك من الله تعالىٰ ومن عذابه وعقابه.

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾:

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٥) من نفس السورة للبيان.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ لهم.

﴿فَأَنَّىٰ﴾: استفهام بمعنىٰ: كيف ومن أين وتحمل معنىٰ التّعجُّب.

﴿تُسْحَرُونَ﴾: أيْ: إذا كان جوابكم لهذه الأسئلة الثّلاثة هو الله كما تقولون، فما الّذي سحركم أو كيف سُحرتم، أو من أين جاء لكم السّحر حتّىٰ تشركوا بالله تعالىٰ ولا تؤمنوا بالبعث والآخرة والحساب أو تخدعون بالباطل ويُذهب بعقولكم كما يُفعل بالمسحور الّذي أصيب بالسحر والجنون.

❖ ❖ ❖

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٩٠ - ١٠٤]

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب إبطالي لإبطال كونهم مسحورين.

﴿أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾: بالوحي بالصّدق والحق هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير، وبالحق قد يعني القرآن، وبأنّه ليس له شريك ولا ولد، أيْ: بالتّوحيد.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: إن واللام في لكاذبون للتوكيد، لكاذبون حين يزعمون أنّ له ولداً أو معه شريك.

[٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾: ما النّافية، ينفي سبحانه عن ذاته الولد، لأنّهم قالوا: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة:١١٦]، وما تنفي كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، من: استغراقية أيِّ ولد ذكر أو أنثى، سواء كان عيسى أو عزيراً أو الملائكة (بنات الله) وفي الماضي والحاضر، فاتخاذ الولد بحق الله لا ينبغي؛ لأنّه سبحانه لا يحتاج إلى عونٍ أو وليٍّ أو نصيرٍ أو ولدٍ؛ لأنّه سبحانه عزيز حكيم. والفرق بين ما اتخذ الله من ولد، وقوله لم يتخذ ولداً: ما اتخذ الله: تأتي في سياق الرد على سؤال أو قول بالنفي؛ لم يتخذ ولداً: تأتي في سياق الإخبار أو التعليم.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾: و(ما): النّافية وتكرارها يفيد التّوكيد وفصل كلّ من اتخاذ الولد واتخاذ الشّريك أو كلاهما معاً، وتنفي كلّ الأزمنة الماضي

والحاضر والمستقبل، من: استغراقية، أيْ: ما كان معه من إلهٍ مهما كان نوعه يشارك في الألوهية، اللام لام التّعليل.

﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾: لانفرد واستقل كلّ إله بخلقه وبملكه، ولفسدت السّموات والأرض؛ لأنّها ستكون خاضعة لأوامر كلّ إله، وليس لنظام واحد ومدبِّر واحد.

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: وفي آية أخرىٰ ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

ولعلا بعضهم علىٰ بعض بالقوة، وحاول كلّ منهما التّغلب علىٰ الآخر بشتىٰ الوسائل.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أيْ: أنزه الله تنزيهاً في ذاته وصفاته وأسمائه تنزيهاً كاملاً من كلّ عيب ونقص. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (١) لمزيد من البيان، وسورة الحديد آية (١).

﴿عَمَّا يَصِفُونَ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن وما عن: تفيد المغايرة، ما المصدرية، سبحانه عن إشراكهم أو اسم موصول بمعنىٰ الّذي، يصفونه به بما يقولون من الشّرك (الولد أو النّد أو الولي) والصاحبة والشريك.

[٩٢] ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: عالم صيغة مبالغة من علم كثير العلم يحيط علمه بكل شيء، فهو يعلم ما غاب عن الخلق من الأشياء ويعلم ما يشاهدونه ويبصرونه فهو عالم الغيب والشّهادة (أي: المرئيات) والغيبيات. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿فَتَعَٰلَى﴾: تقدَّس وتعالىٰ الله عما يقوله الظّالمون والكافرون والمجرمون، وتعالىٰ علىٰ كلّ شيء بقدرته والمتنزه عن نعوت المخلوقات وعن كلّ شيء لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عما: مركبة من عن + ما عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي يشركون أو مصدرية، أيْ: سبحانه عمَّا يشركون به من الأصنام أو الآلهة أو النّد والولد والصاحبة.

[٩٣] ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾:

﴿قُل﴾: يا محمّد ﷺ رب حذف، ياء النّداء الّتي تفيد البعد.

﴿إِمَّا﴾: أصلها إن، الشّرطية الّتي تفيد النّدرة والاحتمال، أيْ: تستعمل للأمر المحتمل أو النّادر الحدوث، ما: للتوكيد.

﴿تُرِيَنِّي﴾: النّون الثّقيلة لزيادة التّوكيد، أيْ: إن كان لا بُدَّ أن ترين، أيْ: تطلعني علىٰ عذابهم.

﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ الذي وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية ما يوعدون من العذاب أو القتل في الدّنيا رب فلا تجعلني في القوم الظّالمين.

[٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

أيْ: إن أريتني عذابهم رب فلا تجعلني فيهم أو من بينهم حين يحل بهم العذاب.

﴿رَبِّ﴾: حذف ياء النّداء للقرب، وتكرار ربِّ تدل على زيادة التّضرع أو التّوكيد في الدّعاء.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ولم يقل: تجعلني مع القوم الظّالمين، تعني: أصبح من جملتهم، أي: المختلط فيهم حين يحل بهم العذاب، أيْ: ليس فيهم ولا معهم، أيْ: مصاحب للظّالمين والمشركين بأي حال من الأحوال.

[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾:

يبيِّن الله سبحانه أنّه قادر على أن يعذبهم ويُري رسولَ الله ﷺ عذابهم وأنّه سبحانه قادر على ذلك.

﴿وَإِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿عَلَىٰٓ أَن﴾: للتوكيد.

﴿نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب والخزي أو القتل والهزيمة، ما مصدرية، أو اسم موصول بمعنى الّذي وأوسع شمولاً من الذي.

﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: اللام للتوكيد، ولا ننسى قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف:٤١-٤٢].

[٩٦] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾:

﴿ٱدْفَعْ﴾: الدّفع الرّد بقوة، وأما الدرء فهو الدفع أو الرّد بسرعة، الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين أيضاً.

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: بالّتي هي أحسن على وزن أفعل، أي: ادفع

بالأفضل، أيْ: رد الإســاءة أو الأذىٰ أو السّــيئة الّتي تصدر عنهم نحوك بالصّفح والعفو. ومقابلتها بما يمكن من الإحســان؛ أي: ليس فقط الصّفح، بل الصّفح+ الإحسان يعني: حسنة مضاعفة إزاء سيئة واحدة.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾: نحن ضمير للتعظيم، أعلم صيغة مبالغة ولم يقل: نحن نعلم.

﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾: بما يقولون: الباء للإلصاق، وما: بمعنىٰ الذي يصفون الله تعالىٰ بأن له شريكاً أو ولداً، أو صاحبةً أو ولياً، و(ما) مبهمة تشمل كلّ ما يصفون، ويصفونك بالسّاحر والشّــاعر والمفتري والمجنون، أو لا بعثَ ولا حسابَ ولا آخرةَ.

[٩٧] ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾: أي: ألتجأ إليك أو أســتجير بك، وأتحصن بك حتّىٰ لا يفتنوني في ديني، وإن كان الخطاب إلىٰ رسول الله ﷺ،فهو كذلك لأمته الّتي هي أحوج منه إليه.

﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: جمع همــزة والهمزة في اللغة النخس والدّفع، أيْ: دفعهم إلىٰ فعل المعاصي وحثهم عليها وإثارة الغضب حتّىٰ لا يملك الإنســان نفسه.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾:

﴿وَأَعُوذُ بِكَ﴾: أيْ: ألتجأ إليك وأستجير وأتحصّن بك، وتكرار أعوذ بك: للتوكيد علىٰ أهمية الاستعاذة من الشيطان في كل الأمور.

﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾: فــي أيِّ أمر من أموري، أو حتّــىٰ مجرد الحضور وإن لم يهمزوا أيْ: لا أريدهم بالقرب مني فحذف الياء يدل علىٰ الاستمرار؛ أي: التعوذ الدائم من أي وقت وعدم حضورهم ولو أدنىٰ الحضور.

[٩٩] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾:

هذه الآية تتمة لقوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾:

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل علىٰ حتمية الحدوث، أيْ: تستعمل للشيء المحقق حدوثه وبكثرة وهو مجيء الموت.

﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: أيْ: هو في حالة الاحتضار أو مرحلة الوفاة الّتي تسبق قبض الروح، وجاء فيها معنىٰ الصعوبة والمشقة والشدة، ولم يقل:حضر أحدهم الموت.

حضر فيها معنىٰ السهولة، وتستعمل عادة في الأحكام أو آيات الموت أو الإنذار، أو الوصايا والتوبة، والتحذير والموعظة، بينما جاء تعني المريض علىٰ فراش الموت وفي حالة الاحتضار، ويعاني من سكرات الموت ويوقن أنّه ميت، عندها يتمنىٰ الكافر والمشرك أن يرجع إلىٰ الدّنيا.

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾: جاءت ارجعون بصيغة الجمع، بينما جاء أحدهم الموت بصيغة الإفراد.

وتفسير ذلك كأنّه استغاث ربه واستغاث الملائكة، فقال: ارجعون ولم يقل: رب ارجعني؛ لأنه كرَّر ذلك الطّلب فقال: ارجعون، أو قال: ارجعون ولو لمدة قصيرة، أو زمن قليل، وأما ارجعوني تعني: مدة طويلة، أو قال: ارجعون لضيق الوقت قبل الموت، أو بصيغة الجمع تعظيماً لله تعالىٰ.

﴿ٱرْجِعُونِ﴾: أي: إلىٰ الحياة الدّنيا والرّجوع يكون عادة إلىٰ المكان الّذي انطلق منه، ولماذا يطلب الرّجعة إلىٰ الدّنيا؟ تفسرها الآية القادمة لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت.

[١٠٠] ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾:

﴿لَعَلِّيٓ﴾: قد تكون للترجي، أو للتعليل، وهو الأرجح، ولعلي تعني هو غير جازم أو متأكّد بعد، ولم يقل: سأعمل صالحاً،وقد جاء جواب ذلك: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

﴿أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾: من الأعمال الصّالحة أو فيما ضيعت من عمري من صلاة وزكاة وحج، وغيرها من ذكر وتلاوة القرآن.

﴿كَلَّآ﴾: كلمة ردع وزجر عن حصول ما يطلب، أيْ: لا رجوع ولا عودة وإنكار واستبعاد حدوث ذلك.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: أيْ: كلمة قائلها لا فائدة منها وهي ارجعون، ولا قيمة لها، مجرد لغو. والكلمة تقسم في القواعد إلىٰ اسم، وفعل، وحرف، وتطلق علىٰ العبارة مؤلفة من عدة كلمات، أو علىٰ الموضوع المؤلف من عدة جمل أو عبارات.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾: البرزخ: لغة هو الحاجز أو الحجاب بين شيئين أو الحائل؛ أي: لا رجعة إلىٰ الدّنيا إنما فقط إلىٰ الآخرة ومن ورائهم؛ أي: من أمامهم برزخ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف:٧٩]، حياة البرزخ الفاصلة بين الحياة الدّنيا وحياة الآخرة، وتستمر إلىٰ يوم يبعثون يوم القيامة، أيْ: لا رجوع إلىٰ الدّنيا وليس أمامهم إلا البرزخ إلىٰ (حرف يستعمل لكلّ الغايات). إلىٰ يوم يبعثون، وكلمة كلا فيها إبلاس شديد من الرّجوع إلىٰ الحياة الدّنيا.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: ظرف زماني متضمّنة معنىٰ الشّرط.

﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: النّفخة الثّانية (نفخة البعث أو القيام)، والصور: في لغة العرب القرن والذي عليه أهل السّنة والجماعة أنّ الصّور: بوق ينفخ فيه.

﴿فَلَآ﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط تفيد التّوكيد، لا النّافية للجنس (أنساب).

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: أيْ: تنقطع بينهم ولا تنفعهم أنسابهم شيئاً، أيْ: صلة الرّحم والقرابات يوم القيامة، والكل يقول: نفسي نفسي.

كيف ينفي الأنساب في هذه الآية، وفي آيات أخرىٰ يقول: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٣-٣٦].

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧].

نفي الأنساب هنا يعني عدم فائدتها، ولا تفاخر في ذلك اليوم بالأنساب.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: من أيِّ قبيلة أنت، أو أيِّ نسب، ولا يسأل بعضهم بعضاً عن ذلك، ولا يسألهم ربهم أو الملائكة، وتعني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه ولا يبحث عنهم لانشغال كلّ واحد بنفسه.

[١٠٢] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿فَمَن﴾: الفاء عاطفة للتفريع من شرطية.

﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: رجحت حسناته علىٰ سيئاته، أفلح وفاز ونجا من النّار وأدخل الجنة. ارجع إلىٰ سورة القارعة آية (٦) لبيان معنىٰ موازينه.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك اسم إشارة يدل علىٰ البعد بعد منزلتهم ومكانتهم.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون من النّار والفائزون بالجنة. ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة للبيان.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: ومن رجحت سيئاته على حسناته فقد خسر وأبعد عن الجنة وأدخل النّار. ارجع إلى سورة القارعة آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: خسروا أنفسهم في الهاوية في جهنم خالدون، مقيمون فيها إقامة أبدية تبدأ من زمن دخولهم إياها.

[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾:

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: أيْ: تحرقها إحراقاً شديداً، كقوله سبحانه في سورة الأحزاب الآية (٦٦) ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النحل:٩٠]، وكقوله: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنبياء:٣٩].

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾: الكالح الّذي تقلصت شفتاه حتّى بدت أسنانه حيث حرقت شفاههم النّار، فبدا كأنه مخيف الهيئة أو منفِّر.

❖ ❖ ❖

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

ترتيبها ٢٤ آياتها ٦٤

سورة المؤمنون [الآيات ١٠٥ - ١١٨]

[١٠٥] ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: استفهام إنكاري تقريري.

﴿تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: (آياتي، أيْ: آيات القرآن)، تتلىٰ عليكم: أيْ: تقرأ عليكم، وإضافة الآيات إليه عَزَّ وَجَلَّ يفيد عظمتها وقدَّرها، ولم يقل: ألم تكن الآيات تتلىٰ عليكم.

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: لا تصدِّقون بها، بأقوالكم وأعمالكم، بها جار ومجرور وتقديمه يفيد الاختصاص، أيْ: بآياتي خاصة تكذبون هذا التّذكير والاستفهام وهم في جهنم مما يزيدهم حسرةً ويأساً.

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾:

هذا ردهم علىٰ السّؤال السّابق: ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم؟ قالوا: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، فهم يحاولون الاعتذار بأيِّ شيء ويعترفون بذنبهم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: ولم يقولوا: يا ربنا حذفوا ياء النّداء للبعد.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: مصدر لبيان الهيئة من شقي، الشقاوة هي البعد عن منهج الله والدين، أو الإيمان والانغماس في الكفر والضلال والمعاصي وانتهاك حرمات الله ونسيان الآخرة، والبعد عن الحق، والشقاوة مكتسبة بالإرادة والاختيار، وتؤدي إلىٰ خسارة الدنيا والآخرة.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: تائهين عن الصّراط منحرفين ضائعين في ظلمات الجهل والضّلال. وإضافة (قوماً) تفيد المبالغة في الضّلال والتّوكيد.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾:

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: أيْ: من النّار، وأرجعنا إلىٰ الدّنيا لنؤمن ونعمل صالحاً أو نعمل غير الّذي كنا نعمل.

﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾: الفاء للتوكيد، إن شرطية تستعمل في الأمر المحتمل أو النّادر، (أيْ: عودتهم لن تتحقق)، فإن عدنا إلىٰ الكفر والشّرك والمعاصي أو الشّقاوة والضّلال فإنا ظالمون.

فإن عدنا ولم يقولوا: فإن رجعنا، رجعنا تعني إلىٰ ما كانوا عليه من الكفر والضّلال والشّقاوة، وعدنا تعني الرّجوع، ولكن ليس إلىٰ ما كانوا عليه وإنما لشيء آخر هو الإيمان.

﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، إنا ظالمون: لأنفسنا آنذاك، والظالم: هو التارك لدين الله. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٣٥) لبيان معنىٰ الظلم. فردَّ الله تعالىٰ علىٰ سؤالهم بالقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾:

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾: الخسوء هو الطّرد والإبعاد، يقال: خسأت الكلب، أيْ: طردته أو زجرته ليبتعد عنك؛ أي: ابتعدوا، وتعني: اسكتوا بذلة وهوان.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: اخرسوا ولا تطلبون أو تسألون ولا تدعون، لا النّاهية، تكلمون: بصيغة المضارع، أيْ: لا تعيدوا الدّعاء والسّؤال.

فعن ابن عبّاس: إنّ لهم ستَّ دعوات إذا دخلوا النّار:

١ - ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢].

فكان الجواب: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

٢ - ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١].

الجواب: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢].

٣ - ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

٤ - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

٥ - ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٨].

٦ - ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

[١٠٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنّ: تعليلية.

﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾: قيل: هم المهاجرون أو الصّحابة أو أهل الصّفة أو ضعاف المؤمنين أو فريق من المؤمنين بشكل عام.

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على الاستمرار، وتكرُّر وتجدُّد قولهم، ولم يقولوا ذلك مرة واحدة، بل مرات: ربنا آمنا بك وبما أنزلت.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا وسيئاتنا.

﴿وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾: أفضل الراحمين؛ لأنّ رحمتك لا تنقطع ولا تزول، كما تزول رحمة عبادك بعد موتهم وفنائهم.

لنقارن هذه الآية: وأنت خير الرّاحمين مع الآية (١٥٥) من سورة الأعراف: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: هذا دعاء موسى لقومه؛ لأنّه سبق ذلك ذنب حين اتخذوا العجل إلهاً، وقالوا: أرنا الله جهرة فالذّنب يحتاج إلى مغفرة، أيْ: إسقاط العقاب واستحقاق الثواب.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾: هذا دعاء الفريق من المؤمنين.

الرّحمة: الإنعام على السائل والرّحمة هي جلب كلّ ما يَسُرُّ ودفع كلِّ ما يَضُرُّ.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد تعود على الّذين خفت موازينهم أمثال رؤساء مشركي قريش، مثل أبي جهل وعقبة والوليد بن المغيرة، اتخذوا الفقراء

أصحاب رسول الله ﷺ كعمار وبلال وخباب وصهيب سخرياً: مصدر سخر والسّخرية: هي استنقاص حقٍّ من يسخر به. ارجع إلىٰ سورة التّوبة آية (٧٩)، والزمر آية (٥٦) لمزيد من البيان، ولمقارنة سِخرياً بكسر السين وسُخرياً بضم السين؛ ارجع إلىٰ سورة الزخرف آية (٣٢).

﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾: أيْ: شغلكم الاستهزاء والسّخرية بهؤلاء الضّعاف من المؤمنين عن الإيمان والتّوبة، أو ذكر الله.

﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾: إنه لم يتوقف الأمر علىٰ السّخرية من هؤلاء الضعاف، بل تعدّاه إلىٰ الضحك منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١].

[١١١] ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾:

﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: إنّي للتوكيد، جزيتهم اليوم: يوم القيامة، وتعود علىٰ الّذين قالوا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين.

﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾: الباء باء السّببية بسبب صبرهم، أو بدل من صبرهم علىٰ أذىٰ المشركين والكفار،وعلىٰ الّذين سخروا منهم وصبروا علىٰ الاستقامة علىٰ طاعة الله.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أنّ: للتوكيد، هم للتوكيد.

﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: أيْ: الفوز بالجنة والنّجاة من النّار.

[١١٢] ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾:

سؤال إلىٰ الكفار منكري البعث الّذين خفت موازينهم وأدخلوا النّار وهم فيها كالحون، وقالوا: ربنا أخرجنا منها،فإن عدنا فإنا ظالمون، وغيرهم.

﴿كَمْ﴾: استفهامية فيها معنىٰ التّوبيخ والتّقريع.

﴿لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: اللبث: الإقامة في الدّنيا أو في الأرض أحياء (اللبث: الإقامة المقترنة بزمن محدَّد)، وقد تعني أيضـاً: أمواتاً في البرزخ (في قبوركم) لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦].

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾: سـنين جمع سـنة، سـنة تحمل في معناها الشّر، والعام يستخدم في سياق الخير من خصوصيات القرآن، أيْ: كم سنة لبثتم في الأرض.

[١١٣] ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾:

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: فهم نسوا أو استقصروا مدَّة لبثهم في الدّنيا أو في الدّنيا وعالم البرزخ لعظم وهول ما عاينوه من العذاب أو أنساهم العذاب من شدته مدة لبثهم، أو لأنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فإذا عاشوا (١٠٠) عام علىٰ سـبيل الافتراض، فذلك يعاد (١/ ١٠) اليوم، أيْ: ما يعادل سـاعتين ونصف، ونوح عليه السلام أو قومه عاشـوا حوالي (١٠٠٠) سنة، أيْ: ما يعادل اليوم أو بعض اليوم، وفي آيات أخـرىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم:٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥]، ويبدو أنّهم غير واثقين من الإجابة لذلك قالوا:

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾: أي: الملائكـة أو غيرهـم. جمع عـاد: الّذين يعدُّون ويُحصون.

[١١٤] ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَٰلَ إِن﴾: إن النّافية بمعنىٰ ما،والنّفي بإن أقوىٰ وأشد من النّفي بما.

﴿لَّبِثْتُمْ﴾: أقمتـم. اللبث: مقترن بزمن محدد بينمـا المكث: غير محدد بزمن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلًا﴾: من الزّمن، وقليلاً نكرة تفيد أيضاً التّقليل، وإذا قارنا عمر الآخرة بعمر الإنسان فهو قليل جداً لا يقدر.

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: لو شرطية، كنتم تعلمون: هذه الحقيقة أو هذه المدة القصيرة لآمنتم وأطعتم الله تعالىٰ استعداداً للقائه.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾: الهمزة استفهام توبيخي وإنكار، حسبتم من حسب: اعتقد أو ظن ظناً راجحاً (قام بحساب قلبي قائم علىٰ النّظر والتّجربة والحساب) أي: اعتقدتم.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾: العبث هو الفعل الّذي لا غاية له ولا فائدة، خلقناكم بلا هدف أو غاية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

﴿وَأَنَّكُمْ﴾: أنّ للتوكيد.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾: لا النّافية، ترجعون: أيْ: من دون إرادتكم، مكرهين أو لا خيار لكم، ترجعون للحساب والجزاء إمّا الجنة وإما النّار.

[١١٦] ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾:

﴿فَتَعَالَى﴾: الفاء للتوكيد، تعالىٰ: تقدّس وتنزّه الملك الحق في ذاته وصفاته وأفعاله أن يخلق عبثاً.

﴿اللَّهُ﴾: اسم العلم الدّال علىٰ واجب الوجود المعبود.

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: مالك الملك الحي القيوم، وأما غيره من ملوك الدّنيا فزائلون وهالكون، فهم ليسوا ملوكاً بحق والملك الحق: الّذي له الخلق والأمر حقاً لا من جعلوا معه من الشركاء. والحق هو الثّابت الّذي لا يتغيَّر ولا يزول هو الله سبحانه وحده.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾: الكريم: لأنّ الخير والبركة والرّحمة تنزل منه، فالكريم تعود علىٰ الله سبحانه، وقد تعود علىٰ العرش، وصف العرش بالكريم؛ لأنّ الّذي استوىٰ عليه هو أكرم الأكرمين. ارجع إلىٰ سورة التّوبة آية (١٢٩) لمزيد من البيان، وسورة هود آية (٧)، وسورة طه آية (٥) لبيان معنىٰ العرش.

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿وَمَن﴾: الواو استئنافية، من استغراقية شرطية.

﴿يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: يعبد أو يدعو مع الله إلهاً آخر، أيْ: يشرك بالله.

﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾: البرهان هو أعلىٰ درجات الإثبات أو لا حُجَّة له، ولا دليل له علىٰ جواز عبادته وشركه، به: للتوكيد علىٰ وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: للتوكيد، إنما كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: حسابه: جزاؤه عند ربه: عند ظرفية زمانية أو مكانية، وفي الآية تهديد ووعيد.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إن للتوكيد، لا يفلح: ارجع إلىٰ الآية الأولىٰ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من نفس السّورة، وانظر إلىٰ كيف بدأت السّورة قد أفلح

المؤمنون وانتهت إنّه لا يفلح الكافرون. هذا الترابط المحكم بين بداية السورة ونهايتها، وهذا ما نراه في كل سورة، وكأن السورة كلها آية واحدة، وكأن القرآن المحكم كله آية واحدة.

[١١٨] ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

﴿وَقُل﴾: يا محمّد ﷺ ولتقتدِ بك أمتك، وبالدّعاء والقول: رب اغفر وارحم وأنت خير الرّاحمين.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾: أي: استر لنا ذنوبنا، اغفر: لم يحدِّد، وأطلق المغفرة لتشمل كلّ ذنب.

﴿وَٱرْحَمْ﴾: أيْ: وارحمنا أن نقع في الذّنوب، أيْ: أبعدنا عن المعاصي، وفيها معنىٰ الوقاية، وكذلك أطلق الرّحمة ولم يقيِّدها لتشمل كلّ شيء.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أيْ: أفضل الرّاحمين. ارجع إلىٰ الآية (١٠٩) من نفس السّورة للبيان.

❖ ❖ ❖

ثلاثة أرباع الحزب ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة النّور [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٢٤)، وترتيبها في النّزول (١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿سُورَةٌ﴾: كلمة مأخوذة من: سور البيت المرتفع أو سور البلد، السّورة في اللغة تعني: المنزلة العالية والرّفيعة، واصطلاحاً: مجموعة من الآيات لا تقل عن ثلاث، لها بداية ولها نهاية.

سورة: كلمة جاءت بصيغة التّنكير للتفخيم تتحدث عن عدد من الآداب الاجتماعية مثل: حفظ الفرج، غض البصر، والاستئذان وما يتعلق بالأسرة، وغيرها من الكثير من الآداب الاجتماعية، وسميت بسورة النّور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥].

﴿أَنزَلْنَاهَا﴾: كاملة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا. والإنزال يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل؛ أي: من عند الله تعالىٰ. أنزلناها عليك يا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: مشتقة من الفرض؛ أي: فرضنا أحكامها؛ أي: من الواجب العمل بها، أو ألزمناكم العمل بها. وأصل الفرض: القطع للمبالغة، ولتأكيد الإيجاب لكثرة ما فيها من الأحكام.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: تكرار (وأنزلنا) يفيد التّوكيد، وقوله تعالىٰ:

(وأنزلناها)، ثـمّ قوله: (وأنزلنا فيها آيات بينات) يعنـي ذكر الخاص بعد العام، الّـذي يفيد الاهتمام والتّوكيـد، آيات بينات: واضحات لكلّ فرد سـواء كانت الآيات القرآنية أو الآيات الكونية مثل: البرق والسّـحاب وتقلب الليل والنّهار، وتسبيح من في السّموات والأرض والطير، وظلمات البحار، وخلق كل دابة من ماء... وغيرها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: (لعلكم) أداة تعليل؛ أي: لعلكم لا تنسوا ما ورد فيها من أحكام تفيدكم في حياتكم الدّنيا وتذكرونها مباشـرة وبسرعة في شؤون حياتكم اليومية، ولم يقـل لعلكم تتذكرون، التّذكير الّذي يحتاج إلى زمن طويل. ومعنى التذكر أن يعاد إلى الذاكرة الشيء الذي غاب عنها.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: من الزّنى، والزّنى في اللغة: هو الوطء المحرم، والزّنى في الشّرع: وطء الرّجل المرأة في الفرج بدون عقد نكاح، ويسمى كذلك: الفاحشة كما قال الله تعالـى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسـراء:٣٢]، والزّنى من المـرأة: تمكينها الرّجل أن يزني بها، وقـدّم الزّانية على الزّاني؛ لأنّ الزّنى تبدأ مقدماته من قِبل المرأة بتبرّجها وزينتها وخضوعها بالقول، ومفسـدة الزّنى تظهر آثارها على المرأة أكثر من الرّجل.

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: الفاء للتوكيد، اجلدوا: بالضّرب بالسّـياط (١٠٠) جلـدة، وهو حدّ البكر غير المحصن سـواء كان الرّجـل أو المرأة، كلّ واحـد منهما: للتوكيد حتّى لا يجلد الرّجل وتتـرك المرأة أو بالعكس، الجلدة: تعني الإيلام؛ أي: يصل إلى درجة الإيلام وليس مجرد الضّرب أو العدد.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: رأفة: شفقة أو رحمة في حدود الله، فلستم أرحم وأشفق من الخالق في خلقه؛ أي: لا يجوز إسقاط الحد (كما قال مجاهد)، أو تخفيف الحد (قول سعيد بن المسيب والحسن البصري)، ومما يدل على تحريم الشفاعة في الحدود ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في حديث المرأة المخزومية التي سرقت والذي قال فيه ﷺ: «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾: في شرع الله وأحكامه، بالتّقليل في العدد أو الإعفاء.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: إن: شرطية.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تصدقونه وتؤمنون به عقيدة وعملاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧٧) للبيان.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام التّوكيد، ﴿عَذَابَهُمَا﴾: بالجلد (١٠٠) جلدة.

﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جماعة أقلها (٤) أفراد، وهناك من قال واحد (قاله مجاهد)، اثنين أو أكثر (قاله عكرمة وعطاء والمالكية)، أربعة (قاله ابن عباس)، ومشاهدة الجلد ردعٌ وزجرٌ للمشاهد، وأمّا للزاني والزّانية؛ لكي لا يرتكبها مرة أخرى ويحرمها، وهو أشد تبليغاً وخزياً حين يكون علناً بدلاً من كونه سراً أو ستراً.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾: النّكاح هنا يعني: الوطء، إلا أداة حصر،

أو مشركة: لأنّ الشّرك أسوأ إثماً من الزّنى، وقرن الزنى بالشرك؛ ليشير إلى خطورة الزنى؛ لأن الشرك والزنى من أعظم الآفات الاجتماعية.

فالزّاني لا يجوز له أن ينكح؛ أي: يتزوج مؤمنة عفيفة، إنما ينكح مثله أو أسوأ أو أخس منه؛ وهي المشركة، وكذلك الزّانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ.

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: التّحريم يراد به المنع، والجمهور أجاز النكاح بغير العفيفة من النساء بعد التوبة، والآية محمولة: أن الزاني الخبيث لا يرغب في نكاح المؤمنة الصالحة، وإنما يرغب في التي مثله في الخبث والشرك، والخبيثة لا يرغب في نكاحها المؤمن الصالح، وإنما يرغب في التي مثله. ذلك: اسم إشارة قد يعود إلى حرمة نكاح الزّانيات أو المشركات على المؤمنين. و(ذلك) تعود إلى الزّنى؛ أي: حرم الزّنى على المؤمنين.

[٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: يرمون: يقذفون بالزنى، يتهمون المحصنات. وأصل الرّمي: القذف بالحجارة أو بشيء صلب الّذي هو شيء حسي، واستعير ليعبر عن شيء معنوي وهو القذف باللسان.

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: جمع محصنة؛ أي: الّتي أحصنت فرجها: أي عفّت، وأصل الإحصان: المنع والحصن، والمرأة العفيفة الحرة تسمى: مُحصَنة، ومُحصِنة بالفتح والكسر.. والإحصان له أنواع: يكون بالإسلام، والعفاف، والحرية، والتّزوج.

﴿يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: يقذفون: يتهمون المحصنات المؤمنات بالزّنى. خص النساء؛ لأن قذف النساء أبشع، وقيل: لا فرق بين الذكر والأنثى.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: والشّـــهداء جمع: شهيد، يشـــهدون عليهن بوقوع الزّنىٰ، والمراد بالشّـــهداء الرّجال، وإن ذكرت الآية العدد بصيغة المؤنث فقال: أربعة، وليس أربع شـــهداء؛ لأن الأعداد مـــن (٣-١٠) تضاد المعدود، تذكّر مع المؤنث وتؤنث مع المذكر؛ كأن نقول: أربع نسوة، أربعة رجال.

والجدير بالذّكر: لا تقبل شـــهادة النّساء في حد القذف كما لا تقبل في حد الزّنىٰ، ولا يقبل قذف المجنون، أو الصبي، أو المكره، وشروط القاذف: العقل، والبلوغ، والاختيار.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري.

﴿لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: أي يحضروا أربعة شهداء، كما قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء:١٥]، يشهدوا بأم أعينهم برؤية فرجه في فرجها؛ فقد يكون في فراش واحد بدون حدوث جريمة الزنىٰ. أربعة شهداء ذكوراً، ولا تقبل شهادة النساء في هذا الباب. والســـؤال: لماذا أوصىٰ بأربعة شهداء غير القاذف، وفي الأحوال الأخرىٰ أوجب وجود شـــاهدين؟؟ لكـــي لا يكون إقامة الحد فيه ريـــب، والحفاظ علىٰ الأعراض، والتأكد من الأخبار الكاذبة والإشـــاعات التي تهدم المجتمعات.

﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾: أي كلَّ واحدٍ من القاذفين ثمانين جلدة.

ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة عند الشّـــافعية، بينما تعتبر مقبولة عند أبي حنيفة. ارجع إلىٰ كتب الفقه لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾: وتسقط بعد ذلك عدالتهم فلا تقبل لهم شهادة.

﴿أَبَدًا﴾ يعني: إلىٰ آخر عمره وإن تاب وأصبح من الصّالحين؛ أي: مطلقاً، وقيل: تعني حتّىٰ يتوبَ. وقد اختلف العلماء في هذه..، فارجع إلىٰ أقوالهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد.

هم: ضمير منفصل تفيد التّوكيد؛ أي: هم خاصة، ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: جمع فاسق؛ وهو الخارج عن طاعة الله، وفي هذه الحالة قد ارتكب كبيرة من الكبائر.

فالآية تفيد أنّ على القاذف ثلاثة أحكام إذا لم يأت بالبينة، وهي: إقامة الحدّ عليه وهو:

١ - الجلد ثمانين جلدة.

٢ - لا تقبل له شهادة.

٣ - وصفه بالفاسق.

[٥] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾: (بعد القذف) وتطبيق الحد عليه (٨٠ جلدة)، هذا الاستثناء اختلف فيه العلماء هل: بعود إلى رفع صفة الفسق عنه فقط إذا تاب ويستمر عدم قبول شهادته، ولو أصبح أصلح من الصّالحين، أو إذا تاب قُبلت شهادته ورفع عنه وصفه بالفاسق؟

اختلف الفقهاء في هذا، ولكلّ فريق أدلته الخاصة فقد ذهب الجمهور (مالك وأحمد والشافعي): تقبل شهادته، وترفع عنه صفة الفسق قاله ابن جرير، وقال آخرون أمثال جبير والحسن البصري والنخعي: إن تاب ترفع عنه صفة الفسق، ولكن لا تقبل له شهادة أبداً.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد، إنّ: للتوكيد، وغفور: صيغة مبالغة في الغفر؛ وهو ستر الذّنوب ومحوها ولو كثر عددها أو تكررت.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لأنّه يقبل توبة التّائب يغفر له. رحيم بالمؤمنين؛ أي: دائم الرّحمة.

[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

هذه الآية جاءت في سياق قذف الزّوج زوجته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾: يتهمون أزواجهم بالفاحشة؛ أي: يقذفونهن بالزّنى، ولم تقر الزوجة أو تعترف بوقوع الزنى، وهو لم يرجع عن رميه (قذفه) فعند ذلك يشرع لهما اللعان، وهل اللعان يمين، أو شهادة؟ اختلف الفقهاء في ذلك؛ فمنهم من قال شهادة، كما قال (أبو حنيفة)، ومنهم من قال يمين، كما قال (مالك والشافعي وأحمد).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي لم يكن لديه شهود يشهدون أنّهم رأوا ذلك بأمّ أعينهم، عليه أن يشهد أربع شهادات بالله إنّه لمن الصّادقين، واللام في (لمن) تفيد التّوكيد، وأن يشهد الخامسة أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. انظر كيف أعفي الزوج في هذه الآية من إحضار أو الإتيان بأربعة شهود، وطلب منه أن يشهد أربع شهادات (أربعة أيمان) بدلاً من إحضار أربعة شهداء؛ لأنه من الصعب أو المستحيل للزوج الإتيان بأربعة شهداء ليشهدوا ما على زوجه وهي تفعل الفاحشة؛ لأنه عار وخزي، وحتى لا تشيع الفاحشة وينتشر الخبر والغيبة بين الناس وبالتالي الإثم.

[٧] ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

سميت هذه الآية: آية اللعان.

﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أنّ: للتوكيد، لعنة الله عليه: اللعنة: الطّرد والإبعاد عن رحمة الله.

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: في رمي زوجته بالزّنى، وكلّ زوج قذف زوجته وامتنع عن الشّهادة أو اللعان يطبّق عليه حد القذف، فكلّ من امتنع من الزّوجين عن الشّهادات الخمس وجب عليه الحد.

[٨] ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾:

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: حد الزّنى للثيب المحصن (وهو الرّجم) والدّرء معناه: الدّفع بسرعة، الدّرء: هو الدفع بسرعة، والدفع هو الدفع بقوة وشدة أو الرّدّ.

﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي أن تحلف بالله أربعة أيمان إنّ زوجها كاذب فيما رماها به من الفاحشة.

[٩] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿وَالْخَامِسَةَ﴾: وتحلف الخامسة.

﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: سخط الله وغضبه عليها إن كان صادقاً، واللعنة أشد من الغضب: والرجم أهون من غضب الله، والرجم: إذا حصل يكفي للمغفرة أو سبباً لمغفرة الذّنب.

وإن هو حلف، وهي حلفت: أصبح في المسألة تعادلٌ، عندها لم يعد كلٌّ منهما صالحاً للآخر، وعلى الشّرع أن يفرّق بينهما نهائياً ولا عودة بعدها.

[١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو عاطفة، ولولا: حرف امتناع لوجود، والجواب محذوف؛ حتّىٰ يدخل في الجواب كلّ احتمال وعاقبة مثل: ولولا فضل الله ورحمته لفضحكم أو لتفاقمت العداوة أو عاجلكم بالعقوبة، والانتقال إلىٰ صيغة المخاطب ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أتم وأكمل من صيغة الغيبة.

﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: والفضل: ارجع إلىٰ الآية (٢٦٨) من سورة البقرة للبيان، والرّحمة: الوقاية من الوقوع في الذّنب والإثم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: توّاب يقبل توبة التّائب ولو كرر المعصية بدون عمد؛ أي: كثير قبول التّوبة، إذا توافرت فيها أركان التّوبة.

﴿تَوَّابٌ﴾: لأنّه ذكر قبلها الزّنىٰ والقذف وناسب ذلك الختم بالتّوبة، فمن يرتكب تلك الفواحش لابدَّ له أن يتوب.

﴿حَكِيمٌ﴾ لأنه شرع حكم اللعان والغضب بدلاً من الجلد والرجم؛ أي: شرع العقوبة المترتبة علىٰ تلك الأعمال بحيث تناسب الجرم المرتكب، وأن يكون الحكم عادلاً فذلك يتطلب الحكمة، حكيم: مشتق من: الحُكم والحكمة، من الحكم فالله أحكم الحاكمين، من: الحكمة، فهو أحكم الحكماء فيما شرع لعباده من الأحكام والحدود والفرائض.

❖❖❖

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سورة النّور [الآيات ١١ - ٢٠]

[١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾: إنّ: للتوكيد، الّذين جاؤوا بالإفك حديث الإفك، والإفك: هو الكذب المتعمد. ارجع إلى حديث الإفك في صحيحي البخاري ومسلم، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ للبيان المفصل.

﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: العصبة: جماعة يتعصب بعضهم لبعض، وعددها بين (١٠-٤٠) وكان على رأسهم عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين، وزيد بن رفاعة، ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وغيرهم، ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: من المؤمنين ظاهراً. وكلمة عصبة نكرة مع العلم أن الذين أشاعوا حادثة الإفك أناس معروفون، ومع ذلك أطلق عليهم عصبة (فئة نكرة) كي لا يُعبأ بهم وتحقيرهم، وقوله: منكم؛ أي: من المسلمين، وهذا يدل على بشاعة هذا الحديث الذي جاءوا به ولو جاء به الذين كفروا لكان أقل صدىً أو شدة.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾: لا: النّاهية، ﴿تَحْسَبُوهُ﴾: أي تعتقدوا أنّ إفكهم.

هو ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ الشر: هو ما غلب ضرره على نفعه؛ إساءة إليكم كما تعتقدوا، وقيل: الخطاب خاص إلى عائشة وصفوان بن المُعَطّل والمؤمنين.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي، هو خير لكم، والخير: هو ما غلب نفعه على ضرره؛ تنالون بسببه الثّواب، وتأخذون منه العبرة والحذر.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم﴾: أي: لكل ممن شارك في حديث الإفك. لكل: اللام لام الاستحقاق.

﴿امْرِئٍ﴾: تأتي في سياق المروءة وأدب النفس.

﴿مِّنْهُم﴾: من العُصبة الكاذبة.

﴿مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾: أي بقدر ما خاض وشارك في حديث الإفك له من الإثم والذّنب.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: كِبْرَهُ: بكسر الكاف، وهناك: كُبْرَهُ بضم الكاف، وتعني: معظمه.

أي: تولى الخوض وتزعّم العصبة وقادها عبد الله بن أُبيّ: له عذاب عظيم في الدّنيا والآخرة، وصار يطلق عليه: المنافق، ومسطح أصبح مكفوف البصر، وحسان بن ثابت أصبح أعمى وشلّت يداه، مختصر القصة في غزوة بني المصطلق بعد أن تمّت الغزوة، وأثناء الاستعداد للعودة قالت السّيدة عائشة: ذهبت لأقضي حاجتي في الخلاء ثمّ رجعت إلى هودجي، فلمست صدري فلم أجد عقداً لي من الخرز اليماني فرجعت ألتمس عقدي، فلمّا عدت وجدت القوم قد ذهبوا، وكانت عائشة نحيفة (خفيفة الوزن) وحملوا هودجها دون أن يشعروا أنّها ليست بداخله، ثم بقيت عائشة في مكانها تنتظر من يأتيها، وكان من عادة القوم أن يتأخّر أحدهم بعد الرَّحيل ليتفقد المكان، وكان المعقب هو صفوان بن

المعطّل، فلما رأىٰ صفوان عائشة أناخ ناقته بجوارها ودار وجهه حتّىٰ ركبت، وسار بها ولحق بالرّكب أخيراً، فلما رأىٰ بعض المنافقين صفوان وعائشة معاً اتهموهما بالفاحشة.

[١٢] ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿لَّوْلَآ﴾: أداة حض وحث وتوبيخ في الزّمن نفسه.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي بمعنىٰ: حين.

﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾: من أفواه الخائضين.

﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾: رجال ونساء، والظّن هو رجحان أحد طرفي التّجويز (النّفي أو الإثبات) أو الشّك الرّاجح.

﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: الباء للإلصاق: ابتعدوا ونأوا بأنفسهم بعيداً عن الخوض في هذه الأكاذيب، وظنوا أنّهم أهل إيمان وهذه فتنة وظنوا خيراً. ارجع إلىٰ الآية (١١) من نفس السورة، ولم يقل ظن المؤمنون والمؤمنات برسول الله وأهله خيراً بل قال تعالىٰ: ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأنّ هذه التّهمة لا تليق بحق المؤمنين، فكيف تليق بحق رسول الله ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: وقالوا قبل أن يُنزل الله سبحانه براءة عائشة رضي الله عنها، هذا: اسم إشارة والهاء للتنبيه، إفك مبين: كذب واضح متعمّد وليس بصحيح، مبين؛ أي: ظاهر لكلّ فرد وكذب متعمد لا يحتاج إلىٰ دليل وبرهان ظاهر بنفسه.

[١٣] ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾:

﴿لَّوْلَا﴾: للتوبيخ والتنديم والحض والحث.

﴿جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾: أي أحضر هؤلاء العصبة الّذين يخوضون في حديث الإفك بأربعة شهداء؛ لأنّ هذه هي القاعدة الشّرعية أو الحكم الشّرعي.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾: الفاء للتوكيد، إذ: ظرف للزمن الماضي متضمن معنى الشّرط: لم يحضروا بأربعة شهداء.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي في حكمه.

﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: هم للتوكيد والمبالغة في شناعة كذبهم وعظم إثمهم، الكاذبون: أي إذا كان هناك كاذبون فهم الكاذبون حقاً.

[١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: ارجع إلى الآية: (١٠)، لعاجلكم بالعقاب أو حلَّ بكم سخطه وغضبه.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: اللام لام التّعليل تفيد التّوكيد.

﴿فِى مَآ﴾: في ظرفية، ما اسم موصول بمعنى الّذي، أو مصدرية.

﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: اندفعتم بسرعة وشدة في الخوض فيه بدون بصيرة، أفضتم: مشتقة من: صب الماء في الإناء والإكثار حتىٰ يفيض من جوانبه؛ فهم شُبهوا في حديثهم عن الإفك والإسراف في الحديث عنه وإشاعته كالفيض السائل.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: العذاب العظيم، هو أشد أنواع العذاب شدةً وزمناً وألماً وإهانة.

[١٥] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي وتعني: اذكروا إذ، أو اذكروا جيداً.

﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: تلقّي الخبر يكون عادة بالأذن (بالسّمع) وليس باللسان، ولماذا اختار اللسان بدلاً من الأذن أو السّمع؟ لأنّهم مجرد ما سمعوا حديث الإفك أذاعوا به، ولم يصبروا لحظة، فكأنّهم بُهتوا بما سمعوا، وكل ما يبغون هو بث وإذاعة الخبر وحبهم لإشاعة الفاحشة في الّذين آمنوا فلم يبق بيت ولا فرد إلا سمع بالخبر وتكلم به دون تفكير ولا مراعاة حرمة، ولا التّأكد من تلقّي الخبر، فكأن الخبر كان يتطاير من لسان إلىٰ لسان.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾: القول أو الأقوال تكون بالألسُن، وليس بالأفواه، واستعمل الأفواه للمبالغة؛ أي: كأنّهم يستعملون كلّ عضو وعضلة في ألسنتهم وأفواههم لنقل الخبر، ما: اسم موصول بمعنىٰ (الّذي) أو نكرة بمعنىٰ (شيء) ليس لكم به علم، ليس: للنفي، لكم: اللام لام الاختصاص، به علم: أي علم في حديث الإفك.

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ تحسبونه من حسب: أي اعتقد وظن ظناً راجحاً هيناً: أي شيئاً أو أمراً يسيراً ليس عليه حساب أو ذنب.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أي في حكم الله تعالىٰ هو ذنب عظيم وله عاقبة هي حد القذف والجَلد، أو من الكبائر.

[١٦] ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أداة حض وحث وتوبيخ في الزّمن نفسه.

﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾: ما النّافية، يكون لنا: لا يجوز أو يحق أو ينبغي لنا، لنا: اللام لام الاختصاص، نحن خاصة: المؤمنين.

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ﴾: أن: للتعليل والتّوكيد.

﴿بِهَٰذَا﴾: الباء للإلصاق، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة تشير إلىٰ حديث الإفك.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك يا رب من كلّ عيب أو نقص، وسبحانك تقال عند التّعجب، كأن تقول: سبحان الله كيف نتكلم بهذا! وسبحانك: جملة اعتراضية تعني: نتوب إليك، أو نتوجه إليك بالتوبة مما قلنا، أو شاركنا في حديث الإفك.

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب وتشير إلىٰ البهتان، والبهتان: هو الكذب المتعمد الّذي يبهت سامعه ويدهشه لفظاعة وشناعة كذبه، عظيم: لا يسمع به أحد إلا يبهته، أي: لا يطاق فهو أشنع الكذب.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾: من الوعظ؛ أي: النّصح والتّحذير، والنّهي والإرشاد والتّذكير بالعواقب، ويكون بالقول والفعل...

﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾: أن: للتعليل والتّوكيد، لمثله: من الخوض بحديث مثل حديث الإفك هذا.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زماني؛ أي: ما دمتم أحياء أو في أيّ زمان ومكان.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم تدَّعون أو تزعمون فيها تهيجاً وتخويفاً على ضياع إيمانهم بسبب ذلك.

[١٨] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَيُبَيِّنُ﴾: يوضح الله لكم الآيات المجملة؛ أي: يشرحها لكم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكلّ ما تسرّون وتعلنون من أقوال وأفعال وما تبدون وما تكتمون، وهو عليم بذات الصّدور.

﴿حَكِيمٌ﴾: مشتقة من الحكم والحكمة، فهو أحكم الحاكمين أو أحكم الحكماء، حكيم في شرعه وخلقه وكونه، حكيم فيما يأمر به وينهى عنه، لا يحكم عبثاً ثمّ ينذر ويهدّد الّذين يحبون أن تشيع الفاحشة فيقول:

[١٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ إِنَّ ﴾: للتوكيد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾: يعني هؤلاء الّذين جاؤوا بالإفك، أو العصبة الّذين ذكرهم الله في الآية (١١) أو غيرهم من الّذين يقومون بالقذف، يحبون: الحب عمل قلبي والقول أو القذف عمل لساني ولا ننسى أنّ الكلام هو ترجمة لما في القلب، فهم يحبون: ولو لم يتكلموا به، فالمرحلة الأولى مرحلة الحب، ثمّ المرحلة الثّانية: التّحدث، وإشاعة الفاحشة (الزّنى وغيرها..)، أن تشيع: أن: للتعليل والتّوكيد، تشيع: تنتشر وتعمّ في المجتمع، ويفرحون لذلك مهما كانت النّتيجة البراءة أو الفضيحة.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾: بالجلد أو العقوبة كالإصابة بالبأساء والضّراء.

﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: بالعذاب بالنّار.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾: والله يعلم ما تخفي الصّدور من نوايا، ويعلم ما تسرون وما تعلنون من قول أو عمل ولا تخفى عليه خافية في السّماء ولا في الأرض، وفي الآية تحذير وترهيب.

[٢٠] ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾: تكرار لبيان فضل الله ورحمته على بعض الصّحابة الّذين شاركوا في الخوض في حديث الإفك مثل: مسطح

وحسان بن ثابت؛ أي: لولا فضل الله عليكم ورحمته لأهلككم أو لعذّبكم عذاباً عظيماً وعجّل لكم العقوبة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: أنّ: للتوكيد، رؤوف: من الرّأفة وهي: أخصّ من الرّحمة، أو أشدّ من الرّحمة، والرأفة خاصّة بالمؤمنين وتعني: الشفقة.

رحيم: لأنّه لم يعذّبكم أو يعجّل لكم العذاب، ويقبل توبتكم. ورحيم: كثير الرّحمة، والرّحمة تكون للمؤمن والكافر؛ أي: هي عامة.

وإذا قارنا هذه الآية بالآية (١٠) من نفس السورة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ نجد الآية (١٠) انتهت بتواب حكيم، جاءت في سياق الزّنى (الزّانية والزّاني) والجلد وقذف المحصنات وأزواجهم، فناسب ختمها بالتّوّاب، وقوله: حكيم؛ لأنّه سبحانه يقبل توبة الزّاني والزّانية، وحكيم؛ لأنّ حد عقوبة الزّنى بما يناسب وذلك من الحكمة والحكم.

وأما الآية رقم (٢٠) ليست تكراراً إنما جاءت في سياق الّذين جاؤوا بالإفك عصبة، فإذا تابوا ولم يعودوا لمثله أبداً فإن الله رؤوف رحيم.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي
مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ
ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾
يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ
ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

سورة النّور [الآيات ٢١ - ٢٧]

[٢١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾:

المناسبة: يأتي ذكر هذه الآية هنا؛ لأنّ الخوض في حديث الإفك ما هو إلا نوع من اتّباع خطوات الشّيطان فقال محذراً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد بتكليف جديد إلى الّذين آمنوا.

﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: لا النّاهية، تتبعوا خطوات الشّيطان: وساوسه ونزعاته وهمزاته وتزيينه، وإشاعة الفاحشة والقذف، ولمعرفة معنى الشّيطان ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة.

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ﴾: من شرطية، يتّبع: يطيع.

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الزّنى والقذف وارتكاب المعاصي وما قبح من الذّنوب.

﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾: ما ينكره الشّرع، وكل فعل تحكم العقول بقبحه. ارجع إلى سورة التوبة آية (٦٧)، وآل عمران آية (١٠٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠) والآية (٢٠).

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجـود؛ أي: لولا فضل الله عليكم ما زكىٰ منكم من أحد.

﴿مَا زَكَىٰ﴾: ما طهر من الإثم أو الذّنب منكم من أحد.

﴿مِنكُم﴾: تقديم (منكم) للاختصاص؛ أي: خاصة منكم.

﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾: من استغراقية تستغرق كلّ واحد.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زماني؛ أي: في أيِّ زمان.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾: يطهر من يشاء من الذّنب والإثم بالتّوبة والمغفرة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم ونجواكم وإسراركم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما في نفوسهم، وعليم بأعمالكم الباطنة والظّاهرة.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

سـبب النّزول: كما روىٰ البخاريّ ومسـلم نزلت هذه الآيـة في أبي بكر الصّديق رضي الله عنه ومسـطح بن أثاثة، وكان مسـطح ابن بنت خالة أبي بكر وكان من المهاجرين ومن الّذين شهدوا معركة بدر ومن المساكين، وكان أبو بكر

ينفق عليه، فلما كان مسطح من الّذين جاؤوا بالإفك عصبة حلف أبو بكر: لن ينفق عليه بعد ذلك، فنزلت هذه الآية.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: الواو استئنافية، لا النّاهية، يأتل: يحلف، من: الألية؛ أي: الحلف أو القسَم واليمين.

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾: أولو الفضل: ذوو الفضل أهل؛ يعني: أبا بكر الصّديق رضي الله عنه، وجاء بصيغة الجمع؛ لتكريمه وتعظيم ما له فضل، أولو: أهل البر والصلاة والفضل: في الدّين والمنزلة في الإسلام والصّلاح. وكذلك تشمل غيره من أولي الفضل؛ أي: الزيادة.

﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ الغنى السّعة في الرّزق والمال، ومن الّذين وسّع الله عليهم وأغناهم.

﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أن: تعليلية، يؤتوا: يعطوا أو ينفقوا على أولي القربى مثل مسطح، أولي: ذوي القربى؛ أي: الأقارب الفقراء.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: جمع مسكين: وهو من يملك ما لا يكفيه، والفقير: من لا يملك شيئاً، وكان مسطح من المساكين.

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: من مكة إلى المدينة.

﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾: اللام في كل الكلمتين للتوكيد، توكيد العفو والصّفح، والعفو: ترك العقوبة، والصّفح: العفو مضافاً إلى ترك اللوم (عدم اللوم). وليعفوا وليصفحوا: للندب والإرشاد، وليس فرضاً أو واجباً.

﴿أَلَا﴾: للاستفهام والحث والحض على المغفرة بالعفو والصّفح والتسامح لكي يضمن مغفرة الله تعالى.

﴿تُحِبُّونَ﴾: الخطاب بصيغة الجمع والمراد به: أبو بكر؛ لتعظيم مكانته، أو الخطاب إلى المؤمنين عامة.

﴿أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أن: للتعليل، يغفر الله لكم: المغفرة: ستر الذّنب وترك العقوبة، والإثابة على الأعمال الصّالحة والمغفرة.

فلما سمع أبو بكر هذه الآية قال: بلى والله أحب أن يغفر الله لي. وعندها عفا وصفح عن مسطح وردّ على مسطح ما أمسكه عليه من النفقة، والعبرة عموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من: غفر: كثير الغفران لمن تاب وآمن.

﴿رَّحِيمٌ﴾: والرّحمة والمغفرة، فكلاهما من صفاته الثّابتة رحيم بالمؤمنين؛ أي: دائم الرّحمة في الدّنيا والآخرة.

[٢٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

بعد أن نزلت براءة عائشة من السّماء، جاء في هذه الآية ليؤكد حكماً عاماً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: لما نزلت هذه الآية قال ابن عباس: هذه في عائشة وأزواج النبي (أمهات المؤمنين) في هذه الآية قيد

المحصنـــات بأوصاف منها الغافـــلات المؤمنات بينما في الآيـــة (٤) من نفس السورة أطلق ولم يقيد.

إنّ: للتوكيد، الّذين: اسم موصول، يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات: يتهمـــون أو يقذفـــون المحصنات الغافـــلات المؤمنات بالزّنـــىٰ أو الفواحش، والمحصنات: العفيفات، الغافـــلات: البعيدات: عن الفواحش والمعاصي، ولا تعلم لماذا رُميت، ســـليمة الصّدر، البعيدات من مواطن الرّيب. المؤمنات بالله ورسوله ﷺ.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: طُردوا من رحمة الله تعالىٰ في الدّنيا والآخرة. وقد تعني: عُذّبوا بالجَلد في الدّنيا ولا تُقبل لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون، ولم يجعل لمن قذف أمهات المؤمنين ومنهن عائشـــة توبة مقارنة بالآية (٤) فقد جعل لمن قذف توبة.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة في نار جهنم.

ولهم: اللام لام الاختصاص، عذاب عظيم: عذاب السعير الشّديد المقيم، والخزي.

ارجع إلىٰ الآية (١١) من السّورة نفسها للبيان.

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: القيامـــة يوم يقوم النّاس لرب العالمين للحســـاب والجزاء، يوم: نكرة؛ للتهويل والتّعظيم.

﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾: تشهد عليهم: تنطق عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم؛ أي: ضدهم، ولم يقل لهم: (لهم) أي: تشهد لهم لصالحهم بعد أن يطلب منها أن تشهد، واختار الألسُن والأيدي والأرجل وهي من الجوارح ولم يذكر الجلود والسّمع والأبصار والأفئدة كما ورد في الآية (٢٠) من سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ لأن هذه الأعضاء الألسن التي تحدثوا بها بالزور والبهتان، وبأرجلهم التي مشوا بها إلى مجالس الإفك، وكذلك الأيدي التي أشاروا بها؛ فالكل يشهد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول أو مصدريّة، بما كانوا: في الدّنيا، يعملون: العمل يضم القول والفعل.

[٢٥] ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم الدّين والجزاء يوم القيامة. أصلها: يوم؛ إذ: (ظرف زماني أضيف إلى ظرف آخر).

﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾: الحق: (صفة للدين؛ أي: حسابهم العدل)، وقد تكون صفة لله؛ أي: يوفيهم الله الحق دينهم. يوفيهم الله: يُتمّ الله لهم جزاءهم كاملاً بعد الحساب؛ أي: يستوفون جزاءهم الّذي يستحقونه، الدّين: الجزاء، دينهم: جزاءهم الواجب لهم، الحق: الثّابت. بدون زيادة سيئة أو إنقاص حسنة.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أنّ للتوكيد، الله هو الحق: (هو) ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: وصف الله سبحانه ذاته بالحق، والحق: هو مصدر، والمصدر يدل على ثبات صفة الحق، والحق: هو واجب الوجود، هو الحق الّذي لا يتغير في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ولا أسمائه ـ الحي القيوم ـ وكل ما أنزله في كتابه وما وعد عباده حقٌّ.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾: أي هو الحق الظّاهر لكلّ عبد وفرد من خلال آثاره ورحمته وآياته، ولا يحتاج إلى برهان أو دليل ليدل على صدقه وعظمته وقدرته.

[٢٦] ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾: الخبيثات لها معان مختلفة: منها:

١ - النفوس الخبيثة لا تلتئم إلا مع النفوس الخبيثة، والنفوس الطيبة لا تلتئم إلا مع النفوس المؤمنة.

٢ - الكلمات الخبيثة: لا يتكلم بها أو يتفوّه بها إلا الخبيثون أو الخبيثات.

٣ - الأفعال الخبيثة: لا يعلمها أو يفعلها إلا الخبيثون أو الخبيثات.

٤ - النساء الخبيثات للخبيثين؛ أي: (لا ينكحن) أو بالعكس، أو الزانيات للرجال الزناة.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾: الكلمات والأعمال أو الأفعال الطّيبة لا يتكلم بها إلا الطّيبون والطّيبات من النّاس، والأعمال والأفعال الطّيبة لا يفعلها إلا الطّيبون، والطّيبات من النّساء للطيبين من الرّجال وبالعكس.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد والمدح.

﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: جمع مبرّأ: اسم مفعول من: برأ؛ أي: عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطّل مبرّؤون مما قالت عصبة الإفك عنهم.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: مغفرة: ستر لذنوبهم ومحوها والثواب على أعمالهم الحسنة، ورزق كريم: في الجنات، رزق دائم لا ينقطع مما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين.

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾:

سبب النّزول: كما ذكر الواحدي في (أسباب النّزول): جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليَّ، وإنّه لا يزال يدخل عليَّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت هذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد بتكليف جديد للذين آمنوا.

﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ﴾: لا تدخلوا: لا النّاهية.

بيوتاً: جمع بيت، والبيت من: بات، يبيت؛ أي: يقضي الليل فيه نام أم لم ينم، ويمكن أن يكون غرفة أو خيمة أو مسكناً، وكل بيت مسكن.

ارجع إلى سورة القصص آية (٥٨) لمزيد من البيان.

﴿تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾: الاستئناس: يسبق الاستئذان ويدل على طلب الأُنس، والسِّين والتّاء تدلان على الطّلب؛ أي: اطلبوا الاستئناس أوّلاً، والإذن ثانياً، والمقصود بالاستئناس أن يُعلم أو يخبر أصحاب الدّار أنّه سيزورهم مثلاً، وفي أيّ زمن، وهل ذلك الزّمن مناسب لهم وغير محرج أو مزعج لهم وليس فيه تطفّلٌ عليهم، أو مفاجأة لهم أو حرج.

الاستئذان: لا يدخل بيتاً آخر حتّى يستأذن أهل البيت فيؤذن له، وتسلّموا على أهلها: يسلّم على أصحاب الدّار أو البيت بالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ولم يقل ذلك: (ذلكم) تشير عدة أمور: إلى الاستئناس والسلام، و)ذلك) تشير إلى أمر واحد، و)ذلكم) فيها توكيد.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل من الدّخول فجأة وبدون استئناس واستئذان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعل للتعليل، تذكرون هذه الآداب: آداب دخول بيوت الغير ـ بسرعة وعدم نسيانها ـ.

ولم يقل لعلكم تتذكرون؛ أي: لا تحتاجون إلى زمن طويل.

❖ ❖ ❖

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

سورة النّور [الآيات ٢٨ - ٣١]

[٢٨] ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

﴿فَإِن﴾: إن شرطية تستعمل في الأمور المحتملة.

﴿لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾: يأذن لكم، ولم يقل: فإن لم يكن أحد؛ لأن صاحب البيت قد يكون فيها ولم يأذن للزائر.

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾: لا النّاهية، والفاء للتوكيد.

﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية؛ أي: لا تدخلوها إلا بعد أن يؤذَن لكم.

﴿وَإِن﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال.

﴿قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾: قيل لكم من أفراد الأسرة: إنّ صاحب المنزل غير موجود، فارجعوا.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أي الرّجوع أطهر وأصلح لكم من الدّخول، وانتظار صاحب المنزل حتّى يعود.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: والله بما تعملون: تقولون أو تفعلون عليم، عليم بنواياكم وبدخولكم بإذن أو غير إذن، أو رجوعكم، بما: الباء للإلصاق والمصاحبة، ما: اسم موصول بمعنى (الّذي: أو مصدرية؛ أي: عليم بأعمالكم.

[٢٩] ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾:

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ ﴾: للنفي غير المقيَّد؛ أي: في أيّ زمن.

﴿ جُنَاحٌ ﴾ إثم، وجناح من: جنح؛ أي: مال عن القصد، والإثم: هو الميل عن الحق، ولم يقل حرج: الحرج هو الضّيق لا مخرج منه مشتق من: الحرجة الشّجر الملتفّ لا يمكن الدّخول فيه ولا الخروج منه.

وما هو الفرق بين قوله: ليس عليكم جناح، و:لا جناح عليكم؟

ليس عليكم جناح: جملة فعلية.

ولا جناح عليكم: جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوىٰ من الفعلية في النّفي، إذن لا جناح أقوىٰ وآكد من: ليس عليكم جناح، وعادة يستعمل ليس عليكم حرج أو جناح في الأمور العادية الحياتية مثل دخول البيوت والطّعام، والتّجارة والسّير في الأرض، ويستعمل لا جناح عليكم الأقوىٰ والأبلغ وأكثر توكيداً في العبادات والجهاد، وأحكام الأسرة والأمور الهامة.

﴿ أَن ﴾: أن: للتعليل والتّوكيد.

﴿ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾: أن تدخلوا الأبنية المسكونة مثل: الفنادق أو أماكن خزن الأمتعة، أو أماكن الاستيداع.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾: ما تظهرون وما تعلنون من الأقوال والأفعال.

﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وأوسع شمولاً من الذي، تكتمون: الكتمان يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار، والإخفاء أعمُّ من الكتمان، ويستعمل في الأمور الحسية وتكرار (ما) للتوكيد وفصل كلٍّ منهما عن الآخر أو كلاهما معاً.

[٣٠] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾:

﴿قُل﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص؛ أي: للمؤمنين خاصة، والمؤمنين: جملة اسمية تعني: الّذين أصبح الإيمان صفة ثابتة ملازمة لهم.

﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: الغضُّ يعني: كفَّ البصر، والغض: إطباق الجفن على الجفن بحيث تمتنع الرّؤيا والنّظر إلى الأرض وعدم الاستمرار في النّظر، من: تعني التّبعيض أو التّوكيد أو الجنس، أبصارهم: جمع بصر؛ أي: نظراتهم، يغضّوا من أبصارهم، ولم يذكر من ماذا؟ لأنّه واضح المعنى؛ أي: عمّا حرم الله أو ما لا يحل. يغضوا: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار؛ يعني: لا تغضوا، أو تحفظوا فروجكم مرة واحدة، وإنما كلما احتاج الأمر.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: أي يصونوا فروجهم (الفرج: القُبل والدُّبر) بالسّتر؛ أي: يستروا عوراتهم ويصونوها من فاحشة الزّنى واللواطة وما شابه ذلك مما حرم الله ومن اللمس. والعورة في الرّجل من السّرة إلى الرّكبة، وأمّا عورة المرأة فاختلف في تحديدها الفقهاء، ارجع إلى آراء الفقهاء.

وقدم غضَّ البصر على حفظ الفرج؛ لأنّ النّظر يسبق أو من الأمور الّتي تتقدم الوقوع في الفاحشة، وأبيح كشف العورة للضرورة العلاجية.

﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة، يشير إلى الغضّ والحفظ، واللام: للبعد؛ لعلو شأن هذه الأحكام.

﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾: أطهر وأسلم لقلوبهم من السوء والرّيبة.

أزكى: مأخوذة من: الزّكاة بمعنى الطّهارة أو الطهر، والنّمو والبركة وزكاة

النفس كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠].
لهم: اللام لام الاختصاص، للمؤمنين خاصة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿خَبِيرٌۢ﴾: عليم ببواطن الأمور بأحوالهم وأفعالهم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور. يعلم ما غضى وما لطف وما تجلى أو ظهر.

﴿بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، ما: اسم موصول بمعنى الّذي أو مصدرية، ولم يقل بما يعملون أو يفعلون، اختار كلمة (يصنعون) لأنّ هذه الأفعال المحرمة إذا تكررت ترسخ وتصبح تشبه الصناعة. الصناعة التي تحتاج إلى مهارة وتدريب وجرأة وخبرة حتّى تتم، أو كأنها تشبه الصّناعة. والصناعة: أبلغ وأحسن من العمل، وفي الآية وعيد لمن يطلق بصره ولا يحفظ فرجه.

[٣١] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: وقل يا محمّد - ﷺ - للمؤمنات: اللام لام الاختصاص، المؤمنات: اللاتي أصبح الإيمان لهن صفة ثابتة.

وفي الآية السّابقة قال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكلمة (المؤمنين) تشمل المؤمنين والمؤمنات معاً، فلماذا عاد ووصى المؤمنات وقال: (قل للمؤمنات) هذا يطلق عليه: ذكر الخاص بعد ذكر العام للتّوكيد؛ لأنّ المرأة هي الّتي تفتح أو تبدأ بالمقدمات الّتي تجر إلى الوقوع في الفاحشة، والخطاب موجّه إلى

المؤمنات وليس إلىٰ النّساء عامّة؛ لأنّ المؤمنات هنّ القدوة الصّالحة للمسلمات وغيرهن، أو أفردهن بالخطاب؛ لأن هذه الأحكام خاصة بهن.

﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة للبيان.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: ولا: النّاهية، يبدين: الإبداء الإظهار والكشف، الزّينة قد تكون خَلقية: جمال الوجه والعيون، أو مكتسبة خارجة عن أصل الخلقة، وظاهرة: مثل الثّياب وما تلبس المرأة من خمار أو غيره ويراها الغير، وباطنة: لا يراها إلا الزّوج.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: اختلف الفقهاء في هذه، منهم من قال: الوجه والكفّان، أو من غير قصد، وقيل: الجلباب والثّياب، ارجع إلىٰ مصادر الفقه.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ واختار كلمة الضرب بدلاً من الإلقاء أو الدنو (يدنين)، أو الوضع: للمبالغة في الستر. الآية تشير إلىٰ كيفية إخفاء بعض مواضع الزّينة بعد النّهي عن إبدائها، وليضربن: اللام لام التّوكيد، والنّون في كلمة (يضربن) لزيادة التّوكيد، والضّرب: هو الإلقاء بإحكام، بخُمُرهنّ: الباء للإلصاق والمصاحبة والمبالغة في الضرب، أو الضرب يعني: أن تمد الخمار ليستر عنقها وصدرها، خُمُرهنّ: جمع خمار، والخمار في اللغة: هو غطاء الرأس، ومن الناحية الفقهية: هو ما تُغطي به المرأة رأسها وفتحة الصّدر: الجيب، وأصله من: الخمر؛ أي) السّتر، الّذي يستر العقل.

﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: الجيوب فتحة الصّدر، جمع جيب: الفتحة في أعلىٰ القميص أو مدخل العنق، وهذا يعني ضرب الخمار علىٰ الشّعر والعنق والصّدر والنّحر. وأما الإدناء: هو الإرخاء والإسدال، وجاء الإدناء في سياق لبس الجلباب وهو ما يستر الجسم كله من الملابس فوق الثوب.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي: الظاهرة إلا عن (١٢ صورة)، واختلف

الفقهاء في موضوع الزينة كل عالم يفسرها حسب ما يراه من الأدلة، وكذلك نرىٰ أنه سبحانه لم يذكر مواضع الزينة.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: الأزواج. أصل الزينة للزوج. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٧٢) لمزيد من البيان في بعلي.

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾.

﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾: آباء أزواجهن.

﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾.

﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾: أبناء أزواجهن.

﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾: الإخوة سواء كانوا لأب أو لأم.

﴿أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾: ما هو الفرق بين بني وأبناء؟ بني: تدل علىٰ الكثرة، وأبناء: تدل علىٰ القلة.

﴿أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: ولم يذكر العم والخال؛ لقلة الزيارة.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: تضاربت الآراء حول نسائهن؛ قيل: المؤمنات، وقيل: المختصات بالخدمة والصحبة، سواء مسلمات أو غير مسلمات (الأجنبيات)، وقيل: جميع النساء.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: أي: الإماء من النساء دون الرجال.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: أي غير ذوي الإربة؛ أي: الحاجة إلىٰ النّساء أي: من غير ذوي الميل والشّهوة، مثل كبيري السّن الشّيوخ والعجزة، أو صغار السّن كالأطفال أو المجانين أو المصابين ببعض الأمراض العقلية. وقيل: غير أولي الأربة صفة للتابعين، وقيل: مستثنىٰ منهم، وعندها

يصبح التابعون هم من لا حاجة لهم في النساء كالمصابين بأمراض يفقدون معها الحاجة إلى النساء، فهؤلاء بيح لهم النظر، وأولي الأربة: أصحاب الحاجة إلى النساء.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾: أفرد كلمة (الطّفل) وجاء بكلمة (الّذين) ولم يقل الّذي؛ لأنّ الأطفال كلّهم كالطّفل من حيث إدراكهم وشعورهم وتصرفهم في مرحلة الطّفولة كلّهم موقفهم واحد، فإذا بلغوا الحلم فيصبح لكلّ واحد منهم نظريته الخاصة، لم يظهروا على عورات النّساء: لم يطّلعوا على عورات النّساء. لم يبلغوا سنَّ البلوغ. وقيل: قبل سن التميز (تميز العورات)، واختلف الفقهاء في هذا السن الذي يمنع فيه الطفل إلى النظر إلى زينة المرأة.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: أي: لا النّاهية، لا يضربن الأرض بأرجلهنّ حتّى لا يسمع صوت الخلخال أو غيره مما يؤدّي إلى إثارة الشّهوة والفتنة، ولفت الأنظار وإساءة الظّن، وليعلم: اللام لام التّوكيد، يعلم ما: يخفين من زينتهن الباطنة، سواءٌ أكان هذا الضرب مقصوداً، أم غير مقصود كالحركة العفوية.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أسرعوا بالتوبة بالرّجوع إلى ربكم إذا أخطأتم أو أذنبتم، ولا تعودوا إلى فعل ذلك واشعروا بالنّدم وأكثروا من أعمالكم الصّالحة، لعلكم: لعل للتعليل وتفيد التحقيق؛ أي: الثواب والفلاح، تفلحون: تنجون من النّار وتفوزون بالجنة وتنالون أمانيكم. وانظر إلى كلمة (آية) كيف كتبت بدون ألف (أيها) لتشير قصر الزمن للشروع في التوبة؛ أي: ليكن فورياً بدون تأخير لذلك خفف كلمة (آية).

ارجع إلى سورة البقرة آية: (٥) لمزيد من البيان.

❖❖❖

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

ربع الحزب ٣٦

سورة النّور [الآيات ٣٢ - ٣٦]

[٣٢] ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَأَنكِحُوا۟﴾ الخطاب موجَّهٌ إلى الأولياء الآباء والأمّهات وغيرهم من المؤمنين؛ أي: لكل مخاطب كما قال بعض الفقهاء؛ لأن الرجل الكبير لا ولاية لأحد عليه. وانكحوا: أي زوّجوا. وقيل: معنى انكحوا؛ أي: ساعدوا على النكاح، وسهلوا أسبابه، ولا تقفوا عثرة.

﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾: جمع أيّم، والأيم من الرّجال: من لا زوجة له، والأيّم من النّساء: من لا زوج لها سواء كان متزوجاً قبل ذلك أو لم يتزوج أو كانت متزوجة أو غير متزوجة، وللذكر والأنثى والبكر والثيب.

﴿مِنكُمْ﴾: تدل على الاختصاص؛ أي: ساعدوهم على الزواج أو التوسط لهم..

﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ الصلاح هنا يعني الإيمان، و)الصالحين) يدخل فيها الصالحات. والقدرة على القيام بحقوق الزوجية...

﴿وَإِمَآئِكُمْ﴾: جمع أمة، وهذه ليس لها تطبيق في زمننا الحاضر.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: وعد من الله سبحانه للفقراء الّذين يمتثلون أوامره بأن يغنيهم من فضله إن شاء. والسّؤال هنا قد يسأل البعض: إنّ

كثيراً من الفقراء يتزوجون فلا يصبحون أغنياء وبالعكس قد يصبحوا فقراء فكيف نفسر ذلك؟ الغنى أو الفقر يرجع إلى حكمة الله سبحانه فهناك من العباد من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه الله لفسدت حالته، والله سبحانه يعلم ما يصلح عبده فيبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع: مبالغة في الجود والكرم ـ واسع من الوسع: وهو القدرة ـ واسع: محيط بالأشياء علماً؛ لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]، أو غني ذو سعة لا تنفد ولا تنقص، عليم بحاجات خلقه وما يصلح أحوالهم وما يفسدها، ولم يقل: واسع كريم؛ لأنه يبسط الرزق، ويضيق الرزق لمن يشاء.

[٣٣] ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: اللام للتوكيد، يستعفف؛ أي: يجتهد في العفَّة والحصانة، ويسعى إليها بكلّ ما في وسعه، ويتجنب الحرام والزّنى بشتى الوسائل ومنها الصّيام مثلاً وأن يشغل نفسه. والوصية موجّهةٌ إلى الأيامى الّذين لا يقدرون على أعباء الزّواج.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: أي ليس عندهم القدرة على الزّواج والنّفقة ودفع الصّداق ولا يوجد من يساعدهم.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية، يوسع الله سبحانه

عليهم من رزقه، فالاستعفاف من التّقوىٰ والتّقوىٰ من وسائل الرّزق كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: (يطلبون منكم) أن تكتبوا عقداً بينكم وبينهم، تشترطون في العقد أن يعملوا لكم كذا وكذا، وبعدها يكونوا طلقاء أو أحراراً.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: إن: شرطية؛ أي: علمتم أنّ إطلاق حريتهم وسراحهم بعد الخدمة سيؤدي إلىٰ خير وإصلاح لهم وكسب رزقهم، أو علمتم فيهم خيراً أنّهم أصحاب صدق، ووفاء، ويخافون الله، فافعلوا ذلك.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: خطاب للأغنياء أن يعطوا هؤلاء من أموالهم الّتي هي في الحقيقة مال الله الّذي آتاكم وما نحن إلا مستخلفين فيه، من مال الله: (من) بعضية أو اسم جنس، الّذي آتاكم: أي أعطاكم و)آتاكم) فيها معنىٰ عدم التّمليك. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾: لا النّاهية: من الإكراه باستعمال أساليب التّهديد والقوة والانتقام والطّرد والحرمان.

﴿فَتَيَٰتِكُمْ﴾: جمع فتاة، وتعني المملوكة أو الإماء، وإن كانت المملوكة ليس لها وجود الآن في مجتمعاتنا فقد استبدلت بمسميات جديدة.

﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾: البغاء: هو الفجور، وبغىٰ في الأرض تجاوز حدود ما شرع الله، ويقال للمرأة بغي إذا تجاوزت حدها، ولا يقال للرجل بغي، والبغاء يطلق علىٰ الزّنىٰ، والبغاء: هو الزّنىٰ المتكرر، والبغاء هو مصدر من: بغت؛ أي: زنت (انظر في ملحق الآية).

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تحصناً: من التحصن، وهو التعفف أو الزواج؛ أي:

ليس هناك سببٌ يدعو إلى إكراه أيِّ فتاة أو أنثى مهما كانت على البغاء، ومهما كان السّبب، في أيّ مجتمع، ولا يجوز فهم الآية: وإذا لم ترد التّحصن يجوز إكراههـا، طبعاً لا. ويمكن فهم الآية على النّحو التالي: كيف لكم أن تكرهوا أيَّ فتـاة أو أنثى على البغاء (الزّنى) وهي تريد أو تطلب العفة، وأنتم تريدون أن تأتي بالفاحشة لتبتغوا عرض الحياة الدّنيا!

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: اللام للتوكيد، تبتغوا عرض الدّنيا؛ أي: المال أو أيّ عرض دنيوي يطلبه ولي الأمر.

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾: من شرطية، يكرههن: والنّون في يكرههنّ لزيادة التّوكيد على عدم الإكراه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ﴾: فإنّ: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لأنّ المكـرَه لا إثم عليه فيما يقـول أو يفعل. وإنما على الّذي كان السّبب..

وظاهرة البغاء أصبحت تسـود في بعض المجتمعات وتأخذ صوراً شتى، وتقوم بها الفتيات أو النّساء أنفسـهن بإرادتهن وبدون إكراه، أو هناك من يتولى أمرهن سـواء كانت امرأة أو رجلاً، والغاية العظمى من وراء البغاء هو الحصول على المال أو لشراء المخدرات أو بعض الأدوية المحرمة، وللتخلص من الفقر بأسرع وسيلة.

ما الفرق بين البغاء والزّنى والسّفاح؟

البغـاء: هو الزّنى المتكرر ـ أي الفجـور، توصف به المرأة ولا يوصف به الرجل من :بغت؛ أي: فجرت، تجاوزت ما ليس لها بحق.

السِّفاح: وهو أن يقيم الزّاني والزّانية في منزل واحد بدون زواج.

الزّنى: الوطء بدون عقد شرعي ولو وقع لمرة واحدة.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ﴾: آيات القرآن (آيات الأحكام والحدود)، والآيات بشكل عام تشمل الآيات الكونية والمعجزات. إليكم: خاصة.

﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: ولم يقل: آيات بينات؛ أي: واضحات، ظاهرات، ومبينات: تحتاج إلى توضيح وتفسير مثل آيات الحدود والأحكام، أو تعني: مبينات الأحكام والحدود الّتي تنظم حياتكم.

أي: تحتاج إلى توضيح وتفسير يقوم به رسول الله ﷺ، أو أولو العلم والفقه في الدّين، أو علماء الفلك والفيزياء مثل قوله تعالى: ﴿بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ [النور:٤٠]. وكقوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣]، وغيرها من الآيات.

﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾: أي أنزلنا إليكم آيات مبينات.

وأنزلنا إليكم ـ مثلاً ـ من الّذين خلوا من قبلكم، والمثل: هو تشبيه حال بحال مراد به توضيح أمر غامض؛ أي: مشبهاً من حال الّذين مضوا من قبلكم بحالكم مثلاً شبهاً بحادثة الإفك ما حدث ليوسف عليه السلام وامرأة العزيز وما حدث لمريم عليها السلام حين قالوا: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨].

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تذكرة، ونصيحة وتحذيراً للمتقين، والموعظة: ما يوعظ به من قول أو فعل يُرشد إلى الخير، أو النّصح بالطّاعة بأسلوب التّرغيب

والتّرهيب والعمل الصّالح والتّذكرة بالثّواب والعقاب، والتّحذير وللنهي من الغفلة والجهل.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المتقين: الّذي يطيعون أوامر الله ولا يعصونه ويتجنبون نواهيه.

أي: خاصة بالمتقين دون غيرهم فهم المنتفعون بها. وربما ينتفع بها غيرهم بشكل عام.

ولنقارن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ و قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩].

الآيات البينات الواضحات لا تحتاج إلى بيان وتوضيح، بينما المبينات تحتاج.

[٣٥] ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الله نور: نور لها عدة معان:

أولاً: كلمة (نور) فيها معنى الهداية؛ أي: الله هادي من في السّموات والأرض وما فيهن، كما قال ابن عبّاس: يهدي كل مخلوق لما يقوّمه ويصلحه، ولولا هديه ونوره ما اهتدى مخلوق إلى وظيفته وغايته ومعاشه وحياته.

ثانياً: الله سبحانه هو النّور؛ أي: منه النّور؛ لأنّ العرب تسمّي من منه الشّيء باسم ذلك الشّيء. فالشّمس والقمر والنّجوم هي من خلقه.

ثالثاً: الله سبحانه منوِّر السّموات والأرض بالشّموس والأقمار والكواكب الّتي تعطي النّور الحسي.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: صفة نوره العجيبة، كمشكاة فيها مصباح: المشكاة كوَّة في جدار (أي: نافذة مدورة ضيقة ولها جدار ثخين) ليكون أجمع للنّور وأضوأ مقارنة بالمكان الواسع حيث ينتشر فيه الضّوء ويتبعثر.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: أي السّراج أو القنديل.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾: أي ليس مصباحاً عادياً إنّما المصباح موضوع في زجاجة، الزجاجة تنقي ضوء المصباح تمنع عنه الهواء المسبِّب للدخان وهي أداة عاكسة للنور.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾: الزّجاجة نفسها غير عادية إنّما هي (الزّجاجة كأنّها كوكب دري) شديد الإنارة، كأنّه من الدّر يضيء بنفسه، والعرب تسمي الكوكب العظيم المضيء: كوكب دري.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: أي أنّ الزّيت الّذي يوقد به المصباح ليس زيتاً عادياً، إنما زيتٌ مأخوذٌ من شجرة مباركة؛ للدلالة على قدسيتها، أو مباركة لطول عمرها، فهناك من شجر الزيتون ما يزيد عمره على ألف عام. هي الزّيتونة، لا شرقية ولا غربية؛ أي: هي شجرة مزروعة في مكان وسط مما يجعل ضوء الشمس يقع عليها طول النهار، ولو كانت شرقية لوقع عليها ضوء الشمس جزء من النهار، ولو كانت غربية لحدث ذلك أيضاً وقع عليها ضوء الشمس جزءاً من النهار، أو حتى لا يطرأ عليها نور وظلمة فهي لا شرقية ولا غربية كي لا يحجزها شيء عن ضوء الشمس مما يجعل زيتها صافياً من شدة صفائه.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: أي زيتها من شدة صفائه يكاد يضيء بدون أن تمسّه نار؛ أي: الإضاءة هنا غير حاصلة؛ أي: تكاد أن تحصل ولم تحصل حتىٰ تمسسه نار.

هذا هو تفسير المفسرين السّابقين، والتّفسير العلمي: أنّ هذه الآية تشير إلىٰ الشّمس الّتي هي الكوكب الدّري الّذي يوقد بغاز الهيدروجين والهيليوم في مشكاة، المشكاة تمثّل الكون المظلم، فيها مصباح، المصباح: هو الطّبقة الغازية المحيطة بالأرض والّتي تضيء حين تقع عليها حزمة الضوء المرئي (ألوان الطّيف السّبعة) وزيت الشّمس هو غاز الهيدروجين والهيليوم الّذي يضيء ولو لم تمسسه نار..

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: ليس هو نوراً واحداً وإنّما نور مضاعف من غير تحديد الكمّ، وليس مجموع نورين فقط بل أنوار كثيرة فوق بعضها البعض منها ما هو حسي مادي مركّب من نور الشّمس والقمر والنّجوم، ونور معنويّ مركّب من نور القرآن والرّسول ونور الإيمان ونور الوضوء ونور الإسلام.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فيه تنكير؛ للمبالغة والتّعظيم.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: لنوره المعنوي؛ أي: لدينه الإسلام، من يشاء: من عباده، من ابتدائية بعضية.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من سورة النّحل للبيان.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: شيء نكرة تشمل أيَّ شيءٍ مهما كان.

﴿عَلِيمٌ﴾: يحيط علمه بكل شيء خلَقَهُ باطنه وظاهره، حياته وعمله، وموته وفنائه، وحركته وسكونه.

[٣٦] ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾:

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾: ابتدأت الآية بالجار والمجرور (في بيوت) فلا بدّ من متعلق وهو النّور؛ أي: النّور في بيوتٍ أذن الله أن ترفع: تقام، والبيوت هي المساجد وهي بيوت الله في الأرض، والبيت ما أُعدَّ للبيتوتة، مكان للراحة، وهناك فرق بين البيوت العادية وبيوت الله، فالبيوت العادية توفّر الرّاحة الجسدية البدنية، وبيوت الله تعالىٰ توفّر الرّاحة المعنوية النّفسية، الّتي هي أهم من الرّاحة الجسدية؛ أي: النور المركب في بيوت أذن الله أن ترفع فيها نور الإيمان، والقرآن، وحلقات العلم، ودراسة القرآن، وخطب الجمعة كل هذه الأمور نور علىٰ نور، وتشمل البيوت كذلك الصوامع، والبيع، والصلوات. ارجع إلىٰ سورة الحج آية (٤٠).

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: تبنىٰ وتطهّر وتُصان. ولم يقل سبحانه أمر الله أن ترفع للعبادة.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾: اسم الله سبحانه بالأذان والإقامة والصّلاة وقراءة القرآن، والدّعاء والذّكر والتّسبيح.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾: التّسبيح التّنزيه، تنزيه الله لذاته وصفاته وأسمائه من كل عيب ونقص وما لا يليق به، بالغدوّ: الغداة من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشّمس، والآصال: جمع أصيل ما بين العصر وغروب الشّمس، فهي لا تخلو من ذكر الله.

❖❖❖

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ
يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

سورة النّور [الآيات ٣٧ - ٤٣]

[٣٧] ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾:

﴿رِجَالٌ﴾: خصّ الرّجال بالذّكر في المساجد؛ لأن ليس على النّساء صلاة جماعة في المساجد ولا جمعة.

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾: لا النّافية. تشغلهم تجارة (التّجارة هي البيع والشّراء)، وخصّ التّجارة؛ لأنّها أكثر الأعمال الّتي تشغل النّاس عن الصّلاة وحضور المساجد.

﴿وَلَا بَيْعٌ﴾: ذكر الخاص بعد ذكر العام؛ للاهتمام والتّوكيد، لأنّ البيع هو الّذي يجلب الرّبح ويعدّ أهم قسمَي التّجارة (الشراء والبيع).

﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: باللسان مثل التّسبيح والتّحميد والشّكر، و)عن) تفيد المجاوزة والابتعاد.

﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾: أداؤها لوقتها وإتمامها بالأركان والسنن والواجبات.

﴿وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾: ما يجب إخراجه من المال للمستحقين.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: يوم القيامة (ونكّر اليوم؛ للتهويل والتّعظيم).

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: من شدة هوله وأحداثه العظام، تتقلب فيه: تعني في ذلك اليوم خاصة أو حصراً.

القلوب تضطرب وتتسرّع من شدة الفزع والخوف ويرتفع الضغط

الشّـرياني، وتبلغ القلوب الحناجر: كناية عن شدة خوفها، وشدة نبضات القلب الّتي تشعر بأنّها في مستوىٰ الحناجر، أو كأن القلوب تركت أماكنها وأصبحت علىٰ مستوىٰ الحناجر.

والأبصار: الشاخصة تتقلب: تترقب من أين يأتيها العذاب، أو تتقلب تنظر يمنة ويسرة من أين يؤتون كتبهم أمِنْ قِبَل اليمين أم من قِبَل الشمال.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾: مـن الأعمال الصّالحة في دنياهم، أحسـن علىٰ وزن: أفعل؛ أي: أفضل الجزاء ما عملوا، ما: اسـم موصـول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: بمضاعفة الحسنات والدّرجات.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: لا يرزق الناس في الدنيا قدر طاعتهم فالرزق ليس منوط بالإيمان أو عدمـه، ولا يدل علىٰ رضىٰ الله تعالىٰ عن العبد أو منعه يدل علىٰ سخط الله علىٰ عبده، ولأن خزائنه لا تنفد ويرزق من يشاء من حيث لا يحتسب. ارجع إلىٰ الآية (٢١٢) من سورة البقرة للبيان.

[٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾:

بعد أن بيّن الله جزاء أعمال الّذيـن آمنوا وعملوا الصّالحات، ينتقل ليبيّن حال أعمال الّذين كفروا في الآخرة، ويشبهها بالسراب والظلام (شيآن حسيان) والكفر شيء معنوي فهو يشبه شيء معنوي بشيئين حسيين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: أي: ثواب أعمالهم الصّالحة.

﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾: أعمالهم تشبه السّراب، بقِيعَة؛ أي: ما تراه عين الإنسان قرب وقت الظّهيرة بقِيعة؛ أي: في صحراء أو أرض مستوية حين تنكسر أشعة الشّمس على الأرض، فتظهر كماءٍ يحسبه الظّمآن ماء وما هو إلا سراب. وسمّي سراباً؛ لأنّه يسرب: (يجري كالماء) ويخدع الرّائي من بعيد فيظنه ماء وليس بماء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾: حتى: حرف نهاية الغاية؛ أي: جاءه يركض ليشرب منه ويروي ظمأه لم يجد السّراب الّذي ظنه ماءً شيئاً، وكذلك الكافر الّذي يعمل الأعمال الحسنة في الدنيا من الإنفاق وصلة رحم ورعاية اليتيم وإغاثة الملهوف وبناء المدارس والمستشفيات، ولكنه لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأعماله هذه الّتي يظن ستنفعه يفاجأ أنّها لا فائدة منها ولا ثواب في الآخرة؛ لأنّها حبطت بسبب كفره وأصبحت تشبه السّراب الّذي ظنّه الظمآن ماء، كما أنّ الكافر ظنّ أنّ أعماله الصّالحة لها ثواب وأجر فيجدها قد حبطت أو بطلت لا ثواب لها.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾: أي يفاجَأ بوجود الله يوم القيامة.

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾: الفاء للتوكيد، حسابه: على كفره أو شركه؛ لأنّ ثواب أعماله الحسنة وفّاها له الله وهو في الدّنيا ونال أجرها قبل موته بأن وسع الله له رزقه، أو مدحوه وأثنوا عليه الناس في الدنيا، أو سموا شارعاً باسمه وغيرها.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من سورة الرعد للبيان.

انتبه إلى قوله تعالى:

١ - سراب بقِيعة: لم يقل في قيعة، استعمل الباء للإلصاق؛ لأنّ السّراب ملتصق بالأرض: القيعة (المستوية) ولو قال في قيعة لدلَّ أنّ القِيعة كظرف والسّراب هو المظروف، وهو غير صحيح من حيث الحقيقة العلمية.

٢ - يحسبه الظّمآن ماء: يحسبه بصيغة المضارع يدلّ على التّجدد والتّكرار في الخدع؛ أي: الكفار في الدنيا يظنون أنَّ لأعمالهم ثواباً وجزاءً بشكل متكرر ومتجدد.

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾:

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾: أو أعمالهم تشبه الظلمات التي نراها في ﴿بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: كالمحيطات، وقد اكتشف علماء البحار أنّ البحار تتكون من بحراً عميقاً لجّياً له أمواجه، وبحراً سطحياً وله أمواجه، ووجد أنّ هناك منطقة بين البحر العميق والبحر السّطحي وهي طبقة سمكها أمتار قليلة أو طبقة رقيقة تمثل حداً فاصلاً.

﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾: أي: أن للبحر اللجي (العميق) موج (اسم جنس)؛ أي: أمواج داخلية، يغشاه موج من أعلاه؛ أي: من فوقه؛ أي: الأمواج السطحية التي تخص البحر السطحي، ولهذه الأمواج سحب تسمى سحب الموج الداخلي، وسحب الموج سطحي، وقيل هي (١٠ سحب)؛ أي: عشر ظلمات (حوائل) سبع ظلمات، ظلمات الأعماق، أو ظلمات الأمواج الداخلية، وظلمات الأمواج السطحية ثلاث.

أي: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: تراكمت عليها ظلمات الكفر والشّرك والضّلال والجهل، فلم يعد فيها خير، فلا ينتفعون منها بشيء.

أو أصحاب هذه الأعمال يشبه أحدهم من يغوص في البحر اللجّي الّذي يغشاه موجٌ من فوق موج من فوقه سحاب، فهم يترددون ويسبحون في ظلمات بعضها فوق بعض إذا مدَّ يده فيها ليسبح، لا يكاد يرى يده من شدة الظّلام، فهم لا ينتفعون بأعينهم وأبصارهم كما لا ينتفعون بأعمالهم.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾: مبالغة في عدم القدرة أو نفي الرّؤية كاملاً فهو لا يرىٰ يده. فقد تبين أنه كلما زاد العمق زاد الظلام ويبدأ الظلام علىٰ عمق (٢٠٠ متر) وينعدم علىٰ عمق (١٠٠٠ متر) حيث تختفي الأشعة ويحل الظلام الدامس.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾: أي فمن أراد أن يتخبّط في ظلمات الضّلال والجهل والشّرك والكفر، ولا يريد أن يخرج منها وهو راضٍ بذلك ولا يلتمس أيَّ مخرج أو نور؛ ليخرج منها، فليعلم أنّ الله لا يهديه أو يوفقه.

وهذه أربعة آيات أُخر تعتبر أدلة وبراهين علىٰ قدرة الله وعظمته، وأنّه هو الخالق لا إله إلا هو الّذي يحب أن يطاع ويعبد وهي:

١ - كل من في السّموات والأرض والطّير، والحيوان والنّبات والجماد يصلي ويسبِّح له.

٢ - إنزال المطر والثّلج والبرد من السّحب

٣ - تقلُّب الليل والنّهار.

٤ - وأنواع المخلوقات وأشكالها وأنواعها، وكيف تسير وتمشي.

[٤١] ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾:

الدّليل أو البرهان الأوّل:

﴿أَلَمۡ﴾: الهمزة للاستفهام، وقد لوحظ أنّ القرآن يستعمل (ألم) للأمر الغائب غير المشاهد كما في هذه الآية، حيث لا نرىٰ ولا نشاهد صلاة ولا تسبيح

الطّير، بينما (أولم) تستعمل للأمر الحسي المشاهد والحالات الأشد إنكاراً، ومجيء الواو في كلمة (أولم) تدل على شدة الإنكار بدلاً من (ألم).

﴿تَرَ﴾: أي: ألم تعلم أو ينتهِ إليك العلم، والرّؤية هنا رؤية قلبية وليس بصرية، وحين يخبرنا الله عن شيء كما هو الحال في هذه الآية يخبرنا عن صلاة وتسبيح الطّير، فهذا الخبر من الله أوثق وأصدق مما لو رأته أعيننا.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: للتعليل والتّوكيد.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ارجع إلى سورة الإسراء الآية (٤٤) للبيان، وسورة الحديد آية (١).

يسبح: من التّسبيح وهو تنزيه الله تعالى ذاته وصفاته وأسمائه من كلّ نقص وعيب وعما لا يليق به، من: للعاقل وتعني الإنس والجن والملائكة.

﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: باسطات أجنحتها؛ لكي تظلّ معلّقة في جو السّماء لكي لا تسقط. ارجع إلى سورة الملك آية (١٩) لمزيد من البيان. وعطف الطير (غير العاقل) على العاقل من خصوصيات القرآن الكريم، كما رأينا في سورة الحج آية (١٨)، وسورة الرعد آية (١٥).

والطير صافات (ذكر الخاص) بعد ذكر العام وهو (ما في السموات والأرض) للاهتمام أو الأهمية، فلماذا خصها بالذكر مع أنها داخلة في (من في السموات والأرض)؛ لأن الطير آية من آيات الله تعالى الخاصة؛ فالطيور بأنواعها التي قدرها العلماء بـ(٩-١٠) آلاف نوع، وأجنحتها المختلفة الشكل والحجم، وقدرتها على الطيران تدل على عظمة قدرة الخالق؛ فلا تسقط على الأرض رغم وزنها وخضوعها لقانون الجاذبية الأرضية.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: كل طير، قد: للتحقيق والتّوكيد، علم صلاته

وتسبيحه: علم كيف يصلي ويسبّح بطريقته الخاصة به؛ أي: له صلاة وتسبيح يختلف عن الآخر؛ لأنّه سبحانه الّذي خلقها هداها إلى هذا التّسبيح والصّلاة، كلٌّ: قد تعود إلى كلّ ما في الوجود بما فيه الطّير لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: وأنتم لا تفقهون تسبيحهم ولكن الله يعلم بكلّ ما يفعلون، يفعلون: ولم يقل يعملون؛ لأنّ العمل عادة يخص ذوي العقول والعمل يعني الفعل والقول، يفعلون: يخص ذوي العقول وغير العاقل والطّير.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، فقط لله وحده لا لغيره، واللام (لله) تفيد الملكية والاختصاص.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي له حكم السّموات والأرض بما أنه خالق السّماوات والأرض فهو مالك لهنّ وما فيهنّ فهو المالك والحاكم، وهنا ملك السّموات والأرض يعني بشكل خاص الحكم فهو الحاكم، وحينما يقول: لله ما في السّموات والأرض؛ تعني: المُلك هو المالك.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إلى الله سبحانه النّهاية والعودة؛ أي: الوقوف بين يديه للحساب.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾:

الدّليل والبرهان الثّاني:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، أو ألم تَرَ رؤية قلبية وبصرية، ارجع إلىٰ الآية السّابقة لمعرفة معنىٰ (تَرَ).

﴿أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي﴾ (يحرك ويسوق) السحاب المتشكل من بخار الماء الخارج من البحار والمحيطات والأرض.. ثم يؤلّف بينه: أي بين السّحب المبسوطة (السحاب).. حتّىٰ تصبح سحباً ركامية، عندها ترىٰ الودق (المطر) ينزل منها وهذا تفصيل ما يحدث من النّاحية العلمية.

﴿اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يحرك برفق أو يدفع ببطء سحاباً، والسحاب عبارة عن بخار الماء المحمول بالرياح، وقد تبين أن بخار الماء أثقل من الهواء فعندما يتحرك الهواء يجد مقاومة من بخار الماء.

وهذه السّحب تسمىٰ السّحب المبسوطة وهي لا تمطر حتّىٰ تتلقح برياح حاملة لهباءات الغبار، فتتحول ذرة بخار الماء إلىٰ نوىٰ تكثّف وحينما تصل إلىٰ كثافة معينة تنزل مطراً.

عندما تلتقي سحابتان كل سحابة لها تركيب مختلف عن الأخرىٰ من حيث التركيب الكيمياوي ودرجة الحرارة وكمية بخار الماء وغيرها، فحين تلتقي السّحب التي تتحرك بشكل أفقي بغيرها من السّحب؛ أي: تصطدم أو ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: تتحرك السّحب إلىٰ الأعلىٰ بشكل رأسي أو هرمي، وتكون سرعتها القصوىٰ في المركز فتتصاعد السّحب لتشكل السّحب الرّكامية الّتي قد يبلغ طولها (١٠ ـ ٢٠) كم وحينما يصل بخار الماء إلىٰ الطبقة المنخفضة الحرارة ينزل بشكل مطر.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: أي: المطر الغزير أو الخفيف يخرج من خلاله، وكذلك في هذه السّحب الرّكامية يتشكل الثلج والبرد. وهناك السّحب الأفقية الّتي

تتشكل فوق الجبال والهضاب فإذا وصلت الأرض نسميها الضباب، وهناك السّحب المبسوطة تشكل الغيوم (السحب البيضاء).

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، الودق: المطر بشكليه الشّديد والخفيف.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾: وينزل من السّماء من جبال (هي السّحب الرّكامية الّتي قد تبلغ (٢٠) كم طولاً).

وعندما تصعد السّحب الرّكامية وتعلو، وعندما تصل إلىٰ درجة الصّفر يتحول المطر النّازل إلىٰ قطرات من البرد أو الثّلج، إذا تجمد الماء بسرعة شكّل كرات البرد، وإذا تجمّد ببطء يتبلور إلىٰ كرات الثّلج، فيصيب به (بالبرد) من يشاء. البرد ليس هو الثّلج، البرد كتل مدورة من الجليد يختلف حجمها وقد تكون كبيرة فتسقط فتؤدي إلىٰ ضرر وتلف في المنازل والسّيارات. من يشاء أي: الكفار والمشركين أو العاصين، ويصرفه عمّن يشاء: عن عباده المؤمنين.

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾: سنا برقه: الضمير يعود علىٰ البرد وليس البرق.. فالذي يسبب البرق هو البرد ولا أحد يظن أن هناك علاقة بين البرد والبرق، فقد اكتشف أن الماء حين يتحول من حالة إلىٰ حالة يطلق شحنة كهربائية تصل إلىٰ آلاف الفولتات بالثانية، فإذا نظر الإنسان إلىٰ وهج هذا البرق قد يؤدي ذلك إلىٰ فقدان الرؤية لفترة قصيرة، وإذا نظر إلىٰ فترة طويلة قد يحرق شبكية العين ويفقد بصره كاملاً، ويعود ذلك إلىٰ تغير مادة الرودسين الّتي تعين علىٰ الرؤية، فالدراسات العلمية للسحب تؤكد ما جاء به القرآن الكريم من أكثر من (١٤٠٠) سنة.

❖❖❖

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ
أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

نصف الحزب ٣٦

سورة النّور [الآيات ٤٤ - ٥٣]

[٤٤] ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾:

الدّليل أو البرهان الثّالث:

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: إشارة إلىٰ كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشّمس مما يؤدي إلىٰ تبادل الليل والنّهار، ويشمل هذا التقلب تغير درجات الحرارة بالبرد والحر والدّفء أو الاعتدال، ففي الليل نرىٰ درجات الحرارة تزداد أو تنخفض، وكذلك في النّهار في مطلع النّهار وآخره فلا تبقىٰ علىٰ حالة واحدة، هذا التّغير في درجات الحرارة والبرد من تدبير الخالق وتصريفه وحكمته، ودلالة علىٰ قدرته وعظمته ووحدانيته مما يدركه أولو الأبصار.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة يشير إلىٰ كروية الأرض ودورانها، وهذا التّغيير في درجات الحرارة والجو والمناخ.

﴿لَعِبْرَةً﴾: من العبور من الجهل إلىٰ العلم: من الآيات الّتي تعبر بالإنسان للوصول إلىٰ الإله الحق والصّواب، أنّ الله سبحانه المدبر الخالق والّذي يجب أن يطاع ويعبد.

﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: ذوي؛ أي: أصحاب البصيرة والبصر.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

والدّليل أو البرهان الرّابع على قدرة الله وعظمته يتمثل في ظاهرتين: الماء والمشي.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾: تعريف الدّابة: كلّ ما يدب على الأرض بما فيها الإنسان والحيوان، حتّى النّملة وما يشبهها له دبيب.

من ماء: من ابتدائية استغراقية تشمل كلّ دابة، وتختلف نسبة الماء في تركيب هذه الدّواب فقد تصل إلى نسبة عالية (٧٠) بالمئة أو أكثر، وقد تصل إلى نسبة ضئيلة جداً كما هو الحال في السّمك مثلاً، وكما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، والطين يعني: التراب+ الماء.

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾: فمنهم تعود على الدّابة، من يمشي: المشي هو الانتقال من مكان إلى مكان آخر ولو بعدّة خطوات أو سنتيمترات أو أقل من ذلك أو أكثر، وإذا امتد المشي وطال يسمى السّير، والسّير: يستعمل للسفر والتّجارة.

يمشي على بطنه: كالزّواحف والحيّات بدون أرجل.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾: الإنسان وبعض الحيوانات.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾: ومن يمشي على بطنه أعجب ممن يمشي على رجلين ممن يمشي على أربع بدأ بالأصعب إلى الأسهل.

انتبه في هذه الآية إلى عدة أمور:

١ - التّدرج من المشي على البطن إلى المشي على رجلين إلى المشي على

أربع، التّدرج من الأعلىٰ تعقيداً إلىٰ الأقل؛ فالّذي يمشـــي علىٰ بطنه أعجب من الّذي يمشي علىٰ رجلين، والذي يمشي علىٰ رجلين أعجب من الّذي يمشي علىٰ أربع؛ لإظهار قدرته سبحانه وعظمته علىٰ الخلق بكل أنواعه وليس هو ترتيباً مبنياً علىٰ الجنس.

٢ - اســتعمل من للعاقل فقال: (ومنهم من يمشي) وكرر ذلك (ومنهم من يمشي) ولم يستعمل (ما) وغلب ضمير العقلاء علىٰ البقية.

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: يدخل فيها ما يمشي علىٰ أكثر من أربع أرجل أو غيره من أنواع المشي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: إنّ للتوكيد.

قدير: صيغة مبالغة: كثير القدرة؛ فقد خلق الله أكثر من (٨،٧ مليون) سلالة من الحيوانات في الأرض. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٠) لمزيد من البيان.

[٤٦] ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

بعد أن بيّن لنا الله سبحانه أربعة أدلة علىٰ عظمته وقدرته، يعود ليخبرنا بأنّه تعالىٰ:

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة (٣٤).

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: والله يهدي من يشـــاء من عباده للنظر والتّأمل في هذه الأدلة والبراهين الّتي ذكرت في الآيات السّـــابقة وغيرها من الآيات المنزلة للوصول إلىٰ الحق والرّشاد والإيمان بالله وحده والسّير علىٰ دينه؛ أي: الصّراط المستقيم.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أسباب النّزول: كما ذكر الواحدي في (أسباب النّزول): نزلت هذه الآية في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمّد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ كعب بن الأشرف فإنّ محمّداً يحيف علينا، فنزلت هذه الآية.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: باء الإلصاق والتّوكيد، يقولون آمنا: بأفواههم آمنا وصدقنا بالله وبمحمّد وبما أنزل الله.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي يفعلون ما يخالف ما قالوه بأفواههم؛ أي: يقولون ما لا يفعلون ويبطنون غير ما يظهرون، أو قول بلا عمل، يتولىٰ فريق منهم: يعرض ويمتنع فريق منهم بتطبيق ما يدل علىٰ إيمانهم الصّادق؛ أي: يقولون: آمنا بمحمّد ﷺ كحال هذا المنافق ثم يريد أن يتحاكم إلىٰ كعب بن الأشرف.

﴿وَمَآ﴾: النّافية.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الباء للإلصاق؛ أي: هم من المنافقين، ويقولون: بصيغة المضارع لتدل علىٰ التّجدد والتّكرار.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية فيها معنىٰ الشّرط، تستعمل للأمور الحتميّة الحدوث وبكثرة.

﴿دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: إلىٰ كتاب الله؛ أي: القرآن، ورسوله: ليحكم بينهم بحكم الله؛ لأن حكم رسول الله ﷺ لا يكون إلا عن وحي كقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤]، وتعني: سنة رسول الله ﷺ بعد وفاته.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: اللام لام التّعليل والتّوكيد.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾: معرضون عن المجيء إلىٰ الرّسول ليحكم بينهم خوفاً من أن يحكم بالحق عليهم، أو لعلمهم أنه يحكم بالحق فلا يأتون إليه.

[٤٩] ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تستعمل للأمور المحتملة والنادرة.

﴿يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: أي إذا كان الحكم لصالحهم جاؤوا إليه مذعنين مسرعين مطيعين منقادين، وتقديم (إليه) للاختصاص؛ أي: إليه وحده.

[٥٠] ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وذم؛ أي: ما هو سبب إعراضهم عن التّحاكم إلىٰ رسول الله، وقلوبهم المريضة بمرض النّفاق والحسد والرّيبة، (أم المنقطعة) ارتابوا في نبوة محمّد؟ الرّيبة: هي الشّك والتّهمة، أو ارتابوا فيما أنزل الله تعالىٰ في القرآن. وانظر إلىٰ جملة في قلوبهم مرض (جملة اسمية) تدل علىٰ الثبات؛ أي: المرض متأصل في قلوبهم (مرض النفاق) بينما ارتابوا أو يخافون (جملة فعلية) تدل علىٰ التجدد والتكرار؛ لأن قلوبهم مريضة.

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ أم: للإضراب الانتقالي (أم المنقطعة) والهمزة للاستفهام الانكاري والتّوبيخ.

الحيف: هو ميل الحاكم إلىٰ أحد الطّرفيـــن، أو الحيف: الظّلم النّاتج عن عدم العدل، وأصل الحيف: تحيّفت الشّيء: إذا أنقصته عن حافاته.

﴿بَلْ﴾ للتقرير واليقين، للإضراب الانتقالي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: جمع: ظالم، هو كل من يخرج عن منهج الله عز وجل.

أي: يجب ألا يخافوا أن يحيف عليهم محمّد؛ أي: يظلمهم بحكمه، وإنما هم الظّالمون حين يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم أو يظلموا النّاس ويأكلوا حقوقهم وأموالهم بالباطل، فهم الظّالمون لغيرهم ولأنفسهم معاً.

انتبه إلىٰ قوله: (أفي قلوبهم مرض): جملة اسمية تدل علىٰ الثّبوت، أتبعها بجملة فعلية هي (أم ارتابوا) الّتي تدل علىٰ التّجدد والتّكرار.

الظّالمون: جملة اســـمية تدل علىٰ الثبوت؛ أي: مستمرون في الثبات علىٰ ظلمهم للنّاس.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعوا إلىٰ الله

ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا وأطعنا، أو إنما كان قول المؤمنين حقاً أو صادقي الإيمان إذا دُعوا إلىٰ الله (كتاب الله) أو دُعوا إلىٰ الله رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا، أن: للتعليل والتّوكيد، ولم يقل: إذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكما بينهم؛ لأن حكم الرسول هو حكم الله تعالىٰ؛ لأن الرسول ﷺ منفذ لحكم الله تعالىٰ.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: سمعنا حكم الله ورسوله، وأطعنا ما أمرنا به أو نهانا عنه، وإن كان الحكم لغير صالحهم؛ أي: ضدهم.

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد التّوكيد، المفلحون: المدركون والمحققون غاياتهم، النّاجون من النّار والفائزون بالجنة، ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة؛ وتعني: إذا كان هناك مفلحون فهم في طليعة المفلحين ومقدمتهم.

[٥٢] ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: لأن طاعة الرسول من طاعة الله تعالىٰ وطاعتهما واحدة، وتتمثل الطاعة بامتثال أوامر الله تعالىٰ ورسوله؛ أي: يطع أوامرهما ويتجنب نواهيهما.

﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾: الخشية هي الخوف المصحوب بالشّعور بعظمة الله الخالق، والمصحوب بالعلم به: صفاته، وأسمائه، وأفعاله، والخشية بالغيب وفي العلن، والتّقوىٰ: طاعة أوامر الله واجتناب نواهيه.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل للتوكيد؛ أي: إذا كان هناك فائزون فهم في أول الفائزون أو في طليعتهم.

﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: بالجنة ورضوان الله وبالبقاء السّرمدي والنّعيم الدّائم.

[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: وأقسموا من القَسَم، والقسم: أبلغ من الحلف، ولمعرفة الفرق بين القسم والحلف ارجع إلىٰ الآية (٥٦) من سورة التّوبة للبيان.

بالله: باء القسم، وأقسموا بالله لرسوله.

﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: بالغوا بمنتهىٰ جهدهم في القسم؛ أي: أقسموا بأغلظ الأيمان وبمنتهىٰ جهدهم ووسعهم.

ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (٩١) للبيان.

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾: اللام لام التّوكيد، أمرتهم بالخروج إلىٰ الجهاد.

﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾: اللام للتوكيد، والنّون في (يخرجن) لزيادة التّوكيد.

﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾: هذا أمر من الله لرسوله بأن يقول لهم: لا تقسموا، ليس هناك حاجة إلىٰ القسم بالله، إنّ الله يعلم نواياكم وهل أنتم صادقون أم لا، فهو مجرد قسم باللسان!

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: لا تقسموا بالله، إنّ الله يعلم ما نوع طاعتكم فهي طاعة معروفة عنده: مجرد طاعة باللسان وقول الكذب؛ أي: مجرد قول بلا فعل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: إنَّ للتوكيد، خبير: ببواطن الأمور، بما تعملون؛ أي: تقولون وتفعلون، العمل: يشمل القول الفعل.

وقدّم (خبير) على (ما تعملون) ولم يقل إنّ الله بما تعملون خبير؛ لأنّ سياق الآيات في الحديث عن عظمة الله وقدرته، وعن أمور قلبية كالنفاق. ونوايا وإيمان وليس السّياق في عمل الإنسان.

❖ ❖ ❖

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

سورة النّور [الآيات ٥٤ - ٥٨]

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: قل لهم يا محمّد: أطيعوا الله فيما أمر به ونهى عنه وما أنزل لكم في الكتاب، وأطيعوا الرّسول فيما أمر به ونهى عنه وما فصّل لكم من الأحكام والشّرائع.

والطاعة تعني: الانقياد لما يطلبه الشارع (وهو الله عزّ وجلّ) وكذلك الرّسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]. وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

وفي سورة آل عمران آية (٣٢) قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بدلاً من ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لمعرفة الفرق ارجع إلى سورة النّساء آية (٥٩) وآل عمران آية (٣٢). ولنعلم أن طاعة الله وطاعة الرسول طاعة واحدة، وأن طاعة الرسول ﷺ فيما بين لنا من الأحكام المجملة.

﴿فَإِن﴾: الفاء للتعليل، إن: شرطية تستعمل للأمور المحتملة الوقوع مثل التولّي.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا ورفضوا وابتعدوا عن طاعة الله وطاعة الرّسول.

وتولّوا: أصلها: تتولوا، حذفت إحدى التاءين؛ أي: يجوز في الفعل تولوا أن يكون ماضياً وأن يكون مضارعاً، والفرق بين تولّوا وتتولّوا، تولّوا تستعمل

للتولّي القليل، وتتولّوا للتولّي الكثير أو الشديد مثل تولّي المؤمنين يكون قليلاً يستعمل تولّوا، وفي سياق تولّي الكافرين أو المنافقين يستعمل تتولّوا.

﴿فَإِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة، تفيد التّوكيد.

﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: من أعباء الدّعوة والتّبليغ، وعلىٰ: تفيد العلو والمشقة.

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من وزر التولّي والإعراض وعدم الطاعة، ولا يضره تولّيكم.

﴿مَّا﴾: اسم موصول بمعنىٰ الّذي أو مصدرية، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: إن شرطية، تطيعوه: جاء بصيغة المفرد ولم يقل وإن تطيعوهما؛ لأنّ طاعتهما واحدة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، تهتدوا: إلىٰ الحق وتهتدوا إلىٰ الصّراط المستقيم الموصل إلىٰ الغاية العظمىٰ.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: ما النّافية، علىٰ: تفيد العلوّ والمشقة، إلا: تفيد الحصر، البلاغ: من التّبليغ؛ أي: إيصال ما نُزّل إليه من ربكم إليكم، المبين: أي إلىٰ كلّ فرد بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبشكل كامل دون نقص؛ أي: إبلاغكم الرّسالة كاملة.

[٥٥] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾: الوعد في القرآن يعني: بشارة خير إذا أُطلق، بعكس الوعيد: يحمل معنىٰ الإنذار والشر.

﴿مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: منكم أنتم أيّها المسلمون خاصة، (وعملوا الصّالحات) ثلاثة أمور:

١ - الاستخلاف في الأرض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

٢ - التمكين في الدين ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾.

٣ - ليبدلنهم من بعد خوفهم آمناً.

١ - الاستخلاف في الأرض: الاستخلاف من خلف: وله معانٍ عدّة: مجيء شيء بعد شيء ليقوم مقامه، وقد يعني العوض عن شيء فائت، وقد يعني النيابة عن الغير أو التصرف في ملك الغير.

والاستخلاف في الأرض يعني: يخلف بعضُكُم بعضاً؛ يعني: السكن في الأرض والتصرف وحسن التدبير وإقامة العدل وإصلاحها وإعمارها وعدم الفساد، ومن حق الخالق مالك الملك أن يبدل المستخلفين إذا خالفوا العهد أو الميثاق بالتولّي أو الإعراض عن العمل الصّالح والطاعة فيما أمر به، أو أمر به رسوله ﷺ أو الفساد في الأرض بدلاً من إعمارها والعبث فيها...

والاستخلاف قرن بكلمة الأرض، فقال: (ليستخلفنهم في الأرض): وهذا يدل علىٰ أنه محدود في الأرض وأنه استخلاف مؤقت، فالإنسان زائل (ميت) والأرض نفسها سوف تزول وتبدَّل بأرض جديدة.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الكاف للتشبيه؛ أي: استخلاف جيل بعد جيل. والنون في كلمة (ليستخلفنهم) تفيد التّوكيد.

ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦٩) لمعرفة الفرق بين خَلْف وخَلَف.

٢ - ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: ليمكنن: اللام للتوكيد وكذلك النون في (يمكنن) لزيادة التّوكيد.

لهم: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لهم خاصة.

دينهم الّذي ارتضى لهم: أي الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

لهم: تعني أمة الإسلام خاصة.

والتمكين: يعني القدرة على إقامة شعائر الدين بغير خوف، والدعوة إلى الله والحرية وعدم القسر والإجبار والسلام..

٣ - ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: أي يصبحوا في سلام وأمن واستقرار اقتصادي واجتماعي، وزوال أسباب الخوف فلا يخافوا غيرهم.

﴿يَعْبُدُونَنِي﴾: من العبادة: ارجع إلى الآية (١٠٦) من سورة الأنبياء والآية (٧٣) من سورة النّحل.

يعبدوني: بإخلاص ووحدانية، والمجيء: بياء المتكلم تدل على الاستمرار في العبادة بإخلاص لله تعالى ولا يتوقف ذلك.

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: لا النّافية، شيئاً: نكرة، مهما صغر أو كبر أو مهما

كان نوع الشّـرك الجلي أو الخفي كالرياء حذف الياء يدل على عدم السماح لهم بالشرك مهما كان نوعه وقدره بما في ذلك الرياء.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: مـن شـرطية، من كفر بعد نِعَم الاسـتخلاف والتّمكين والأمن وعدم الخوف. والكفر في اللغة: هو السـتر، وفي الشرع: هو الخروج عن الملة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجـون عن طاعة الله ورسـوله. أو الدين، أو الّذين لا يستحقون أن يكونوا مسـتخلفين في الأرض، وكل كافر فاسق، وليس كل فاسق كافر.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

يمكن عطف هذه الآية على الآيـة (٥٤) والقول: قل أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: إقامة الصّلاة: تعني أداءها لوقتها بأركانها وشـروطها وسننها التّامة، والمحافظة على خشوعها والدّوام عليها وعلى الجماعة.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: المفروضة عليكم، وهاتان العبادتان هما من أهم العبادات وتمثلان باقي العبادات.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: أي: فيمـا بيـن لكم من الأحكام، وتكـرار (وأطيعوا الرّسـول) للتوكيد فيما أتاكم به وما نهاكم عنـه. ارجع إلى الآية (٥٤) من نفس السورة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لعل: للتعليل، ترحمون: من الرّحمة؛ أي: جلب ما يسر ودفع ما يضر، والّتي من معانيها الوقاية من عذاب الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة الإسراء آية (٨).

[٥٧] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: لا: النّاهية، تحسبن: من حسب؛ وتعني: الظّن الرّاجح أو الاعتقاد، أو رأي مبني علىٰ حساب حسي وقلبي قائم علىٰ النّظر والتّجربة والحساب.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي فائتين من عذاب، أو لا تحل بهم نقمة الله وعذابه.

﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: من المأوىٰ، ارجع إلىٰ الآية (١٨) من سورة الرّعد.

﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: اللام للتوكيد، بئس من أفعال الذّم، المصير: أي بئس النّهاية إلىٰ النّار والمآل.

[٥٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

أسباب النّزول: نزلت هذه الآية كما قاله ابن عبّاس، وذكر الواحدي في (أسباب النّزول): أن رسول الله ﷺ أرسل إلىٰ عمر رضي الله عنه غلاماً له اسمه مدلج الأنصاري وقت الظهيرة؛ ليدعوه، فدخل علىٰ عمر رضي الله عنه وكان عمر نائماً علىٰ حال كره عمر رؤيته عليها، فلما أتىٰ رسول الله ﷺ قال

عمر: يا رسول الله، وددت لو أنّ الله أمرنا ونهانا في حالة الاستئذان، فنزلت هذه الآية.

وقال مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد. والمهم هو بعموم اللفظ وليس خصوص السّبب.

﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾: اللام: لام الأمر، أو لام التعليل، والسين والتاء: تدل على الطلب؛ أي ليطلب الإذن منكم في الدّخول عليكم أو علّموا هؤلاء المذكورين أن يستأذنوا عليكم.

﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: العبيد والإماء أو الخدم، الذكور والإناث، وتشمل كل إنسان.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾: الصّبيان، والحلم؛ أي: لم يبلغوا سن البلوغ ويقدر بـ (١٤-١٥) سنة: سن التّكليف، حيث يدخلون ويخرجون دون ضابط.

﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾: أي في ثلاثة أوقات.

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾: وقت مخصص للنوم.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾: وقت القيلولة، وقت راحة قد يخلع الإنسان بعض ملابسه.

﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾: وقت النّوم.

﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾: هذه أوقات ثلاثة لا ينبغي لأحد أن يدخل عليكم إلا بعد الاستئذان منكم، يقرعوا الباب أو يُمنعوا من الدّخول عليكم إلا بالسّاعات المحددة لهم، ويسمي الله تعالى هذه الأوقات بأوقات العورة.

العـــورة في الأصل: الخلل والنّقـــص، ثمّ أطلقت على ما يُكره انكشـــافه والنّظر إليه، هي ما بين السّـــرة والرّكبتين في الرّجل، وفي المرأة ما يســـتحي من كشفه. ارجع إلى كتب الفقه لمزيد من البيان.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: يعني بعد هـــذه الأوقات الثّلاثة لا إثم عليكم ولا عليهم أن يدخلوا عليكم أو تدخلوا عليهم.

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾: للخدمة أو للحاجة.

طوّافـــون: جمع طوّاف: اســـم فاعل مـــن: طاف يطـــوف؛ أي: يدخلون ويخرجون عليكم للحاجة.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: يطوف بعضكم على بعض، توكيد لما قبلها دخولاً وخروجاً.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي كهـــذا التّبييـــن الّـــذي بيّـــن لكم حكم الاســـتئذان، يُبين الله لكم الآيات المشتملة للشـــرائع والأحكام الأخرى الّتي تحتاج إلى تبيان.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم؛ أي: أقوالكم وأفعالكم وما تحفون وما تبدون، وما تسرّون وما تعلنون، وبنواياكم وما تخفي.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شـــرع لكم وفرض عليكم، فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

ما الفرق بيـــن الآيـــة (٥٨) ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والآية (٥٩) ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟

١ - الآيات: أعمّ من آياته.

٢ - إضافة الضّمير إلىٰ ذاته (آياته) سبحانه معناها: هي آيات أهم وآكد مقارنة بقوله: الآيات بشكل عام.

٣ - الآيات: تأتي في سياق المندوبات، أمّا (آياته) تأتي في سياق الحلال والحرام والأحكام الخاصة. ويمكن القول: حين يقول: (آياتي) هي أقرب إليه من القول (آياته)، والقول (آياته) أقرب إليه من القول (الآيات) فالتدرج من الأقرب إلىٰ الأبعد يكون كما يلي: آياتي، آياته، آيات.

❖ ❖ ❖

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

سورة النّور [الآيات ٥٩ - ٦١]

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية بمعنى: حين، وتفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾: الحلم: البلوغ في الصبي، والاحتلام كما ورد في (القاموس المحيط): الجماع في النوم (الحُلم). وقيل: نزول المنيّ عند الاحتلام. وقيل: سنّ البلوغ؛ أي: أصبحوا قادرين على الإنجاب.

وقيل: ظهور شعر العانة أو سن (١٤ ـ ١٥) سنة، وقال: (بلغ الأطفال منكم الحُلم) ولم يقل (بلغ الطفل) كما في الآية (٣١) من السّورة نفسها، لأنّ الأطفال لم تعد ميولهم ورغباتهم وأفعالهم موحّدةً كالطّفل الواحد قبل سن البلوغ، وإنما تعددت شهواتهم وميولهم ونظراتهم بعد سن البلوغ للناحية الجنسية.

﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: تغير حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرّجال فلا يدخلون إلا بعد الاستئذان وتطبّق عليهم الأحكام الواردة في الآية (٥٨).

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة (٥٨) للبيان.

[٦٠] ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ ﴾ الواو عاطفة، والقواعد: لغةً: جمع قاعد، والقاعد: الرجل أو المرأة؛ يعني الّذي قعد عن العمل، العاجز عن الحركة لعاهة أو مرض أو كبر في السّن أو الشيخوخة.

وهنا يقصد بها النّساء، العجائز اللاتي قعدن عن الحمل والحيض لكبر أعمارهن.

﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾: والشرط الأهم من كل ذلك: لم يعد عندها إربة؛ أي: حاجة للرجال، وانقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد وليس لهن رغبة في الزّواج أو الشّهوة الجنسية.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ ﴾: أيّ إثم أو ذنب أن يظهرن بملابسهن المعتادة إذا كانت لا تثير الشّهوة.

﴿أَن ﴾: تعليلية.

﴿يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾: أي ليس عليهن إثم إذا لم يلبسن العباءة من فوق الثياب، أو ما يسدل على الوجه لتغطيته، أو القناع، على شرط أن تكون غير متبرجة بزينة؛ أي: مظهرة زينة لها مثل المكياج على الوجه، أو لبس الأساور والخلاخل في الرجلين، أو الثياب ذات الألوان غير المستساغة، أو الضيقة أو القصيرة أو الشفافة.

ولمعرفة الفرق بين ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ و﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ ارجع إلى سورة النّساء آية (١٠١) لبيان الفرق.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: وأن: تعليلية وللتوكيد.

﴿يَسْتَعْفِفْنَ﴾: أي يحتفظن بملابسهن وثيابهن فلا يضعنها، وحتى لا تظهر كاشفة لوجهها أو لجسمها، والأفضل لها أن تكون ورعةً في ملبسها ومظهرها بشكل عام وخاصة سلوكها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لكل الأقوال ما يقال في السّر والعلن.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالكم ونواياكم وسركم وجهركم، وبخائنة الأعين وما تخفي الصّدور.

[٦١] ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾: الحرج: الضّيق، وقد يعني: الإثم، والحرج هو

الضيق لا منفذ منه، مأخوذ من الحرجة: وهي الشجر الملتف الّذي لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه.

أي: الضيق المتعلق بالحكم، فهذه الآية تتعلق بأصحاب الأمراض المزمنة حتّىٰ لا يصبحوا منبوذين في مجتمعهم، فلا بدّ من مساعدتهم أو الجلوس معهم والأكل معهم، والحرج المقصود في هذه الآية:

١ - قد يكون ناتجاً عن الأكل معهم، حيث الأعمىٰ لا يرىٰ حين يأكل وقد يضع يده في طبق طعام الآخرين فيؤدي إلىٰ إزعاج الآخرين، أو مريض بمرض (ما) يظن الآخرون أنّه مرضٌ معدٍ، فلا يجالسوهم، أو الأعرج لا يعرف كيف يجلس، وبدأ بالأعمىٰ؛ لأنه أشدهم عذراً، ثم المريض، ثم الأعرج.

٢ - أو يكون الحرج ناتجاً عن عدم القدرة علىٰ الخروج للجهاد، فإذا غزوا غيرهم أعطوا مفاتح بيوتهم لهؤلاء القاعدين وكان هؤلاء يتحرّجون في دخول تلك البيوت وأصحابها غيَّبٌ، وعدم الأكل منها رغم السّماح لهم.

أي: لا حرج؛ أي: لا إثم أو ذنب علىٰ هؤلاء المبتلين ولا عليكم أيُّها الأصحاء.

﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾: أن: تعليلية وتفيد التّوكيد، تأكلوا من بيوتكم: هذه الآية ليس المقصود فيها بيوتكم خاصة، فمن أين نأكل إذا لم نأكل من بيوتنا؟! إنما المقصود بها بيوت أبنائكم؛ أي: أولادكم؛ لأنّه لا ذِكَر لهم في بقية الآية؛ لكونهم يأتون في مقدمة المذكورين في الآية، فعلىٰ الأب والأم ألَّا

يشـــعروا بحرج في الأكل من بيوت أبنائهم أو يسألوهم الإذن، ولكي تأكلوا لابدّ من الدّخول عليهم، فالآية تعني الدّخول والأكل.

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: المفاتـــح كنايـــة عـــن الإباحـــة والأكل بالمعروف على شرط أن يقولوا لكم: أحللنا لكم الأكل منها، أو يأذنوا لكم وإذا أعطيتم مفاتيح بيوت إخوانكم في حال غيابهم، أو كنتم حرَّاســاً للبيت، أو كنتم تعملون خداماً أو غيره، لا بدّ لصاحب المنزل من الإشـــارة إلى هؤلاء بالسّماح، فالكثيرون لا يسمحون، حيث هؤلاء يتقاضون أجرة عملهم مثلاً.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: ولم يقل أصدقائكم: كلمة (صديق) تستعمل للجمع والمفرد، وبما أنّ الأصدقاء كلّهم يشـــبه بعضهم بعضاً وعلى قلب واحد، ولو لم يكونـــوا كذلك لجاء بصيغة أصدقائكم؛ لأنّ صداقة المؤمنين واحدة: صداقة في الله، ولذلك أفردها.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾: جميعاً: مجتمعين أو أشتاتاً: متفرقين كلٌّ على حِدة، حيث كان بعضهم يتحرّج أن يأكل لوحده.

﴿فَإِذَا﴾: شرطية حتمية.

﴿دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾: (بيوتاً) نكرة؛ أي بيوتاً مسكونة أو غير مسكونة.

ارجع إلى الآية (٢٧) من السّورة نفسها.

﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾: الفاء للتوكيد، (سلّموا) على أهليكم أو على غيركم بالقول: السّلام عليكم؛ لأنّك حين تسلّم على غيرك كأنّك تسلّم على نفسك؛ لأنّه يردّ عليك السّلام، أو دخلتم بيوتاً ليس فيها أحد فسلّموا على أنفسكم، قولوا: السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. والبيوت قد تكون بيوت الله أو بيوت الغير.

﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾: تحية وصفها بثلاث صفات: من عند الله أوّلاً؛ أي: مشروعة من عند الله، مباركة: تحية ذات بركة فيها (٣٠-٤٠) حسنة، طيبة: حسنة يرجى منها زيادة الخير، يطيب بها قلب المستمع وتُدخل السّلام والأمن على قلب المؤمن وتنشر المحبة.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: كمثل هذا التّبيين في آيات الأكل والسّلام يبين الله لكم معالم دينكم والأحكام أو الشّرائع الأخرى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعل: للتعليل، (تعقلون) من: عقل الشّيء: عرفه

بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه، وقارنه بغيره ووصل إلى الحقيقة وهي رضوان الله وامتثال أوامره وتجنّب نواهيه.

تعقلون: أي ولعلكم تعملون بها، وهذه هي الغاية أو تدركون الحقيقة المرجوّة، وهي الإيمان بالله، وتطبيق أحكامه وشرائعه.

❖ ❖ ❖

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

سورة النّور [الآيات ٦٢ - ٦٤]

[٦٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر آيات الاستئذان بالدّخول والأكل، يذكر الاستئذان بالخروج من عند رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي آمنوا بالله إيمان عقيدة، آمنوا بالله؛ يعني: به وبكتبه ورسله وملائكته والقدر خيره وشره، إيمان توحيد وطاعة وتصديق بما أنزل وطاعة للرسول، ثمّ يتطرق إلى أمر خاصّ بالرّسول والصّحابة: (وإذا كانوا معه على أمر جامع): في اجتماع ومشاورة في جهاد أو أمر يهمّ أمر المسلمين.

﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾: لم النّافية، يتركوا المجلس أو يخرجوا حين انعقاد المجلس عند رسول الله ﷺ.

﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية؛ أي: حتّى يستأذنوا رسول الله ﷺ بالخروج وترك المجلس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي طلب الإذن من رسول الله لهم بالخروج دليلٌ على صدق إيمانهم بالله ورسوله وطاعة لله تعالى.

﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِذَا﴾: ظرفية شرطية.

﴿اسْتَأْذَنُوكَ﴾: طلبوا الإذن بالخروج قبل انتهاء المجلس أو المشاورة.

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: لأمر عاجل، أو حدث أمر طارئ لأهاليهم أو ممتلكاتهم.

﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ﴾: بالخروج والانصراف حسب ما تراه في مصلحة المسلمين؛ لأنّ مصلحة الأمة أو الجماعة مقدمة على المصلحة الفردية، والأمر لك تقدّره حسب ما تشاء فتأذن لمن تشاء.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ﴾: أي كل استئذان بدون سبب قاطع أو حاسم لا يحبِّذه الله تعالى ولا يسمح به، والأفضل ألا يستأذن أحدٌ رسول الله ﷺ، والإذن يوجب الاستغفار، فإذا حدث ووقع الاستئذان، ومهما كانت أسبابه، يقتضي الاستغفار لهم من قِبل رسول الله ﷺ، وهم أنفسهم كذلك يستغفرون الله تعالى.

ولماذا الاستغفار؟ لما قد يقع من الاستئذان بغير عذر شرعي يبيح الاستئذان.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي كثير المغفرة، والمغفرة تعني: ستره ذنوبكم ولا

يفضحكم عليها ولا يعاقبكم على خروجكم بعد الاستئذان من عند رسول الله بغير عذر.

رحيم بالمؤمنين، رحيم: صيغة مبالغة؛ لأنّه يقبل توبة واستغفار العبد ولا يعاقبه على ذنبه، ولأنه دائم الرّحمة.

[٦٣] ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

هذا هو الأدب الثاني بعد أدب الاستئذان بالخروج؛ وهو: أدب النّداء أو دعاء الرّسول ﷺ.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾: لا النّاهية، (تجعلوا دعاء الرّسول): لا تنادوا على رسول الله كنداء بعضكم بعضاً، بأن تقولوا: يا محمّد، يا ابن عبد الله، يا أبا قاسم! ولكن نادوه بتوقير واحترام وتواضع وخفض الصّوت، حتّى ولو بعد وفاته وحين تذكرون اسمه بالقول: يا أيها الرّسول، يا أيها النّبي، يا نبي الله، يا رسول الله.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾: قد للتحقيق والتّوكيد، يتسللون: من التّسلل هو: الخروج في خفية كما كان يفعل المنافقون حين يخرجون من مسجد رسول الله ﷺ أو المجلس أو الدرس أو المشاورة؛ يتسللون: من تسلل؛ أي: تكلف أو فعل جهده في الانسلال كي لا يراه أو يشعر به أحد؛ منكم: خاصة من المسلمين، لِواذاً: أي: يستتر بشيء ما مثل حائط أو غيره مخافة أن يُرى، أو يلوذ شخص بشخص آخر.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿فَلْيَحْذَرِ﴾: الفاء للتوكيد، (ليحذر) اللام للتوكيد، يحذر من الحذر هو توقّي الضّرر سواء كان الضّرر متيّقن الحدوث أو ظناً.

﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: أمره سواء كان أمر الله تعالىٰ أو أمر الرسول ﷺ فالأمر واحد، (يخالفون) من المخالفة: تعني اتخاذ أو سلوك طريق مخالف لما أمر الله به أو رسوله، أو الإعراض أو الرّفض أو العصيان، عن: تفيد المجاوزة والابتعاد، أمره: من الأمر، بـ: افعل ولا تفعل.

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أن: للتعليل والتّوكيد، تصيبهم فتنة: زيغٌ أو ضلالة أو كفر، أو بلاء ومحنة كالجوع والفقر والمرض.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم أو المساواة أو التّخيير.

﴿يُصِيبَهُمْ﴾: تكرار الإصابة للتوكيد.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مثل القتل أو الجوع، أو المرض أو الشّدّة وغيرها في الدّنيا، أو عذاب أليم في الآخرة، أليم لا يطاق، أو لا يستطيع أن يتحمله بشر.

[٦٤] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه لشيء مهم يجيء بعد التنبيه.

﴿إِنَّ لِلَّهِ﴾: إن: للتوكيد، لله: جار ومجرور، لفظ الجلالة، وتقديمه يدل علىٰ الحصر والقصر، فكل ما في السّموات والأرض ملكه وحده لا يشاركه فيه أحد.

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما لغير العاقل وكذلك العاقل، ما في السّموات:

ملكاً وخلقاً وعبيداً، في: ظرفية ظرفاً ومظروفاً؛ أي: السّماء نفسها (السّموات السبع) وما فيها من نجوم وكواكب ومجرّات وأقمار وشموس وأفلاك.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً، وما فيها من خيرات وآيات كونية وأشجار وبحار وجبال وأنهار وكنوز.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يفيد التّوكيد، توكيد العلم؛ أي: يعلم ما أنتم عليه بدون شك أو ريب.

﴿يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: ما اسم موصول بمعنىٰ الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، أنتم عليه: من طاعة أو مخالفة لأمر الله ورسوله، ما أنتم عليه من إيمان أو نفاق أو خير أو شر، ما أنتم عليه من حال وشأن في كل زمان ومكان.

﴿وَيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة، ونكّره للتهويل والتّعظيم.

﴿يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُرجعون إليه بغير إرادتهم؛ أي: قسراً رغم أنوفهم.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾: فينبئهم: من النّبأ وهو: الخبر الهام العظيم، بما: الباء للإلصاق، ما: بمعنىٰ الّذي، عملوا: في الدّنيا من خير أو شر من طاعة و معصية، من حسنات و سيئات.

الانتقال من صيغة المخاطب (يعلم ما أنتم عليه) إلىٰ صيغة الغائب ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ للتنبيه والتّحذير من مخالفة أمر الله ورسوله.

﴿وَٱللَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٩) من سورة البقرة للبيان.

❖ ❖ ❖

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

سورة الفرقان [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن السورة (٢٥)، وأما ترتيبها في النّزول فهي (٤١) بعد سورة يس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾:

﴿تَبَارَكَ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة الملك للبيان.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم يعود على الله سبحانه.

﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾: ولم يقل: أنزل، نزّل: تعني منجماً على دفعات خلال (٢٣) عاماً، بينما أنزل: تعني جملة واحدة، وكان ذلك في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا. الفرقان: القرآن وسُمِّي الفرقان؛ لأنّه فرّق بين الحق والباطل والهدى والضّلال والحلال والحرام، والفرقان: صفة (نعت) أو اسم للقرآن على وزن فعلان، وهو في الأصل مصدر لفعل فرّق يفرِّق، وقد يطلق على التّوراة، وعلى كلّ ما يفرِّق بين الحق والباطل كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال:٤١] أيْ: يوم بدر.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: على: تفيد العلو والسمو، عبده: محمّد ﷺ والعبودية لله شرف وعزة. وإضافة هاء الضمير تزيد رسول الله ﷺ شرفاً.

﴿لِيَكُونَ﴾: اللام: لام التعليل والتوكيد، وتعود على الفرقان أو العبد أو كلاهما.

﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، العالمين: جمع عَالَم والعوالم: منها عالم الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، ومعظم العوالم إلا الإنس والجن عوالم مسخرة وليست مخيَّرة، فالإنذار لا يشملها.

﴿نَذِيرًا﴾: من الإنذار وهو الإعلام المقرون بالتحذير والتخويف. نذيراً: أيْ: يكون محمد ﷺ للعالمين نذيراً، وقد تعود على القرآن أيْ: يكون هذا القرآن نذيراً للعالمين أو كلاهما معاً. ولم يقل: بشيراً ونذيراً: حذف بشيراً؛ لأن سياق الآيات القادمة تتحدث عن الّذين كفروا وأنكروا نزول القرآن وأنه أساطير الأولين. وتقديم للعالمين: للحصر أيْ: للإنس والجن خاصة نذيراً بدلاً من القول ليكون نذيراً للعالمين.

[٢] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾:

تبارك الّذي نزل الفرقان، تبارك الّذي له ملك السّموات والأرض.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد العظيم.

﴿لَهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: المُلْك: الحكم، يعني: الحاكم والمالك للسموات والأرض وما فيهن من شيء مثل: خزائن السموات والأرض من الرزق والنبات والمطر والمعادن والكنوز، ولا يشاركه في ذلك أحد لا ولد ولا شريك ولا ولي، وبما أنه هو الحاكم والمالك فهو المستحق للعبودية وحده.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: ولم: حرف نفي، والنفي بحرم (لم) أوكد من النفي بحرف (ما)؛ يتخذ من اتخذ وتخذ من أفعال التحويل والتصيير على وزن افتعل فيها معنى التكلف والجهد، وتأتي في أفعال الشّر، أيْ: ولم يجعل له ولداً؛ لأنّه

سبحانه لا يحتاج إلىٰ ولد؛ لأنّه هو الحي القيوم لا يموت ولا يزول ولا يحتاج إلىٰ ولي ولا نصير.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾: تكرار ولم يكن للتوكيد، ولم: حرف نفي تنفي النّفي المستمر الّذي لا ينقطع أيْ: لم يكن له شريك في الملك في الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾: خلق: من العدم، أو من شيء أو بعض الشّيء، والخلق في اللغة التقدير.

الشّيء: كلّ ما يعلم ويخبر عنه، سواء كان حسياً أو معنوياً والشّيء تعني أيضاً أقل القليل.

وكل شيء: شيء نكرة تشمل كلَّ شيء مهما كان نوعه وحجمه ولونه ووزنه وصفته، والخلق: يعني التّقدير والتسوية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: بالمحفظة الوراثية التي تحوي أبعاده طوله وعرضه وارتفاعه وحجمه ووزنه ولونه وصفته وجنسه ونوعه ووظيفته وأعضاءَه أو أجزاءَه ومعيشته وغذاءَه وحياته وموته.

﴿تَقْدِيرًا﴾: للتوكيد.

❖ ❖ ❖

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

سورة الفرقان [الآيات ٣ - ١١]

[٣] ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾:

بعد أن أثنى سبحانه على ذاته، وذكر خمسة أمور هي: نزل الفرقان، وله ملك السّموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وأنه خلق كلّ شيء فقدره تقديراً، جاء بـ(٦) أدلة وبراهين قاطعة أو أسباب على أن ما يعبدون من دونه من آلهة لا تستحق العبادة فقال:

﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾: من الاتخاذ بمعنى: التصيير والجعل، أو عبدوا. ارجع إلى الآية السّابقة (٢).

﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: الآلهة: مثل الأصنام والأوثان آلهة يعبدونها.

الدليل الأوّل: على أنها آلهة باطلة لا تسمع ولا تبصر، ولا تعقل ولا تغني شيئاً ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾: مهما كان هذا الشّيء صغيراً أو كبيراً ومهما كان نوعه حتى الذباب، كما ذكر ذلك سبحانه في سورة الحج آية (٧٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾.

الدليل الثّاني: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أيْ: هذه الآلهة هي نفسها مخلوقة، خلقها الخالق، فكيف تخلق؟

الدليل الثّالث: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: أيْ: لا تملك لأنفسها ولا لغيرها ضراً؛ أيْ: لا تضر من يعصيها أيَّ شيء ولا تنفع من يعبدها

بأي شـــيء، وقدَّم الضر على النفع في هذه الآية؛ لأن ضرها أكثر من نفعها كقوله تعالـــى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج:١٣]. ارجع إلى تلك الآية لمزيد من البيان.

الدليـــل الرّابع: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾: لا تملك موتـــاً؛ لأن من صفات الإله الحق هو الذي يحيي ويميت.

الدليل الخامس: ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾: أيْ: لا يقدرون على إحياء أيِّ شيء.

الدليل السّادس: ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: النشور: إحياء الموتى بعد الموت. وتكرار لا يفيد التوكيد. وفصل كلّ واحدة على حدة أو الكل مجتمعاً.

وهناك الكثير من الآيات القرآنية تؤكد هذه الآية كقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل:٢٠-٢١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣].

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [فاطر:٤٠].

﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الرعد:١٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم:٤٠].

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢١].

[٤] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾: أمثال النضر بن الحارث وغيره كما قال مقاتل، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿إِنْ﴾: نافية بمعنىٰ ما و(إنْ) أشد وأقوىٰ نفياً من (ما).

﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة والهاء للتنبيه وذا اسم إشارة يشير إلىٰ القرآن الكريم.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: الإفك: هو الكذب المتعمد، وهو أسوأ من الكذب، ومشتق من قلب الكلام الحق إلىٰ الباطل، من إفكه: بمعنىٰ قلبه. افتراه: ادعاه أو زعمه أي: القرآن الكريم ليس كلام الله، بل هو كلام محمد ﷺ.

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾: ساعده علىٰ الإتيان به قوم آخرون أمثال يسار غلام عامر الحضرمي وعداس وجبر مولىٰ لعامر، وهم من أهل الكتاب كما قال مقاتل.

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد، جاؤوا: هؤلاء الّذين كفروا وقالوا: هذا القرآن إفك وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا بالكذب وبالظلم.

﴿ظُلْمًا﴾: الجور: أي: الحكم بغير الحق أي: اتهموا القرآن الحق بأنه إفك مفترىٰ بالزور هو في الأصل تحسين الباطل، والزور: هو الميل عن الصدق والانحراف عن الحق، ومنها شهادة الزور، ويعني: الكذب.

وقدَّم الظلم علىٰ الزور؛ لأن المفروض من يصدر الحكم أن يسمع إلىٰ الشهادة أولاً، ثم يصدر الحكم ثانياً، فهم نطقوا بالحكم بغير الحق، والتمسوا له الدليل أو الشهادة.

أيْ: قد ظلموا: جاروا في الحكم حين زعموا أن القرآن مفترىٰ وأعانه عليه قوم آخرون، وكان دليلهم أو شهادتهم هو الكذب والزور وقولهم: أساطير الأولين.

[٥] ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾:

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: أيْ: كفار مكة ومشركوها.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أيْ: هذا القرآن هو من أساطير الأولين جمع أسطورة من أكاذيب وروايات الأولين وأساطيرهم الّتي سطروها في كتبهم القديمة.

﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾: أيْ: لم يكتبها بنفسه، بل أمر أو سأل غيره ليكتبها له؛ لأنّه لم يكن كاتباً عليه السلام.

﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾: فهي: للتوكيد، تملي عليه: أيْ: تُقرأ عليه وتلقىٰ إليه من الإملاء، ليحفظها صباحاً ومساءً، أيْ: في جميع الأوقات باستمرار وليس من عند الله.

[٦] ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾:

﴿قُلۡ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أنزله: أي: القرآن، جملة واحدة (دفعة واحدة) من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان للفرق بين أنزل ونزل.

الله الّذي يعلم السّر في السّموات والأرض: السر هو ما تسره أيْ: تخفيه في نفسك ولا يعلمه إلا أنت فقط، أيْ: لا تخفىٰ عليه خافية، يعلم السر وأخفىٰ: كلّ ما يجري في السّموات والأرض من أحداث وأفعال وأقوال، ولم يقل:أنزله الّذي يعلم السّر والجهر؛ لأن من علم السّر من البديهي أن يعلم الجهر، أو هو أعلم بالجهر، ولو كان هذا القرآن مفترىٰ أو أعانه عليه قوم آخرون لعلم الله سبحانه ذلك، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٥-٤٦].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: إنّه: للتوكيد، كان وما زال وسيظل كان تشمل كلّ الأزمنة.

غفوراً: صيغة مبالغة كثير الغفر أي: السّتر ومحو الذّنب وترك العقوبة، ومهما كثرت الذنوب أو تعاظمت فهو الغفار والغفور.

رحيماً: بعباده يقبل توبتهم ولا يعجل لهم العقوبة لعلهم يتوبون ويرجعون إلىٰ الله، ويغفر الذنوب جميعاً إذا تاب الإنسان وأناب إلىٰ ربه.

ولمقارنة هذه الآية بقوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء:٤] ارجع إلىٰ سورة الأنبياء آية (٤) للبيان.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾:

هم أنكروا أن يكون الرّسول بشراً فهم يريدون أن يكون ملكاً من الملائكة، لا يأكل الطعام ولا يمشي في الأسواق، أو كأنهم يعترضون على نبوته بسبب الأكل والمشي حيث ضاقت بهم الأسباب حتى لا يجدوا إلا هذه الأسباب السخيفة.

﴿وَقَالُوا﴾: أيْ: رؤساء قريش لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته مقابل ما يشاء من الملك والمال والنساء أو الجاه فرفض.

عندها ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾: ما: استفهام يراد به التهكم والتعجب؛ أيْ: كيف يزعم أنه رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق (جمع سوق) يطلب العيش مثلنا، فلماذا لا يغنيه ربه، أو لا يليق بالرسول أن يمشي في الأسواق يطلب العيش.

﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾: لولا: للحث والحض تفيد التعجيز أنزل إليه ملك: من الملائكة يصدقه أو يخبرنا بأنه نبي مرسل من الله، فيكون: الفاء للتوكيد يكون معه نذيراً.

نذيراً: يشاركه في الإنذار لربما صدقناه أو اتبعناه.

[٨] ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾:

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: من ذهب أو فضة، من السّماء ليكف عن المشي في الأسواق.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: من نخيل وأعناب. ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿إِن﴾: نافية أيْ: ما، ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾: حصراً وتوكيداً رجلاً مسحوراً، وصفهم بالظلم الثّابت المستمر لكونهم اتهموا رسول الله ﷺ بالسّحر، وهو بريء منه وهو اتهام ظلم وإضلال.

﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: أيْ: سحره غيره وذهب السّحر بعقله (حيث كان معروفاً عندهم أن السّحر يذهب بالعقول، فلا تسمعوا له ولا تفارقوا دين آبائكم وأجدادكم.

وفي آيات أخرىٰ يقولون: إنه ساحر وليس مسحوراً، وهذا يدل علىٰ تخبطهم في أمرهم، وربما قال: مسحوراً؛ لأن ما جاءَهم به أثر في نفوسهم تأثيراً بليغاً شبهوه بالسحر؛ لأنّه خارق لعادتهم وعقولهم.

[٩] ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾:

﴿ ٱنظُرْ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ.

﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: اتهموك بالأمثال الكاذبة (ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من سورة النّمل) للبيان، فقالوا: ساحر ومسحور وشاعر وكاهن ومجنون وكذاب.

﴿فَضَلُّوا۟﴾: الفاء للتوكيد، ضلوا: عن الصّواب والحق والصراط والرشد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: لأنّهم ضلوا عن طريق الحق والصواب وابتعدوا كثيراً فلا يستطيعون الرجوع إلىٰ طريق الهدىٰ والحق.

أو لا يستطيعون أن يصلوا إليك ويقدحوا في نبوتك.

أو لا يستطيعون أن يجدوا لهم حُجَّة أو برهاناً في ضرب تلك الأمثال، أو لا يجدوا لهم سبيلاً للخروج من ضلالهم أو لا يستطيعون صد النّاس عن هذا الدِّين.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾:

﴿تَبَارَكَ﴾: ارجع إلى الآية (١) من نفس السّورة.

﴿الَّذِي إِن شَاءَ﴾: إن: شرطية، أيْ: إن شاء سبحانه.

﴿جَعَلَ لَكَ﴾: وهب لك وأعطاك.

﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾: مما اقترحوه من إلقاء كنز أو جنة من نخيل وعنب، جعل لك خيراً من الدّنيا وما فيها.

بأن يجعل لك ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار، جنات الفردوس.

﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾: قصوراً كثيرة لا قصراً واحداً، كما قال المشركون جمع قصر والقصر في اللغة كلّ بناء رفيع عال حصين.

أين جواب الشرط لكلمة (إن)؟ محذوف.

لم يُذكر لأن أيَّ مقام في الدّنيا مهما كان زخرفه وجماله وعظمته فهو زائلٌ وفانٍ ولا يستحق ذكره بينما في الآخرة فهي دار الخلد والمقام الكريم.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾: أيْ: بقيام السّـــاعة، ساعة تهدم النّظام الكوني، وبالتالي يوم القيامة والبعث والحساب والجزاء.

والتّكذيب: عدم التّصديق بها بالإعراض وعدم الإيمان والاستعداد لها.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: أعتدنا: هيأنا وأعددنا، لمن: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، كذب بالسّاعة: أيْ: لم يؤمن بها.

بالسّـــاعة: الباء: للإلصاق والتوكيد. سعيراً: اســـم للنار المستعرة شديدة الالتهاب الّتي تلتهم كلّ شيء، وقيل: سعيراً: دركة من دركات النّار.

❖❖❖

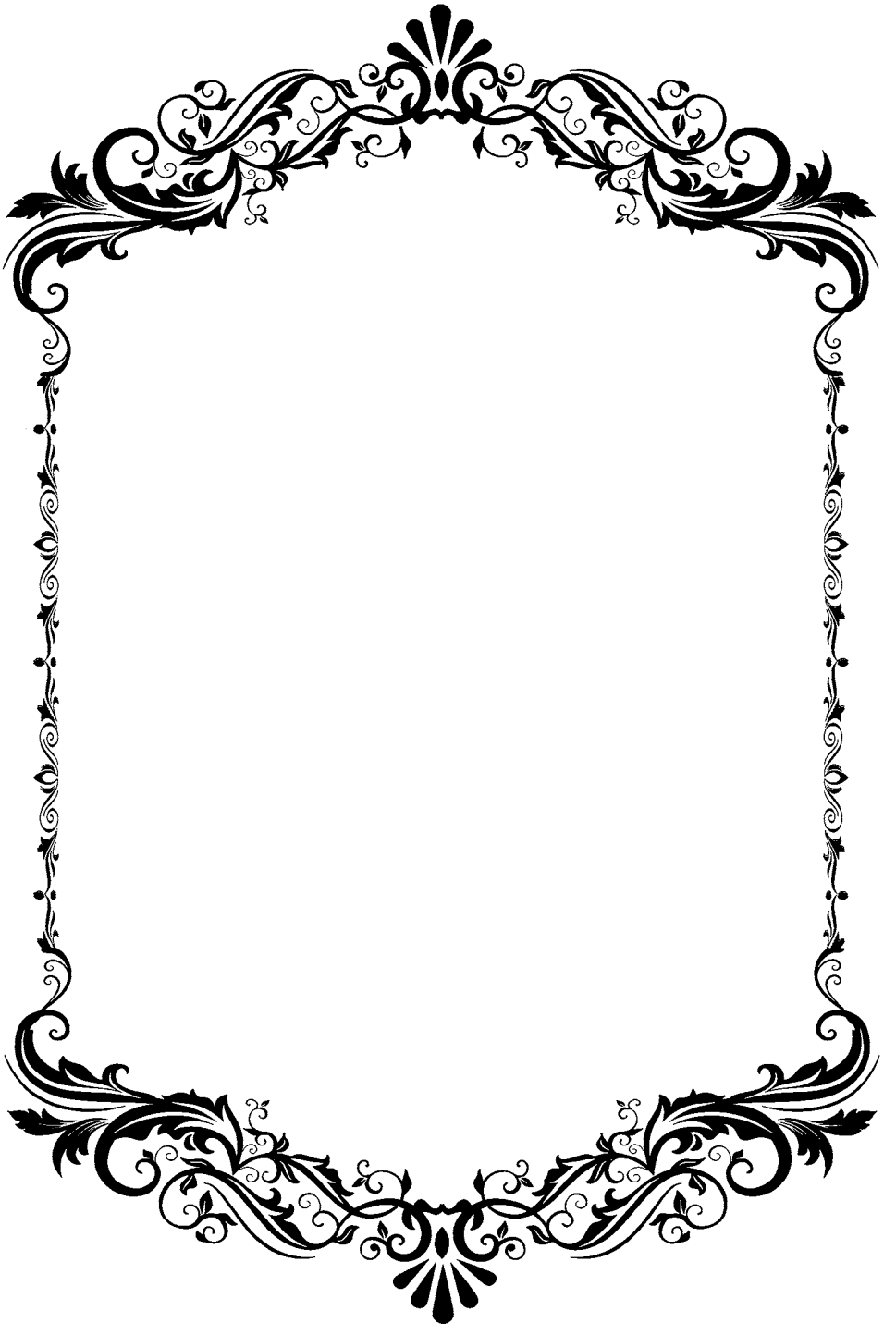

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السابع

السورة ورقمها	الصفحة
سورة مريم [الآيات ٣٩ - ٥١]	٦
سورة مريم [الآيات ٥٢ - ٦٤]	١٩
سورة مريم [الآيات ٦٥ - ٧٦]	٣١
سورة مريم [الآيات ٧٧ - ٩٥]	٤٣
سورة مريم [الآيات ٩٦ - ٩٨]	٥٣
سورة طه [الآيات ١ - ١٢]	٥٧
سورة طه [الآيات ١٣ - ٣٧]	٦٥
سورة طه [الآيات ٣٨ - ٥١]	٧٧
سورة طه [الآيات ٥٢ - ٦٤]	٨٩
سورة طه [الآيات ٦٥ - ٧٦]	١٠١
سورة طه [الآيات ٧٧ - ٧٨]	١١١
سورة طه [الآيات ٨٨ - ٩٨]	١٢٣
سورة طه [الآيات ٩٩ - ١١٣]	١٣٣
سورة طه [الآيات ١١٤ - ١٢٥]	١٤٥
سورة طه [الآيات ١٢٦ - ١٣٥]	١٥٥
سورة الأنبياء [الآيات ١ - ١٠]	١٦٥
سورة الأنبياء [الآيات ١١ - ٢٤]	١٧٥
سورة الأنبياء [الآيات ٢٥ - ٣٥]	١٨٧

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأنبياء [الآيات ٣٦ - ٤٤]	٢٠١
سورة الأنبياء [الآيات ٤٥-٥٧]	٢٠٩
سورة الأنبياء [الآيات ٥٨-٧٢]	٢١٩
سورة الأنبياء [الآيات ٧٣-٨١]	٢٢٩
سورة الأنبياء [الآيات ٨٢ - ٩٠]	٢٣٩
سورة الأنبياء [الآيات ٩١-١٠١]	٢٤٧
سورة الأنبياء [الآيات ١٠٢-١١٢]	٢٥٧
سورة الحج [الآيات ١ - ٥]	٢٦٥
سورة الحج [الآيات ٦ - ١٥]	٢٧٥
سورة الحج [الآيات ١٦ - ٢٣]	٢٨٥
سورة الحج [الآيات ٢٤ - ٣٠]	٢٩٥
سورة الحج [الآيات ٣١ - ٣٨]	٣٠٣
سورة الحج [الآيات ٣٩ - ٤٦]	٣١٣
سورة الحج [الآيات ٤٧ - ٥٥]	٣٢٥
سورة الحج [الآيات ٥٦ - ٦٤]	٣٣٥
سورة الحج [الآيات ٦٥ - ٧٢]	٣٤٥
سورة الحج [الآيات ٧٣ -٧٨]	٣٥٥
سورة المؤمنون [الآيات ١ - ١٧]	٣٦٣
سورة المؤمنون [الآيات ١٨ - ٢٧]	٣٧٥
سورة المؤمنون [الآيات ٢٨ - ٤٢]	٣٨٥
سورة المؤمنون [الآيات ٤٣ - ٥٩]	٣٩٥

السورة ورقمها	الصفحة
سورة المؤمنون [الآيات ٦٠ - ٧٤]	٤٠٧
سورة المؤمنون [الآيات ٧٥ - ٨٩]	٤١٩
سورة المؤمنون [الآيات ٩٠ - ١٠٤]	٤٣١
سورة المؤمنون [الآيات ١٠٥ - ١١٨]	٤٤١
سورة النّور [الآيات ١ - ١٠]	٤٥١
سورة النّور [الآيات ١١ - ٢٠]	٤٦١
سورة النّور [الآيات ٢١ - ٢٧]	٤٧١
سورة النّور [الآيات ٢٨ - ٣١]	٤٨١
سورة النّور [الآيات ٣٢ - ٣٦]	٤٨٩
سورة النّور [الآيات ٣٧ - ٤٣]	٤٩٩
سورة النّور [الآيات ٤٤ - ٥٣]	٥٠٩
سورة النّور [الآيات ٥٤ - ٥٨]	٥١٩
سورة النّور [الآيات ٥٩ - ٦١]	٥٢٩
سورة النّور [الآيات ٦٢ - ٦٤]	٥٣٧
سورة الفرقان [الآيات ١ - ٢]	٥٤٣
سورة الفرقان [الآيات ٣ - ١١]	٥٤٧
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السابع	٥٥٧

❖ ❖ ❖